

العربية

يناير ١٩٣٣



الجزء التاسع
السنة الثانية

المعرفة

أول يناير سنة ١٩٣٣
رمضان سنة ١٣٥١

مجلة - شهرية - جامعة
لصاحبها وناشرها ومحررها المسئول

عبد العزيز الأسيدي

العدد ٣١

شعارها : اعرف نفسك بنفسك

المجلد الرابع

عاطفة الحب

في نظر العلم والفلسفة

ضاق لطاق هذا الجزء عن نشر القسم الثاني من هذا البحث الذي بدأناه
في العدد الماضي ؛ وموعدنا العدد المقبل .

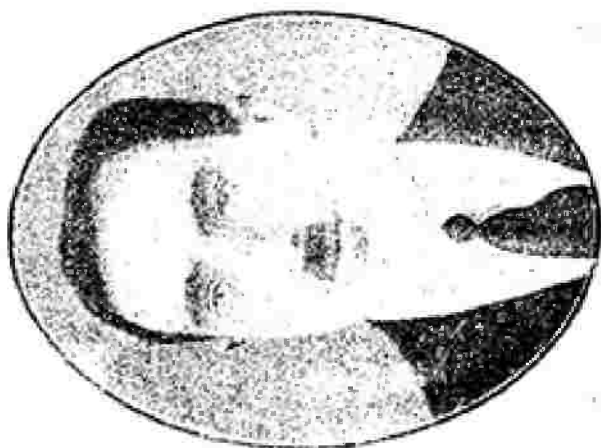
الرسالة العذراء

(الرسالة العذراء) اسم رسالة نفيسة ، تعد إحدى ذخائر الأدب العربي النفيس ،
لابراهيم بن المديني حوت من جليل البحث ، وطريف الفكر ، ورقة الأسلوب ، وسلامة
اللفظ ، ما جعلها - بحق - كنزاً من كنوز أدبائنا العرب المفاويز .
وقد صيغها وشرحها باللغة العربية ، ووضع لها مقدمة مفصلة بالفرنسية ، تناول الكلام
فيها على فن الانشاء ومذاهب الكتاب في القرن الثالث ، الأستاذ البعثة والعالم الفاضل
الدكتور زكي مبارك .

وقد بعثت إدارة المعرفة « بهذه الهدية النفيسة إلى حضرات المشتركين (الذين سددوا
قيمة اشتراك هذه السنة) . ورجاؤنا أن يتفضل حضرات الذين لم يسددوا قيمة اشتراك
تلك السنة بتسديدها ، لنبعث بتلك الهدية إليهم .



الأستاذ علي الجارم
(لمناسبة رأيه عن الشعر)



الدكتور محمد هيك حسين
(لمناسبة رأيه عن الشعر)



الأستاذ همام جرابو
(اقرا حديثه في هذا الجزء عن شعر)

آراء في الشعر والشعراء



الأستاذ محمد المرادي



الأستاذ توفيق بك الجليل



الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

في الشعر — عر والشعراء

لناسبة وفاة المرحومين « حافظ » و « شوقي »

١ - هل أموت موت الشعراء فراعنا ؟

٢ - ما يرى مستقبل الشعر والشعراء ؟

خلف موت الشعراء العظميين - حافظ وشوقي - ما خلف من حزن وأسى ، وترك ما ترك من حسرة وألم ، وأحدث ما أحدث من هوة وثغرة ، الزمن وحده كفيل ببيان نصيبهما من الحق والباطل ؛ وما أراه أنا وأنت ، ويتفق فيه زيد وعمر ، قد لا يراه الزمن ، أو يتفق فيه حكيم ؛ فلندع ذلك إليه . وكل ما علينا الآن عمله ، إنما هو التوجه إلى البحث عن الشاعر المصري المنتظر ، تأخذ بيده ، وتتيح له فرصة البعث والظهور ، فلا نوحده الباب أمامه ، أو نقف - بتهصينا للنثر مثلا ، أو للشعر الاغريقي مثلا ، أو للشعر الغربي مثلا آخر ، أو بحكم علاقاتنا بالفقيدون مثلا رابعاً - سداً منيعاً دون ظهور هذا المنتظر .

وليغفم من لا يفهم ، أنا نلاحظ فيما ندعو إليه - من أخذ بيد شعرائنا المعروفين ، أو المغمورين - غرضاً قومياً نبيلاً ، فأما أن تهاون فيه - منذ الآن - ونحط من أقدار بعضنا بعضاً ، فتلك سياسة الهدم والتدمير ؛ وما كان لمثل تلك السياسة القلب أو الفوز في عضور الاستقرار ، وفي بناء مجد الأوطان وسوددها .

وإن « المعرفة » لترجو ، لو تتاح لها في القريب الماجل ، فرصة استفتاء شباب الأمة ، فيمن يخلف الشعراء ، ويحفظ لنا الزعامتين : زعامة الشعر ، وزعامة القومية ، وأعنى بها زعامة مصر على الشرق ، في دولة الشعر .

والشباب وحدهم هم خير من تتوجه إليهم في هذا ؛ فإزال قلوبهم طاهرة تقية ، لم تدنسها منافسة ، أو يمد عليها عدوان من التحيز أو الغرض .
أقول هذا بعد الذي رأيت من إجماع من قابلت - من الشعراء والكتاب والأدباء ، على

اختلاف نحلهم ، وتعدد مذاهبهم - على الاحجام عن إعلائهم صريحاً فيمن يخلف الشاعرين .

وها نحن أولاء قدم - في هذا الجزء - آراء بعض حضراتهم ، على أن تقدم الآراء الأخرى في الجزء القادم إن شاء الله ؛ ومن ثم يكون المجال واسعاً أمام الشباب للتفكير في الأمر ، في روية وحكمة وتريث .

رد الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

لست أعرف مثيلاً « للمازني » الكاتب ، و « المازني » الأديب ، و « المازني » الشاعر ، غير (برنارد شو) في تقده اللاذع ، وأسلوبه التهكمي ، وسنوه على استرضاء الجماهير . وقد أصبح أسلوبه هذا علماً على مدرسة النقد الحديث ، التي تتأثر أسلوبه ، وتنتهج نهجه . وليس أدل على ما ذكرنا عن أسلوبه ذلك ، من هذا الرأي الذي كتبه - في الفترة التي زرته فيها - وهو جالس إلى مكتبه ، يستقبل زائراً ليودع زائراً آخر ، وينتهي من النحدث إلى بعض المحررين ، ليعد مواد التحرير لمعامل المطبعة الذي لا يرحمه ، والذي يأتي إلا أن يستأثر بجميع وقته .

هل أحدثت مرثي الشاعرين فراغاً ؟

أرجو أن تسمح لي ، أن أوجز في جوابي عن سؤالك اللذين تفضلت بتوجيههما إلي ؛ والايجاز خير من الاطالة ، تنادياً من إني . في مسائل لم يبق قلم إلا تناوّلها بالكلام . أما السؤال الأول ، لجوابي عنه : أن المرحومين « حافظاً وشوقي » يمثلان مذهباً أو مدرسة كان البارودي فاتحتهما ، وكانا هما ختامها ؛ وبموتهما انتهت هذه المدرسة ، ولم يبق منها شيء يستحق الذكر ، وقد تقضى العصر الذي أشتجها قبل أن يفتقلاهما من هذه الدار ، فلا يمكن في رأيي أن يقال : إن مكانهما الآن خال ، أو إنهما أحدثا فراغاً في عالم الأدب الحديث ؛ والسبب بسيط جداً ، وهو أنه لم يكن لهما مكان في هذا العصر حتى يقال إن مكانهما قد خلا ، وإنما كان مكانهما في العصر الذي خلا ، والذي جاء العصر الحاضر على آثاره ، وكانا هما متخلفين من ذلك العصر ، أو امتداداً منه ، كما يمتد لسان من الأرض في ماء البحر ؛ ونحن الآن لنا : آلام ، وآمال ، ومثل ، غير التي كانت لعصرهما ؛ وفهم عصرنا للشعر وغاياته ووسائله ، يختلف عما كان يفهم زمانهما في ذلك .

مستقبل الشعر

نسبت سؤالاً ثانياً هو مستقبل الشعر، وأنا على خلاف رأي الذي يقول : إن تقدم المدنية يقضى عليه ، وأعتقد أن الأمر على النقيض ، فكلما اتسعت آفاق العقل والنفس ، كان مجال الشعر أوسع ، والشعر ليس جنزلاً ، ولا هو وليد الجهل ، حتى ينمو في ظلام التأخر والانحطاط ، ثم يجس ، نور إنديبه فيمسحه ويدهي عليه ، ومع التقدم تتفتح العقول والنقوس ، وتصبح أفطن وأدق إحساساً ، وأشد نظراً ، وأعمق غوصاً ، وأعمق طريقاً ، والشعر ليس ترفاً لأنه متصل بأصول الحياة ، ومستمد من مادتها الخالدة .

وحسبي الآن هذا القدر ، وعسى أن يقنع الأستاذ الزميل صاحب المعرفة « وعمرها بهذا الإيجاز .

رأي الأستاذ محمد الهراوي

خلق نبيل ، ونفس رضية ، وإيمان بالمستقبل ، واطمئنان إلى الحق ، وشاعرية متوثبة ... تلك هي أبرز ميزات الأستاذ الهراوي ، وأظهر صفاته ، وأجلى ظاهرة فيه . وقد أعرف له من المواقف المثمرة : في حياة المرحومين حافظ وشرق ، بما لو عرفه الناس ، لا كبوه إكباراً فوق إكبار ، وبادلوه حباً فوق حب .

ولست أعرف إن كان يوضع في صف الأخذين بالجديد أم الأخذين بالقديم ، وإنما أترك هذا لك تبينه من رأيه الذي سجلناه في السطور التالية :

هل أموت موت الشاعر أم فراعناً ؟

أقول لك في صراحة وصدق وإخلاص - وأنت من أعرق الناس دفاعاً عن العقيدة ، وصلابة في الحق ، وتمسكاً بالجور - : إن الشاعرين - على ما خلفه موتهما في تونسنا من حيرة وألم وحرق ، تحز في تونسنا جزاً - لم يترك هذا الفراغ المزعوم ، فعاصرهما من الشعراء الجديين لا يسمحون بترك هذا الفراغ ، بما لهم من شعر حسن جيد ، لا يقل روعة وجلالاً عن شعر الفقيدين العظامين ، بل هو - على العكس - قد فتح طريقاً كانت ممدودة من قبل ، ومهد سبيلاً كانت موصدة من زمن ، وذلك راجع إلى ما أحاط بهما من الشهرة بفضل البيئة والوسط ، وبفضل علاقتهما بالشخصيات البارزة في مصر والشرق .

ولست أشك في أنك تعرف أثر هذه العلاقة ، وأثر الأسماء الضخمة في تديم الشهرة

في نفوس عامة الناس ، وإذاً تستطيع أن تعرف من هذا أنها أحدثنا فراغاً في الشهرة ، وليس في الشعر كما يتصور بعض الناس . وهذه الشهرة هي فن آخر غير فن الشعر .

وقد آن الوقت الذي يجب أن تضامن فيه - معاشر الشعراء والأدباء - على نحو هذه المؤثرات من أذهان الجماهير ، وإيجاد التأثير الخارجى عن الشعر والشعراء ، ليستطيع الشعر تأدية رسالته ، ويقدر الشعراء أنفسهم فيما يأخذونها به من تجويد وتصور ، وإنى لأعتقد أن في تضامن شعراء العصر - بدون منافسة شخصية كما كانت الحال قديماً - على إنهاض الشعر وتجديد نواحيه ، ما يفتح لهم الباب على مصراعيه ، ليسلك كل منهم سبيله إليه .

وكل ما هو مطلوب من الأمة أن تقدر جهود المجيدين من شعرائها في الحال والمستقبل ؛ فالشاعرية تضعف وتقوى تبعاً لضعف الأمة أو قوتها : من جانبها إلى نفسها أولاً ، ومن جانبها إلى شعرائها ثانياً .

فالتضامن من ناحية الأمة في التقدير والاشادة ، ومن ناحية الشعراء في التجديد والاجادة ، هو موضع الأمل في المستقبل ، بإذن الله تعالى .

مستقبل الشعر

تسألنى يا صديقى عن مستقبل الشعر ، وأنا أحس منك انتظار إجابتى بأن المستقبل في ضمير الغيب ؛ لكننى أرجو أن تسمع إلى ما أدلى به إليك :

إننى أعتقد اعتقاداً جازماً ، لا ريبه فيه ، أن مستقبل الشعر سيكون خيراً من حاضره ، كما أن حاضره خير من ماضيه ؛ وإن فى هذه الحشود المتدفقة ، وفى هاتيك الجماهير المتلهفة على الشعر ، المتعطشة إلى تذوقه ، الراغبة فى استماعه ، المتسبعة آثاره ، لدليلاً - وأى دليل - على أن الشعر سيحتل من النفوس منزلة أرفع ، وستتاح له فرص من الحياة الهنيئة الطيبة ، الملائمة بمختلف الآمال ، مما لم يكن له من قبل .

وأقول لك أيضاً : إن الشعر قد استطاع فى الوقت الحاضر أن يجذب إليه قلوباً كانت عنه نافرة ، وأن يقود إليه نفوساً كانت عنه جاحدة ، وهذه باكورة مباركة ، قد بدأت تؤتى ثمارها الناضجة المنتظرة فى ضمير الغيب ، فى الوقت المناسب ؛ وأعتقد أن تلك البوادر الموقفة برهان سامع يرد إلى التناؤل الحسن لمستقبل الشعر ، كما أعتقد أن تلك العوامل - مجتمعة إلى بعضها البعض - ستحفز فوجاً من الشعراء المغمورين ، وحشداً من الأدباء المطمورين ، وستدفع هؤلاء وهؤلاء جميعاً إلى الانتاج آنأ ، والاجادة آنأ آخر ، والتنويع تارة ، والتفنن تارة ؛ وبحكم سنن الكون وكائناته ، بل بحكم قانون الحياة ، سيأخذ الشعراء الجديون عديدهم إلى تحقيق رسالتهم ، وتأدية أمانتهم بالتجويد ، والتحقيق ، والتدقيق ، والافتنان ، والابداع فى

تصوير المواطن الإنسانية تصويراً دقيقاً لنواحي حياة العصر والبيئة المختلفة ، وتلك هي في الواقع رسالة الشعر ومهمة الشعراء .

لهذا أعتقد أن شعراء مصر - ومصر هي صاحبة الزعامة الشعرية والأدبية - سيتكرونها نواتجاً جديدة من الشعر هي نواحي الحياة المستقبلية ، بل أزعهم لك أن شعراء العصر الحاضر قد ابتكروا فعلاً تلك الألوان مما لم يكن له سابق عهد ؛ وفي شعر الأطفال ، وأهازيج الصناع ، وأغاني البيوت ، وأناشيد العامة ، مثل للألوان المبتكرة من الشعر العربي العفّ الصحيح ؛ وستكون هذه أساس الابتكارات المقبلة ؛ وهذا هو ببيان دولة الشعر الحديث الذي سيحيي فنوناً نافعة ، ويميت أخرى أصبحت غير صالحة ؛ وسيكون قوى الخيال ، عربي الأسلوب ، متى أبعد الله عنه فتنة المدنية الغربية بفضل غيره أهل اللغة والجامع المستقبلية .

وأقول في النهاية : إنه على الرغم من العقبات القائمة في سبيل الشعر والشعراء ، فإن الفرصة ستتاح له لتغلب على هذه العقبات إن شاء الله تعالى .

رد الأستاذ انطون بك الجميل

الأستاذ انطون الجميل رجل (جنتلمان) بكل معاني الكلمة ؛ فهو مذهب اللفظ ، مذهب العبارة ، مذهب الأسلوب ؛ وقد حبه هذه الظاهرة ، تقدير المتقنين من مختلف الطبقات جميعاً ، تقدير أبلغ الشاؤ . كما أتاحت له ملكة فنية في النقد الأدبي العالي ، وحاسة شعرية يلهمها الفارسي ، مجلوة في مجلته الأدبية التي كان يصدرها منذ عشرة أعوام تقريباً باسم « الزهور » . تقدمنا إليه بهذين السؤالين ، فاعتذر عن الإجابة عن السؤال الثاني ، مكتفياً بالإجابة عن السؤال الأول إجابة كتبها بقلمه ، هي هذه التي نشرها بنصها :

هل أهرت مروت الشاعر بن فراغاً ؟

من يشكر أن الأدب العربي قد منى هذه السنة بخسارة فادحة بموت « حافظ » ثم بموت « شوقي » ، خسارة شعرت مصر بها قبل سواها ، لأنها أجلسها الصدر في دولة الأدب ؛ وشعرت بها مع مصر سائر الأقطار العربية ، لأنها كانا من مفاخر لسان العرب ؟ أما التنبؤ بمن سيخلف كلا منهما في المكان الذي تبوأه في مملكة القريض والبيان ، فليس بالسهل ولا بالمستطاع . فشاعر مصر ، بل شاعر العربية ، مكنون في ضمير الغيب ، قد تبرزه الحوادث في غدنا القريب .

ولا يعزّن عن البال أن ما ناله كل منهما من الشهرة ، وبعد الصيت ، قد يكون طمس عبقریات كثيرة ستبرز إلى الوجود بعد أن خلا من فارس الملمين ، كما أن ما أحرزه كلاهما

من المتزلة الرفيعة في حياته ، ومن التكريم والاشادة بذكره بعد مماته ، سيشرح القرائح والأذهان للعبارة في حلبة الشعر .

وليس من الحكمة والمنطق في شيء ، أن تندب الشعر والأدب بعد فقد ذينك الشاعرين ؛ فالوادي الذي أنجب البارودي ، وصبري ، وحافظاً ، وشوقي - ولا أذكر إلا الأموات الذين عاصرناهم - سينجب غيرهم من عباقرة الشعر وأعلام الأدب ؛ فشمع الشعر لا يطفأ نوره أبداً ، ولا ينضب زيته ، بل ينتقل دائماً من يد إلى يد ، تغذيه القلوب النابضة ، والنفوس الحساسة .
وخير ما يقال - في هذا المقام - هذه الآيات لشوق نفسه :

قديم الشماع كشمس النهار ، جديد كصباحها الملمب
أبوقراط مثل ابن سينا الرثي ، وهو مير مثل أبي الطيب
وكاهن حجر في البنا ، وغرس من المشرع المعقب
أنظرون الجيل

رأي الدكتور هيكل بك

أما أن « هيكل » في طليعة كتابنا المصريين ، فسأله مفروغ من بحثها على ما أعتقد ، وإنما أزعج أن جبهة القراء لم يعرفوا - كالم يعرف « هيكل » نفسه - أنه شاعر ، وشاعر مجيد ، وشاعر إلى حد بعيد ، لأنهم لم يقرأوا له قصيدة متفارمة موزونة مقفاة ؛ ولأنه ينكر على نفسه الشعر ، وقول الشعر ؛ لكنني أرجو أن تتعرف إلى أسلوب الشاعر لتعرف إن كان « هيكل » شاعراً ، أم غير شاعر ؛ أما أنا فأزعم أن أسلوب الشاعر ، هو ذلك الأسلوب الذي يعبر عن مختلف الأساليب الإنسانية ، وخلجات النفس البشرية ، وما يعتريك في قوسنا من آلام ، وآمال ، ورغبات ، وأحلام ، وحق وجمال ، في أصدق تصوير ، وأدق تعبير . وأنا أعتقد أن هذا كله قد أتبع « لهيكل » الأديب ، أو « هيكل » الشاعر إن شئت الدقة في التعبير ، هو إذاً شاعر فائز ، أو هو فائز شاعر ، وله بعد ذلك أن يرضى بهذا ، أو لا يرضى به .

ذهبت إليه وليس لديه متسع من الوقت ؛ فاكثفت بالتحدث معه عن مستقبل الشعر ، هذا الحديث الذي تقدم إليك خلاصته فيما يلي :

مستقبل الشعر

فيل أن أجيب عن سؤالك هذا ، يجب أن نعرف أولاً ما هو الأدب في حقيقته ، وما هي رسالة الشعر وماهيته ، حتى إذا ما عرفنا المقدمات وربطناها ترتيباً صحيحاً ، استطعنا أن نستنتج استنتاجاً صحيحاً ، بل أكثر من هذا ، أرى أنه في تحديد معنى الأدب بصفة عامة ،

ومعنى الشعر بصفة خاصة ، ما ينتهي بنا إلى فهم الرسالة الفنية على وجه ، إذا لم يكن بالفأحد الكمال ، فلا أقل من أن يكون أقرب إلى ذلك الكمال المثلث .

عندى أن الأدب في عمومته ، والشعر بنوع خاص ، رسالة يقصد بها إلى بعث حب الجمال والقوة ، بل حب الحياة في مراحلها المتعددة ، بل حب الوجود في وحدانه المختلفة ، وحب الحق في أية صورة من الصور ، والجمال في أى مظهر من المظاهر .

وما أحسب تأدية هذه الرسالة على وجهها الصحيح يتأتى لأديب أو شاعر - بالغاً ما بلغ كلاهما من الشهرة والدعاية - ما لم تكن صادقة الأدب ، صحيحة التوجيه ، بل ما لم تكن الروح الفنية التي تتجه إلى المثل الأعلى ، خالصة من الأدراخ ، مبرأة من الشهوات ، مفرجة عن الاحتقاد الشخصية ، وهذا الشاعر الذي لا تتأتى له وسائل عرفان ما في الحياة من حق وجمال ، قمين به أن يترك رداء الشعر ، قبل أن يرشح نفسه له ، أو يذهب في الدعاية لنفسه بين قومه به ، فيلبس مسوح الوعظ زوراً وبهتاناً .

ولكي تلمس مثلنا الأعلى في شعر الشاعر ، يجب أن تلمس أولاً مبلغ ما في شعره من تصور للآمال التي تتصل بنفوسنا ، أو وصف للآلام التي تفتشعها قلوبنا ، أو تحديد للرغبات التي اضطرم بها جوانحنا ، بل تلمس فيه الفكرة وهي من الشعر أساسه ، والأسلوب وهو ثوبه الموسيق الجليل ، ومثله وهو ثمرته الناضجة ؛ ولكي تكون حديقة الشعر جميلة بالغة ليكشف لنا الشاعر عما في الحياة ، يجب أن ينهل من ورد الفلسفة ومن ورد العلم معاً ، لأنهما في الحقيقة الوسيطان الفعالتان اللتان يهما ندرك كنه الحياة ، وتعرف إلى ما في مذاهبها المتعددة ، وألوانها المختلفة ، من حب وفن وجمال ، لذلك كان الشاعر الأكثر نهلاً من هذين الوردتين ، أقرب إلى المثال الذي نطلبه ، وأقدر على تأدية الرسالة التي تحملها إياه طبيعته .

الشاعر والعلم والفلسفة

وهنا قلنا للدكتور : قد يعترض على هذا معترض فيقول : إنه ليس شرطاً في الشاعر أن يكون متعكناً من العلم والفلسفة ، لأن الشعر عاطفة ووحى وإلهام ، وكل ما هو عاطفة ووحى وإلهام ، إنما يعتمد على النفس الحساسة ، والشاعرية المدركة ، والذوق السليم ، والقطرة المطبوعة ، لا على العلم أو الفلسفة ؛ وهذا يقال فلان شاعر بالطبيعة ، وفلان شاعر بالصنعة ، وما سمعنا أن الزمن أبى على ذكر شاعر من شعراء الصنعة إبقاءً على شعراء السليقة أجمعين ، فما قولك في هذا ؟ فقال : إنك تعودني إلى خلاف حدث في نفس هذا الموضوع ، أو ما يقرب منه تماماً ، وقد حدث ذلك بيني وبين صديقي « خليل مطران » في أوائل سنة ١٩٣٨ ، وكان مثاره التساؤل عما إذا كان الأدب العربي قديمه وحديثه يكفى لتكوين الأديب ؛ وقد كان موقفي - كما تعرف - موقف المقتنع بأن لا بد للأديب من دراسة اللغات الأجنبية ، والاحاطة بعمر أهل العلم والفلسفة ؛ لئلا يصح تصويره للمثل الأعلى ، ويضمو خياله

ويتجدد فهمه للحياة ، ويتراعى أفقه ؛ ولهذا كان العرب قديماً يقولون : إن الأدب هو الآخذ من كل شيء بطرفه ؛ وكانوا لهذا يضيفون إلى علوم اللغة ، والنحو ، والصرف ، والبلاغة ، والفصاحة ، علوماً كثيرة من سير العرب وأخبارهم وتاريخهم ومواقع بلادهم ؛ ومع اقتناعي بهذا الذى ذكرت فى اعتراضك ، فإنى أقول لك : إن مثل الأديب المطبوع الذى لم ينتفع بالعلم والفلسفة ، ولم يتعرف إلى أدب الافرنج أو اليونان مثلاً ، مثل الشجرة المشرفة التى لا تثمر ثماراً طيبة ، ما لم يرعها صاحبها تهذيباً وتشذيباً ، ويتمهدها رياً وسقياً ، ثم هى تقول : آخر الأمر - إلى القبول ثم إلى تسليم أنفاسها إلى الموت ، فلا يبقى فيها - إن قدر لها البقاء - إلا ألياف من الجذع ، لا تثمر إلا للوقود ؛ كذلك أرى أن مثل أديب الصنعة ، مثل الأرض الجديده ، لا تثمر ثماراً ناضجة - لو قدر لها الإثمار - مهما أتقت فى سبيلها من جهد ومال .

ونحن بالطبع لا نريد هذا الصنف الأخير ، سواء أكان من الأدباء أم الشعراء ، وإنما نريد النوع الأول - أعنى المطبوع - على أن يكون فى الوقت ذاته ، مستكلاً أدولاً الصنعة من علم وفلسفة ودراية بالآثار الفكرية فى الشرق والغرب ، أى يكون قارئاً لشعراء الانجليز أو الألمان أو الفرنسيين أو الإيطاليين أو اليونانيين مثلاً ، حتى يستطيع أن يحقق لنا المثال الذى نشده قومنا جميعاً .

لقد تطورت الانسانية فى جميع مراحلها تطوراً هو أقرب إلى الطفرة منه إلى الترتيب ؛ وهذه المشكلات السياسية ، وهذه الآراء الفلسفية ، وهذه المكتشفات الحديثة ، وهذه المذاهب العلمية المتجددة ، التى قلبت الكون وكادت تغير معالمه ، ولوته بألوان مختلفة من البناء والهدم آنأ ، والترميم والتدمير آنأ آخر ، والاصلاح والتخريب آونة ؛ كل هذه داعية من يتصدى لحمل الرسالة الأدبية إلى تعرف هذا الكون فى مختلف مراحلها ؛ فهذا العصر الذى تغيرت فيه الأرض غير الأرض ، والسماء غير السماء ، لا ينفع فى وصفه ذكر الأمثال ، أو البكاء على الديار ، أو نشدان القافلة ، أو نطلب المرعى ، أو السعى وراء الهودج ، أو البحث عن عين الماء ، أو ما شابه ذلك من أساليب الحياة البدوية ، التى أكل عليها الدهر وشرب .

الومرة الموضوعية

ولماذا لا أزيد القول صراحة نأقول لك : إن أدبنا العربى فى جميع مراحلها كان أدب حوادث ، لا أكثر ولا أقل ؟

وأنت إذ تحاول نفس الفكرة فيه أو الوحدة الموضوعية إنما تحاول عبثاً ، ذلك أن نفس الشعر العربى بالغ القصص ، وهو على قصصه قصير الفكرة ، بينما نراه على قصصه هذا : طويل الغزل والتشبيب ، كثير المدح للأمرء والتحدث بمفاخرهم ؛ أما الفكرة الأساسية فى آتى ترتيبها فى النهاية ، فإذا هى لا تستقر فى النفوس استقرارها المنطقى للمعقول ، وإنما تذهب

من النفس إثر تلاوتها أو سماعها في الفضاء الواسع، ذلك أن الأصل في التقبلة لم يكن التكرة، وإنما كان مجرد النظم والرغبة في استرضاء المدح لا أكثر ولا أقل.

وهم على إكثارهم من التغزل، والتشبيب، والمدح، والفخر، والمجاء، إلى غير ذلك من فنون شعرهم، لم يكونوا يستقيموا للوصف إطالة ولا جودة، ولست أعذرهم في هذا أو آخذ بالرأي الذي يقول: إن حياتهم كانت متشابهة، لأنها حياة بدوية فطرية لا تتعدى الصحراء أو البادية، وإن صلتهم بالمدينتين: الرومانية، والفارسية كانت في حكم النادر.

أقول إتي لا آخذ بهذا الرأي مطلقاً، ولا يحل من تقسى على الاقتناع، لأن هذا الرأي - على فرض التسليم بصحته جدلاً - لم يكن ليضع في أقدام الشعراء قيوداً تمنعها السير، أو يطور أعناقهم بأغلال تمنعها الحركة.

وها نحن أولاء نقرأ في تاريخ الدولة العباسية وشعرائها عجباً، فترام - وقد امتد سلطان المسلمين، واستطاعت دولتهم، وعلت كلتهم، واتسعت أطاعهم - تطوروا من الإقليمية إلى الجامعية، ومن التوهمية إلى المالكية؛ بل أخذوا يكشفون عن أغراض نبيلة، وأطامع أوسع، وأخذوا يجددون في الألفاظ، ويحيون ما اندرس منها، ويضيفون إليها بالبحث والاشتقاق ما استحدث في عصورهم واستجد في عهودهم، ويسجلون ما وصل إليهم من أخبار الأمم القديمة وسير الأمم المجاورة.

أما الآن وقد أصبحنا تفكر بمقول غريبة، ونسهدى في تفكيرنا بمخلفات أجدادنا من دين ولغة وتاريخ وأدب أيضاً، فإن الأمر يبدو شاذاً كل الشذوذ حين نوفر آذاننا بسمع هؤلاء الشعراء الذين ما يزالون يحدثوننا عن لبلى وسلمى ورباب، باكين الأملال والديار، ذاكرين بعد المزار، حائنين إلى عهد الجمل والهودج، والشرعة والرمض، وضارج وحومل. أجل! إنه ليبدو شاذاً تمام الشذوذ، بل اتهاماً لأذواقنا وعقليتنا، حين نقرر أن هؤلاء شعراء. ولهذا لست أعرف على التحديد - إن كان مستقبل الشعر سيكون خيراً أم أسوأ - من حاضره وماضيه، فقد أكون أكثر إيماناً بأن المستقبل للنثر دون الشعر، كما يدل على ذلك حاضرننا وماضينا القريب.

على أنه يوم يتاح لشعرائنا - ونسبهم شعراء تساعاً - أن يجددوا في فنون الشعر، ويطرقوا أبواباً جديدة تشبه تلك الألوان التي نحسها في (شلي) و (بيرون) مثلاً، بل يوم يطول تقسمهم في الوصف والتحليل، والتعمق والاستقراء، والغوص وراء المعاني المالية، والقصص والملاحم، كما كان يفعل شعراء اليونان... ويوم تتلس في شعرهم الوحدة الفنية الموضوعية، وسمو الخيال واتساعه، وتصوير المثل الأعلى تصويراً دقيقاً..... يومئذ، ويومئذ فقط، تنادي بأن المستقبل للشعر.

رأى الاستاذ على الجارم

لو أردت أن أصور لك تلك الجوانب الضافية، التي تتميز بها شخصية العالم الأديب، والأديب العالم، والشاعر الفحل الأستاذ «الجارم»، لطال في القول؛ وحسبي أن أقول لك إنه عالم فذ في فنون اللغة والبلاغة والأدب، وبحاجة بعيد النور في تاريخ اللغة وما يتصل بها من : نحو، وصرف، وبيان؛ وهو حين يزجى إليك رأياً من آرائه، إنما يحرم على أن يدفع إليك الرأي الرصين، والفكرة السديدة، والمقل الراجح، والمنطق المتزن، والقول الفارده، والكلام السهل المنتع؛ ثم هو يحرص - إلى ذلك - على أن يكون رأيه مشفوعاً بالحجة والبرهان، مقترباً بالمنطق والدليل. وقد يكون كل ما يؤخذ عليه أنه - وهو الشاعر الفحل، الرائع اللفظ، العمري المعنى، البعيد الخيال - مقل في قول الشعر، فلا يقوله إلا في أدق ساعته، لا عن عجز، وإنما سمواً به عن الابتذال، وترفعاً عن المهاترة.

فاجأته في منزله بهذه الأسئلة، فأدهشني منه أن يرتجل الاجابة عنها ارتجالاً، كما إنما يقرأ من كتاب أمامه، أو يتلو قصيدة لما يتمها بعد، أو كما كنا على موعد سابق. وهأنذا أقدم إليك ما علق بذهني من هذا الحديث، الذي بدأه بقوله :

قل أمريت موت الشاعر مريم فراغاً؟

إنه لمن العسف كل العسف، أن نذكر أن ثمة فراغاً هائلاً قد حدث إثر موت هذين الشاعرين العظيمين، اللذين أعادا من جديد سلطان الشعر إلى سابق عهده، وبسطا ظل زعامته في الوادي بسطاً؛ على أن هذا الفراغ لا ينبغي أن يصرفنا بحال من الأحوال، عن تلمس الشاعر الجوهول الذي سيصبح أمير الشعر؛ وإذا كان هذا الشاعر المنتظر نسميه الآن بالجوهول ونعبر عنه بالحرف (س) كما يعبر الرياضيون، فإن المستقبل كغيل بالكشف عنه والايحاء إليه.

وهذا الذي رأيناه من تجديد الأمة للشعر : حكومة وشعباً، سيكون باعثاً فوياً على خلق الروح الشعرية الحساسة، وبعث الشاعر الفنان الذي يؤدي رسالته في عزم وقوة، وفي تجديد وتجويد، وفي روعة واقتنان؛ بل أستطيع أن أقول لك إن هذه الظاهرة - ظاهرة التقدير الأدبي للشعر والشعراء - ستحفز الشعراء إلى الابداع في القول، والافتنان في الوصف، والتجويد في البناء، والغوص وراء المعاني الرائعة، وتلمس المثل العالية، وكشف المواطن الإنسانية الدفينة، وتصوير الطوايح النفسية المصرية تصويراً دقيقاً.

وقد يكون من حقى أن اعتقد اعتقاداً تام اليقين، أن الثغرة - التي منبنا بها الآن بعد

موت المعاصرين - أقل اناسا وأصغر مدى من تلك التي أحدثها موت «البارودي» في عصره ؛ وأنت تعلم ذلك الأثر الهائل الذي أحدثته موت «البارودي» في دولة الأدب وبنیان الشعر ، وقد تعلم أن الناس وقتئذ ، قد ذهبوا يتلمسون السبل في تعرف الشاعر المنتظر ، بل راحوا يظنون الظنون ويتنبئون ويتدرون ، فتأبى الأقدار إلا أن تعاجلهم بـ « شوقي » ، ليكون إعجازاً لارهاس «البارودي» ، كما كان «البارودي» إعجازاً لارهاس «الساقي» .

أما كيف تسم « شوقي » ذروة هذا الجهد ، فيعود إلى ما آتاه الله من المواهب الفطرية ، والأخلاق الرضية ، وبسطة العيش ، والجاه ، وانصال بالأمر والعطاء ، وسعة الثروة ، والفراغ ، وهذوء البال ؛ فإن كل ذلك كان سبباً ؛ وأى سبب ؛ في قبضه على صولجان الشعر حتى وفاته . وقد كان « شوقي » مثقفاً بالغ الثقافة ، متذوقاً لكل التدقيق لما يقرأ ويدرس من أدب العرب ، ودواوين العرب ، ولغة العرب ، وأدب الفرنجة ، ولغة الفرنجة ، أضف إلى ذلك ما كان يحفظه من تواريخ الأمم ، وحوادث العالم في مختلف مراحلها ، مما جعل شعره مملوءاً بالأسانيد التاريخية ، والحكم ، وضرب المثل ، والتفنن في الوصف ، والبراعة في التخلص ، وحسن المدخل ، وجمل الوقع .

وقد فاني أن أقول لك : إن أبرز ميزة كانت في أخلاق « شوقي » ، إنما هي ميزة الاستسلام إلى الخالق تعالى ، والرضا بحكمه ، والاطمئنان إلى قضائه وقدره ، اطمئناناً وفرحاً به هذوء النفس ، وطمأنينة القلب ، وراحة الضمير .

وقد لمست هذا كله في محادثاتي معه ، ومن صداقتي له ؛ فمررت منه السرى هذا الينبوع الفائض ، الذي أفاضه الله عليه ؛ فإذا قدر لشاعر أن شعرائنا المعاصرين هذا الذي ذكرت ، فليس من شك في أنه سيصبح أمير الشعر المنتظر .

مستقبل الشعر والشعراء

وتسألني رأيي في مستقبل الشعر ، إذا فسمع :

لا شك أن الشعر سينهض نهوضاً بارزاً ، وقد غار الآن بموامل المدنية ، وأصبح في كثير من نواحيه صورة صادقة للعصر الذي نعيش فيه ، وقد عاد أسلوبه إلى ما كان عليه من روعة في العصر العباسي الزاهر ، وأصبح - مرة أخرى - فنّاً له أصوله ومبادئه ؛ وهو يقال الآن في مختلف الموضوعات ، ومعتمد الأثبات ؛ والشعر له يتوجهون إليه في غالب أحيانهم كما يتوجه رجل الفن إلى قطعة من الفن ، يبرزها رغبة في إظهار مواهبه ، وتنقيتها عما يجيش في نفسه من صور ، ويختلج في ذهنه من خيال ؛ فهو يقول الشعر ، لأنه يحبه ، ولأنه جزء من نفسه ، ولأن الفطرة تدفعه إلى أن يقوله ؛ ولا شك أن ذلك كفيل بالإبداع والاحسان .

هل تأثر الشعر العربي بالثقافة الأجنبية؟

وتقول لي : إن الشعر العربي قد تأثر - إلى حد بعيد - بالثقافة الأجنبية ؛ ولست أخالفك فيها تذهب إليه كل المخالفة ، ولكنني أقول :

إن الشعر العربي كان قليل التأثر بالثقافة الأجنبية ، لأن شعراء العربية أرادوا أن يحافظوا على أسلوب الشعر القديم ومنهجه ، ولم يريدوا أن يدخلوا عليه عاصفة من التجديد تذهب بآثاره ، لأنهم رأوا - وما رأوه حتى - أن كل فن يجب أن يكون مطبوعاً بطابع الأمة ، ملائماً ذوقها العام ؛ ومن الشعر في ذلك مثل الموسيقى ، أرايت لو أدخل على النغمات الشرقية عنصر من النغمات الغربية ، أكانت تطرب لها أذنك ، أم تهش لها ضحك ؟ ... فلكني أمة فنا ، ولكل أمة ذوقها ؛ لذلك حافظ الشعراء - ما استطاعوا - على أوزان الشعر وأساليبه وأخيلته ، ولم يفتلوا التجديد في المعاني والموضوعات ؛ وقد اتسع صدر الشعر العربي لهذا التجديد ، ولم تضق به أوزانه ولا قواعده ، لأن اتساع اللغة وكثرة مفرداتها ومترادفاتها ؛ أفسح الطريق لكل قائل ؛ كينها طال قصه ، وأبعد في مراميه .

أيهما الوعرة الموضوعية الفنية؟

وهنا قلت له : إن أغلب قصائد شعراء العرب والعصر الحاضر خال من الوحدة الموضوعية الفنية ، فما رأيكم في هذا ؟

فقال : نشأ الشعر في الجاهلية الأولى مظهرأ لطبرات النفس وأحاسيس القواد ، وبخاصة حينما كانوا يرتجلون الشعر ؛ فكان الشاعر ينتقل من فكرة إلى أخرى ، ومن مظهر من مظاهر الوجدان إلى آخر ؛ لأن أصول الفن الشعري لم تكن وضمت ؛ فكان الشعر يقال غفو الخاطر ورسالة البديهة ؛ وتستطيع أن تتنقل لذلك بمعلقة « طرفه » ، فقد تنقل فيها من وصف الأطلال إلى وصف الناقة ، إلى وصف محبوبته ، إلى الشكوى ، إلى وصف ملامحه ومجونه ... إلى غير ذلك . واستمر الشعر في صدر الاسلام ؛ وفي عهد بني أمية على هذا السنن ، إلا ما يبرز أحياناً في قصائد الشاعر من وصف الحياة الجديدة التي ابتعثتها الفتنوح الاسلامية ؛ وإلا ما كان من رشاقة الألفاظ وريقتها ؛ مما تأثر فيه المسلمون أسلوب القرآن الكريم ؛ أي أن الأسلوب الشعري الفني تذهب كثيراً واتسع مجال القول قليلاً بفنون جديدة ؛ أما هيكل الشعر ومنهجه ومثله ، فقد بقيت حافظة كياناتها العربي الصميم ، وربما كان من أسباب هذا قرب ذلك الجيل من عبود العرب الأولى . وشدة تعصب الأمويين للعرب والعربية ؛ على أنها ترى في ذلك العصر طائفة احتفظت بوحدة الموضوع في قصائدها ، وهم طائفة الشعراء الغزلين ؛ كعمر بن أبي ربيعة ، وجميل بنينة وغيرها ؛ بمن كان يبنى قصيدته على الغزل من أولها إلى آخرها ، بحيث تكون مظهرأ لفكرة واحدة .

ولما جاءت الدولة العباسية - وقد قامت بخصاصة الفرس وجهادهم - كان للفرس والفارسية شأن يذكر ، فانتقلت الحياة العربية الصعبة من البداوة إلى الحضارة ، وامتزج العقل السامي بالعقل الأدنى ، ونهض الخلفاء في صدر الدولة العباسية بخصاصة العلم والأدب ، فترجموا كثيراً من آثار اليونان والرومان ؛ وكان لهذه الآثار مدى بعيد الأفق في تثقيف العقول العربية ، وإمدادها بألوان جديدة من الأفكار والأخيلة ؛ ونظر هذا الأثر في الشعر العباسي من غير شك ، وكثرت معانيه ، وجددت أخيلته ، ووقت عبارته ، وكان مظهرأ صحيحاً للحياة العباسية ، يمثلها من حيث قوتها ، واتساع سلطانها ، وعظم ثروتها ، ومجالات الأنس والسرور فيها . وقد اتسع نطاق متن اللغة بدخول كثير من الألفاظ الأعجمية بعد أن صقلها العرب بصقلهم ، فامتزجت بلفتهم غير مستوحشة ولا نائية ، وأصبحت ثروة جديدة للغة العربية ؛ وقد كان يكون التجديد أعظم مما شاهدناه ، لولا ميل فطري في قلوب الشعراء للتمسك بآثار آبائهم ، والمحافظة على مباني الشعر وقواعده ، ولولا أن كان هناك مطابقة من النقد على رأسهم : الأصمعي ، وحاد الراوية ، وغيرهما - الذين كانوا يتعصبون للشعر العربي القديم ، ويعدون كل خروج عليه خروجاً عن ذوق الشعر ، وتقصيراً عن بلوغ مداه - فكانوا لا يفضلون على الشعر الجاهلي شعراً ، وكان هؤلاء من النفوذ بين كبار رجالات الأدب وزعماء الدولة الشيء الكثير ، فكان الشعراء يتمعدون ترسم آثار السابقين لينالوا الزلفى عند هؤلاء النقاد .

وأول من أطلق فكره من هذه الأغلال - علي ما أعرف - ابن قتيبة الذي وضع كتابه « الشعر والشعراء » لنقد زيف الشعر ومحبته ، دون تأثر بالتقديم أو الجديد .

وقد حاول « أبو نواس » الخروج على الشكل الدري في بعض قصائده ، فأخذ يهزأ بمن يبيكون على الأطلال ، ويندبون الرسوم في ملائع قصائدهم ، وهو الذي يقول :

صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل حديثك في ابنة الكرم

وله ما يشبه هذا المطلع في النعي على التمسك بالتقديم ؛ ولكننا نراه في بقية شعره يحافظ على هذا السنن ، ويأخذ نفسه به أخذاً ؛ على أن الشعر قد ظهر فيه تجديد في الأوزان في هذا العصر ؛ ولمسلم بن الوليد - وهو من وزن جديد - قوله :

يا أيها الممود قد شئت الصدود

فأت مستهام حالك السهود

تبيت ساهراً قد ودعك المهود

وفي التثؤاد ناز ليس لها خمود

ولنبره - من شعراء العباسيين - أمثال لهذا ، منتشرة في كتب الأدب .

وقد وجد شيء من التجديد في الثقافة أيضاً ، نراه واضحاً في ديوان ابن المعتز .

فالتجديد في هذا العصر حصل في الوزن والثقافة كل على حدة ، ثم جاء ابتكار الموشح

الاندلسي جمع بينهما ، فهو تجديد في الوزن ، وتجديد في التافية معاً ، والموسيقى هي التي دفعت إلى ابتكار الموشح .

الشعر والموسيقى

ومن ثم سألنا الأستاذ أن يشرح لنا العلاقة بين الشعر والموسيقى ، وعما إذا كان في أشعار العرب ما يشبه ملاحم اليونان ، فقال :

كان الشعر لا يدار قياده لثغرات الموسيقى ، فرأى الأندلسيون أن يضموا الثغرات أولاً ، ثم يقولوا الشعر على حواما ثانياً ، وبذلك خضع الشعر للموسيقى ، بعد أن خضعت الموسيقى للشعر طويلاً .

أجل ! إن الشعراء في هذا العصر لم يتجاوزوا الموضوعات المعروفة إلا قليلاً ، فلم يضموا نحو الشعر الخليلي أو القصصي ، الطويل القصائد ، الكثير الملاحم ، البعيد النفس ؛ لأن الاهتمام على ما يظهر في - ترجمة العلوم كان فوق الاهتمام بترجمة الآداب . ولأن اتجاه الشعراء في أغلب مناحيه - كان للتكسب بالشعر ؛ على أن الشعراء في هذا العصر لم يتركوا حادثة ذات شأن من غير أن يسجلوها في أشعارهم . . . وشعر المتنبي فيلسوف يوصف وتأنم سيف الدولة وملاحمه ، ويذكر أن قرأ قصيدته التي استعملها بقوله :

على قدر أهل الزمزم تأتي الزمزم وتأتي على قدر الكرام المكdam
لنعرف أن العرب لم يقصروا في وصف الملاحم وتصوير الواقع ، ثم أقبل بعد ذلك فصيحة أبي تمام في وصف فتح « محمورية » التي استعملها بقوله :

السيف أصبغ أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد والحب

تجد وصفاً متمماً وتصويراً دقيقاً للملاحمة ؛ نعم ، إن هذه القصائد ليست بالملوأل ، ولكنها على قصرها وادنية الغرض الذي سبقت له وقيلت فيه .
فمن المستطاع الآن أن نقول : إن التجديد في الشعر العباسي كان جلياً ، ولكنه حافظ على أسلوب الشعر العربي القديم وصفته ومناخه .

تأثير الشعر

نعم تنتقل الشعر بعد الدولة العباسية انتقالاً آخر ، وكان ذلك تمهيداً ابتداءً من « المعري » أو بعد وفاته بتقليد ، وكان زعيم هذا الانتقال القاضي الفاضل ، فهو مؤسس الطريقة الفاضلية في النثر ، وقد سلك الشعراء طريقها في الشعر ، فأصبحت العناية بالألفاظ وزخرفها وتزيينها متوجه الشاعر وغايته ، ولم يكن البحث عن المعاني وفنارة الأساليب العربية في هذا العصر والذي يستثير اهتمامهم ؛ وهو نوع من التجديد أرادوا أن يسلكوا به طريقة جديدة في صياغة الشعر ، وقد بلغت هذه الصياغة حد كمالها في الصدر الأول من عهد المماليك ، وكان زعيم الشعراء فيها ابن نباتة في مصر ، والصندي في الشام .

وتسألني رأني في هذا الشعر فأقول لك : إننا لم نؤفه حقه من الدرس والعناية؛ وإننا بهرنا بحال الشعر العباسي فأصغرنا إليه جلة ، ولم تأبه إلا قليلاً لقراءة الشعر فيما يليه من العصور . إن شعر عصر المالك شعر مصري في روحه وتزعمته وموضوعاته، فن العناية القومية أن نعتني بدرسه وتحليله والنفوذ منه إلى تاريخ هذا العصر، قبل أن نعتني بشعر بغداد وما وراء النهر . وأستطيع أن أسمى هذا العصر عصر الزينة والجمال ، فقد كان الجمال متمسكاً فيه بكل نفس ، وقد ظهر أثر ذلك في مساجد المالك ومواكبهم ، وما كانوا يتحلون به ويحلون به بحافطهم من صنوف الجمال ؛ وقد كان الشعر صورة لهذا الجمال أيضاً ؛ فكله زخرف ، وكله حلية لفظية ، وكله جمال مبرقش ، تتجلى فيه خفة الروح المصرية ، وتظهر فيه النكتة البليدة بديمة رائدة أخاذة ، تدفعنا - على الرغم منك - إلى المرح والابتهاج الإيناس . مثال ذلك قول « ابن دانيال » الذي كان طيب عيون بالقرب من « باب الفتوح » :

يا سائلي عن حرقتي في الوري واضيعتي فيهم وإفلاسي
ما حال من درهم إنصافه يأخذه من أعين الناس ؟
وقول الجزار ، وقد كان قصاباً بالفخارة :

كيف لا أمدح الجزرة ما عشت طويلاً وأهجر الآدابا
وبها صارت الكلاب ترجيني وبالشعر كنت أرجو الكلابا ؟

ثم تفهم الشعر بعد طائفة ابن فياته ، فأصبح خالياً من جمال الزينة ، خالياً من المعاني ، واستمر به الضعف حتى نهض نهضته الحديثة ، وكانت أول محسنة له في شعر « الساعاتي » الذي ظهرت فيه سمات من الشعر القديم والأسلوب القديم ، وظهرت فيه مجازة عن زخرف اللفظ الذي لم يشفع له شفيهم من حسن الدوق أو خفة الروح ، ثم جاء « البارودي » وغيره فلم يشق له غبار ، وكان في الحق نادرة الفلك ؛ والسبب في نهوضه أنه عني بدراسة شعر السابقين من الجاهليين والأمويين والعباسيين ، ولم يرض أن يقتصر على دراسة عصره ومن سبقهم من الشعراء بأمد قريب ، كما كان شأن غيره من الشعراء .

قال ذلك شأن الشعر حتى أتاح الله للعربية « شوقي » شاعرها الفرد ، وبطلها الفرد ، الذي أضفى علم زمانه ، فأبدع في فنون الشعر ومذاهبه ما شاء له الإبداع ، وجدد كثيراً في معانيه وأمانيه .

ومجمل القول أن الشعر العربي كان فيه باحة للتجديد قلباً أو كثيراً في عصوره المختلفة ، وأن الشعراء حافظوا له جهدهم طاقاتهم - على بقاء هذا كله مصوناً من أن يعث بأركانه عاث ، أو يحس بسوء بنيانه ، فظل طويلاً شامخاً ، وبقي أثره خالداً ، تنقسم منه أريج آباءنا السابقين وأجدادنا الأولين ، وزرهم مفخرة لجدنا العربي ، وبناؤنا الاسلامي ، وروحنا الشرقي ، ومزاجنا القومي . وسبق الشعر - كما كان - تزخر بحوره بما كان للعرب من : أدب رائع ، وخيال ساحر ، وبيان أسر ، وتصوير ماهر .
عبد العزيز . . .

ذكريات وأسرار

شباب الشيطنة أو شيطنة الشباب

من حديث فكاكى جرى

لسعادة شيخ العروبة أحمد زكى باشا

الشاب أحمد زكى أفندى مترجم مجلس النظار فى عام ١٨٩٢ - رئيس الوفد المصرى فى مؤتمر المستشرقين بلوندره ، يطلب العلم ولا يندى أن يطرح الشبكة للصيد - أحمد زكى بك رئيس أعلام مجلس النظار سنة ١٨٩٤ ، يذهب الى جنيف رئيسا لوفد المصرى فى مؤتمر المستشرقين - أحمد زكى بك سكرتير ثانى مجلس النظار فى سنة ١٩٠٠ ، يسافر الى الممرض العام فى باريس ، فيجد « كل الصيد فى جوف الفرا » - شيخ العروبة أحمد زكى باشا يتألق - منذ سنة ١٩٢٨ - فى بناء بيت الله الحكى بحسن الله له الختام بعد سنتين وستين ان شاء الله .

لست أزعم أن شيخ العروبة ، وعلامة الشرق الأستاذ « أحمد زكى باشا » نكرة فأعرفه ، أو مجهولا من القراء فأقدمه ؛ كذلك لا أزعم أن بحوثه التاريخية الجيدة ، أو دراساته اللغوية الطريفة ، أو مراحل حياته المملوءة بجلال الأعمال ، مفتقرة إلى التنبيه عليها ، أو الاشارة بها ، أو الارشاد إليها .

وإنما أزعم لك أن « زكى باشا » الشيخ الوقور ، وصاحب السن المتقدمة ، والعالم الجليل ذا الطود الشامخ فى العروبة ، والقدم الراسخة فى العربية ، كان فى باكورة شبابه قى جريئا بكل معانى الكلمة ؛ وكان يقضى حق الشباب ، كل حقوق الشباب ، أتى أتاحت له الفرصة ؛ ثم يسرح للصيد ، أيا ساقه الهوى أو الهواه ، فيفوز بالغنيمة كما يختار .

ولست أشك فى أننى أفتؤك - أيتها القارىء العزيز - بهذا الذى أزعم مفاجأة ، بل لست أشك أنك ستتهمنى بالمغالاة فى قولى ... لكننى أرجو أن تثريت ، وأن تعلم أن « زكى باشا » على جلال شيخوخته ، وسعة علمه ، وعظيم مكانته ، وعلى ما يحمل من قدس للعربية والعروبة ، إنما هو غير « أحمد زكى أفندى » رئيس مندوبى الحكومة المصرية فى مؤتمر المستشرقين الثامن المنعقد فى لوندره عام ١٨٩٢ م ، ثم فى جنيف سنة ١٨٩٤ م ، وغير « أحمد زكى بك » الذى أصدر لنا فى سنة ١٩٠٠ كتاب « الدنيا فى باريس » ، ووصف فيه مرضها العام . أرجو أن تمتد ذلك ، وإلا فاستمع إلى هذه القصة الجريئة التى قصها علينا الباشا فى أحد مجالسه الحافلة بالأصدقاء من العلماء والأدباء .

وتسألني كيف استطعت استخراج أسرار شيخ العروبة في شبابه ؛ فأعلم إذ أن نشاط الباشا ، ومقدرته على العمل ليلاً ونهاراً ، تجلده يمتد أنه لا يزال في سن الفتوة ... فتراه يغضب إذا ما اجترأت عليه ، وفلت له : إنه شيخ ؛ أو شيخ العروبة . وتراه يرضى كل الرضا ، وتروح منه ضاحكة ، وينطلق وجهه بالبشر والفرح والايأس ، إذا خاطبته بأفقه العروبة ... وقد استدرجته من هذه الناحية الضعيفة فيه ، إى والله ! استدرجته بلباقة حتى جعلته يقول لي :

شباب وفنرة

أراك يا فتي العرب مشرد الذهن ، موزع الفكر ، مضطرب لللب : تستشعر الخوف من الغد ، وتضطرب من ذكر المستقبل ؛ وتلك سياسة لا أرضاها لك ، ولا لأمثالي من الشبيبة العربية ! نحن نريدكم عدة للأمة ، وقوة للشعب . ولن يتحقق هذا الأمل ، ما لم تلاقوا الحياة هاشين باشين ، وتقابلوا عواصفها فرحين باشمين ، وتقاوموا أعاصيرها بقلوب قوية ، وتغوس وثابة ، وروح مشبعة بالصفاء ، مؤمنة بالحق والقوة والجمال .

ألا إن أيامكم عليكم معدودات ، وأمنياتكم في الدنيا محصورات . ألم تسمع قول المعري فيلسوف الشعراء ، وشاعر الفلاسفة :

وما بعد مر الحس عشرة من صبا ولا بعد مر الأربعين صباه ؟
بل ألم تسمع قول صفى الدين الحلي :

حق الصبا دين عليك ، فوفه بالأنس بين خيائل ورداح ؟
أجل ! إن الحياة لأضيق من أن تنسج لهذا التبرم أو ذاك التزمت . ولهذا لا تراني أتفرغ إلى الهوى ، أو أدع الأحران تتلصص إلى نفسي سبيلا ، أو أترك الأوهام تتحسس من قلبي دخيلا . وقد كنت ، وأنا في فجر العمر وضوء الصبا - أعنى في الرابعة والعشرين - كما أنا الآن ، بملأ صحة ، وعافية ، وقوة ، وقوة . وكنت - إلى ذلك - أبسم للحياة ، واستهتر بالدنيا ، وأسخر من المتشائمين .

فلسفة الشباب ...

سألته : ما عهدناك متفلسفاً ولا متصوفاً ، بل باحثاً متمقاً ؛ فنأين ، وإلى أين ، وكيف تتحدث بهذه الفلسفة ؟ فقال :

كانت لي في هذه البادية فلسفة طريفة . فقد كنت أفترض دائماً أن الدنيا مرحلة هائلة ، فينانة سرهاء . وادفة الظلال . فلا أنظر إليها فنار أولئك الذين عجزوا عن إدراك كنهها ، والتمرف إلى مكتوفاتها . بل كنت أعاطع عقلي بعقلي ، فأترع البرهان من قصي لافئاع نفسي

بأن الدنيا تساوى الآخرة ؛ أليس الله تعالى قد سوى بينهما ، فقال لنسا على لسان محمد بن عبد الله نبيه العربي الكريم : « ربنا آتانا الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة » ؟
هكذا كان خيالي ، وهكذا كانت فلسفتي ، بل فلسفة الشباب ؛ فكنت أتهزأ الوقت ، وأهتبل الثمرة ، وأتملك الزمن قبل أن يملكني بحادثاته وصروفه ... بل قبل أن نعصرني أطاصير الحياة عصراً ، ونصهرني آلام الدنيا الدفينة في بوتقتها صهراً ...
وهنا استوقفت الباشا ، وقلت له : إنك تشير في كتاب رحلتك إلى أوروبا « السفر إلى المؤتمر » إلى أشياء ستذكرها بالتفصيل في كتاب آخر وما رأيناه ، فهل وفيت بوعدهك ؟
فقال : إن ظروف الأحوال وأعمال الوظيفة قد حالت دون المرام .

فسأله أن يفضي إلينا بشيء من ذلك ، فقال :

حباً وكرامة ، وسأذكرها بالرغم من أنفك يا خبيث ، ولو أدى ذكرها إلى خجلي من نفسي وأمام قراء مجلتك الذين أجلمهم واعتذر إليهم مقدماً .

بين شره وماريس

والآن فلأرجعن بك إلى عام ١٨٩٢م ، حيث كنت في الرابعة والعشرين من العمر في وظيفة « مترجم مجلس النظار » ؛ أوفدتنى الحكومة المصرية إلى لوندرة لحضور مؤتمر المستشرقين السابع ، ومعى المرحوم الشيخ محمد راشد إمام المعية السنية ، والدكتور فولارس ناظر الكتبخانة الخديوية ؛ فتعرفت بأوربا ، وبما في أوربا ، وبمن في أوربا ؛ وارتبطت بنفر جديد من علماء المستشرقين في إيطاليا ، وفرنسا ، وإنكلترا ، وإسبانيا ، والبرتغال .
وبعد ذلك بسنتين ، أرسلتنى الحكومة الخديوية على رأس الوفد المصرى إلى مؤتمر المستشرقين الثامن المنعقد في عام ١٨٩٤م بمدينة جنيف بسويسرا ، ومعى زميلائى في المدرسة المرحومان صهر بك لطفى وكيل مدرسة الحقوق ، وأحمد شوقي بك أمير الشعراء .

فبعد أن فرغنا من المؤتمر ، ذهبنا إلى بلجيكا ، وفرنسا ، وإنجلترا ، واتهمزت الفرصة لامتاع النفس والقلب والفؤاد بكل ما في لندرا وباريس ، من متع ، ومسررات ، وظلمات أعبر (المائس) بين العاصمتين الكبيرتين إحدى عشرة مرة ، دون أن يصيبنى دوار البحر ، أو يذالنى منه سوء ؛ ولم يكن جل همى من تلك الرحلات ، إلا الاستزادة من العلم ، والتوسع في البحث ؛ على أتى فيما بين ذلك ، كنت لا أضن على تقضى بما تصبو إليه من التطلع إلى كواكب الجمال ، وجمال الكواكب ، في كوكبتنا السيار في ذيك الفلك الدوار .

وقد كنت تعرف أثناء زيارتي السابقة للوندرة بأسرة كريمة ، متوسطة الحال ، لكنهما شريفة السجلات شرقية الخصال ؛ فأضافوني على الطريقة المألوفة عندهم ، في نظير جنبيه انكليزي واحد عن الأسبوع الكامل .

كانت دبة البيت تدعى (مسز براى) ، تستقبل زوارها وزائراتها في مساء الثلاثاء من كل أسبوع . فقدمتني في حفل جامع إلى سرب من الآلات ، وحور من الطلاب فاشكات ، تاه فيها لب البيت المصري ، وثاني أبى خراش العربى (١) ، وجرت في عروقه دماء عربية شرقية ؛ وكان لكلمة مصرى Egyptian أثرها الساحر ، وسحرها الأسر ؛ فقد أوحى إلى نفوس المجتمعات والمجتمعين حشداً من الخيالات الرائعة عن قدماء المصريين ، بل كانت كافية لأن تلهمهم عقلمة (خوفو) ، وجلال (رمسيس الثانى) ، وأنف (كليوباترة) الذى فتن العالم بحاله فسطحه شطرين ؛ وحول تياره الجارف من الشرق إلى الغرب ، ومن الغرب إلى الشرق ؛ بل كانت نسجت إلى مصر الخالدة - يا فتى الشباب - كافية لأن تلهم اقنوم مشاعر النفس المصرية ، وما وصمت به من تهم خرقاء ، أقلها تهمة الكهانة ، ومعرفة العنبر والمستقبل .

قالت آتمة من الآلات - وقد أخذها سحر المصرى الوافد - : وإذا فأت مصرى يا « إجبيشيان » مثل « جيسس Gypsis » ، على معرفة تامة بعلم الكف .
فما هو إلا أن طنت في أذنى هذه النعمة الناعمة ، حتى أخذتني أخذ عزيز مقتدر ، فأجبتها في لهفة وشغف : « أجل . . . أنا مصرى ، ولكن بمعنى Egyptian فقط » . فقالت : هذا تواضع مشكور .

ثم بادرتني بأن بسطت لي عنانها لا للتقيل - يا خبيث - ولكن لقراءة (البخت) . فأنتهيت إلى كفها بسطاً وقبضاً ، وتقليباً وغمزاً ، وحساً وجسماً ، وصرت أتعقل من البنات إلى الراحة ، ومن المعصم إلى الذراع ثم إلى المرفق . وهكذا ظلت أقلب في هذه العروق الكسونية ، وأنرمم ذلك الدم - الأزرق القاني معاً - أستلهمه وأستوحيه ، وأواجهه وأناجيه ، دون أن تلمت تلك اليد البضة من مغالي ورائتي . وما كان لي من سبيل لنظام الاستمتاع بهذه الغنيمة التى صارت إلى يدي ، سوى أن أنظر بعمرقة المخطوط ، وبعلم ماني الكنفوف من خطوط ، إلى دعوى الاحاطة بعلوم الأولين والآخرين ، وإنما أردت بعد أن صارت في يدي تلك الجملة أن أكون على الأقل مثل « عراف الجمامة » (٢) .

(١) في ذلك اشارة الى قول الشاعر القديم :

تسكارتت الطلاب على خراش

فما يدعى خراش ما يصيد

(٢) اشارة الى قول الشاعر الآخر :

جملت لعراف الجمامة حكمه

نقالا : هناك ثقة ، ما لنا

وعراف مكة ان ما نلجاني

فيما حلت منك الضلوع يداني

هكذا صار أحمد زكي عالماً بالكف رغم أنه . . . وللضرورة أحكام قاسية ، لكنها في هذه المرة كانت لطيفة ومؤاتية .

سبحان من قسم الحظ وظ ، فلا عتاب ولا ملامة

قلت له : زدنا بياناً يا فتى العروبة ، أدام الله لك الصحة والقوة والقوة ، فقال : لا أطيل عليك ، فهذا شباب ! ولشباب حديث طويل ، كلما استطلتته طال . وبحسبي أن أقول لك : إنني حين لامست هذه اليد ، سرى في جسدي تيار كهربائي ، ارتجفت له كل أعصابي ، واهتزت منه مشاعري وأوصالي ؛ وكان في هذا التيار نور إلى جانبه نار . . .

كانت الساعة رهيبة ، وكانت الحنة شديدة ، فماذا أفعل ؟ لجأت إلى حيلة وسوس بها الشيطان الخناس ؛ فكان فيها بعض الخلاص ، ذلك أنني قلت للمجتمعين والجميعة : سأصدقكم القول ، لكن لي شروطاً : أولاً أن تكون الشمس بازغة ، حتى أتبين الخط الملتوي من الخط المستقيم على ضوء النور الرباني . وثانيها أن يكون حديثي مقصوداً على مقصودات الطرف . وثالثها أن أتريد معرفة ماضيها . . . وحاضرها . . . ومستقبلها . . . تبدأ بدفع الاتاة المقدسة ، وهي من رمز الشمس أي البياض ، بما لا يزيد على نصف شلن من القصة المسكوكة ، أما الذهب فهو أصفر العين ، ولا قيمة له عند معاشر العرافين ! ورابعها أن أعلم الحاضر والغائب أنني لا أعتقد هذا العلم ، ولا أصدق ، وأتني إنما أقرأ ما أراه في الحياوط ، كما أنكم تقرأون كتب الجوس ولا تصدقونهم .

فوافق الجميع ؛ وكانت حيلة مني لكي يتسع لي الوقت للتكبير في الأمر ، وتديير المكر . وهنا أدرك « فتى العروبة » شبه الصباح ، فسكت عن الكلام المباح ؛ لكنني طودته واستدرجته باسم شبابه الدائم حتى بلغ بنا في جمعبته من أسرار الانحلال ، قال :

كانت الساعة رهيبة ، وكانت الحنة شديدة ، وفي صباح الغد ، لم تتخلف واحدة من أوانس الأمس وعقائمه ، بل زاد عددهن بسرب من الصويحبات الصباح .

وقد كنت أمضيت ليلتي في الاستعداد بطريق الاستعداد ؛ ذلك أنني حصرت ما في الوجود من آماني النفس ، ورغبات العواذ ، وملهيات الأحاسيس ، وآمال الانسانية في مراحلها المتعددة . فوجدتها ، على اختلاف ألوانها ، وتعدد فنونها ، لا تخرج عن أمر من أمور الحب والزواج ، أو طول الأجل وكثرة الأمل ، أو طيب الرفاهة والتهافت على طلب المال ، إلى ما في طبيعة الناس من السعي وراء السعادة والكسح لاجتناب الشقاء ، أو صرف الهمة إلى الجاه

والعظمة ، إلى ما هناك من سائر أنواع الطموح .
فكنت كلما تناولت كفاً ناعمة ، تجسست للنفض هنا وهناك ، ثم أخذت أتوسم الوجه ،
وأستشف الملامح ، وأحديق النظر في الأسارير . وأستشرف ما وراء العين ، ثم ألتقي بكلمة
حينئذ كانت ، وكيفما اتفقت ، أي كما تحظر على البال من غير تفكير ولا دوية ، لكنها كانت
عفو الخاطر . فكنت أنزجهم عما يلبس الأطفال من أحوال ، فإذا صادفت أرتياحاً ، انتقلت إلى
ما قد يحصل عادة للفتاة في خدرها ، ثم في مدرستها ، ثم في غيظاتها لأنراياها . فكان لي
عجال فسيح في القول والتقول ، وفي الكهن والتكهن .

فقلت : وكيف أمنت يا أستاذ الوقوع في الخطر ؟ فقال :
من أعجب العجب أتى كنت صادقاً في كل نخر صائى ، موفقاً في كل تكهناتى .
فمن فتاة شيطانة كادت في صباحها تحرق بيتها بشعلة ، ينأى تقرأ الرواية الغرامية في خلعة
من أبويها ، إلى فتاة خبيثة في المدرسة ، إلى أخرى خائتها صديقتها . إلى رابعة عشت بها صاحبها
فهجرها بعد أن أفرغت له قلبها دون شيء آخر ، إلى كل ما هو عاذى مألوف لكل إنسان وإنسانة .
فهذه وصلها خطاب رفيق رفيق منذ أسبوع ، وتلك سترقص الليلة مع فتى تهواه وبهواها
فيحول العذول دون إتمام الرواية ، وهذه زوجة مات لها ولد فكانت تموت فأناح الله لها
فرصة السوى بصديق يخدم الانسانية بكل ما في وسعه ! إلى والدة أخرى ضحت حياتها
من أجل ولدها فكان جزاؤها منه المقروق .
أما هذه السيدة فيجب عليها أن تشتري رابع ورقة يا نصيب من رابع بائع تراه أمام البيت
الرابع في الشارع ، بشرط أن يكون في الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الأربعاء .
وهكذا وهكذا من أباطيل الاختراعات ، ومن اختراعات الأباطيل .

فقلت : لا شك أن « فتى العروبة » أصاب حظاً طيباً من المال والجمال ؟
فقال : رحم الله تلك الأيام ! فقد كانت لي جلسات ممتعات في كل بهو وردة ، وكنت
لا أفتح البخت إلا للصبايا ، وكان نجاحي - في أكثر الأحيان - منوطاً بالخدام ، فإنها بعد انتهاء
كل جلسة كانت تقبض ما يجتمع أمامي من أنصاف الثلثات والثلثات الكاملة ، فكانت لها
مصلحة في أن تكون لي خير معاون . نضر الله وجهها البسام !
ويظهر أن بعض الرجال حسدني على ما نالني من إعجاب الأوانس والمقاتل ، فقامت مؤامرة !
ففي ذات صباح ، أجمعت الكواكب على أن تعرف الأسرار لكوكب آفل في شخص
عجوز قد أكلت الدهر وشربت عليه : خلقة شوهاء ، وعظام بتره ، وسحنة خرقاء ، درديس
قوهاء ، وأتوثة عجفاء ، عينان جاحظتان ، ومنخران واسعان ، ليس إلى قاعدتهما من قرار ،

ولا إلى احتلال بحر الاشداق من فرار ! فأحاطني الأسى بجملته ، وحط على الهم بكأسه ؛
لكن إبليس تراءى لي في شكل قطرة سوداء ، مرقت كالسهم الخارق ، وإذا بوسوسة خبيثة
دارت في خلدي ... فقلت لجدة جداتي : « أرى أنك قتلت ولدك ، ياسى ... » .

وإذا بتلك التغرور الباسمة تفضحك في خبث ومرح ، وتطارح في دلال وخفر ، وتغامر بسخرية
وفرح . فكنت أذهل وأنفل ، وتحققت وقوعي في الخطأ والخطل ؛ لكن السكواغب الأتراب
وثين لحالي ، فبادرن لإسماعلي بقولهن :

« في هذه المرة ، كذبتك عليك وخاتك قراءتك . أم كيف تحدثنا بأن هذه الآلة
قتلت وليدنا وهي لا تزال بحتم رها ؟ » .

على أتي صمت وأصررت ، وتبلدت وتجلدت ، وتشددت وتمندت ، إلى أن كبرت
وكاذبت وألححت ...

هل رأيت الصخرة الصماء تتحول عن مكانها ، مهما هاجتها الرياح ، أو لامتها الأمواج ؟
أردت أن أتمهي من هذه المهزلة ، بعد أن قد ظفرت بما أريد ، وبكل ما أشتهي ، وبعد أن
فرغت من تمثيل الدور الذي اندفعت إليه لحاجات في نفس يعقوب .

وإذا بالأمر غير المنتظر ، وإذا بالداهية الدهيئة ، وإذا بالمجوز الشطاء ، تقول بشجاعة وفي
سيل من الدموع ووابل من العبرات : سيدي ، أنت صادق ، وقراءتك حق ! فقد أغواني
شيطان من شياطين الانس ؛ وما راحت السكرة وجادت السكرة ، حتى ظهرت الثمرة المرة ثلثت
بيدي حشاشة كبدي ...

وكان منها بكاء ، وكان منهن استغراب ، وكان مني خجل واستحياء ، ينالني غار الانتصار .

فقلت لفتى العروبة في ذلك العهد البعيد :

« لانتك أن منزلتك قد علت عند القوم ، بعد ذلك اليوم ؛ فهل واصلت استغلال الموقف

أم تخرجت فترجعت ؟ » فقال :

قاتلك الله يا خبيث ! لكأنك على نية التناكر على أنت وقراؤك ؛ لكن بالرغم منك أقول
لك : إن الله لم ينعم بالسذاجة على الشرقيين وجدعم ، بل التدجيل بالسر والباطل أمر
شائع ذائع عند الافرنج ، كما كان في بابل ومنف ، وكما هو فاش في فارس وبلدان ، وكما هو
ذائع في النوبة والسودان ، وكما هو مستقر في اليمن والشام ، حتى مطلع الشمس .

فقلت : بالله حدثنا عما قد يكون حصل بعد ذلك .

فقال : إن الرجال الذين كانوا يحضرون هذه الاجتماعات ، قد أخذتهم الغيرة ، فجاءني

حدهم ، (وكان ناظر مدرسة الهندسة ، أو من كبار أساتذتها على ما أذكر) ، فقال لي :
أأنت مؤمن بهذا العلم ؟ فقلت : كلا ، ولكنني أقرأ ما أراه مسطوراً على الكف بتأثير
المخ على الأعصاب ، من الحوادث التي تقع لصاحب الكف ، وقد توصل الأندمون إلى هذه
النتائج بطريقة الاستقراء . وأنت أنت تقرأ ديانة البراهمة والبوذيين والوثنيين ، وتهمهم معانيهم
ومراميمهم ، فهل أنت مصدق لهم ؟

وبهذه الجوابات ، وبذلك المحاولات ، ازداد الرجال حقداً فأغروا السيدات : فأجمعن
أمرهن على أن أخالف القاعدة مرة واحدة ، فأتنازل لقراءة كف رجل واحد ، وقع عليه
الاختيار من بالاجماع .

فصدفت وتمنعت ، لكنهن أصررن إصراراً ، وهددنني بالصد والاعراض ، ثم تراجعن
إلى الرجاء ، وأنت تعلم قول الفرنسيين : « إن ما تريده المرأة يريد الله » فكيف لي وقد
اجتمعت كلّة النساء ؟ إذن ، لا مناس ولا خلاص ، والأمر لله ... أمسكت بيد الرجل (وأنا
أريد أن أخنقه) ثم نظرت في وجهه ، وحدثني تشي بأن للانكليز مستعمرات لا تقرب
عنها الشمس ، وأنهم مفلطرون على اقتحام الأخطار ، وعلى السفر في البحار ، والتنقل في
البراري ، والتوغل في المهام ، والتوغل في الجبال . وإذا بلساني يندفع فيقول من حيث لا أشعر :
لقد سافرت يا سيدي ... وسافرت سفراً بعيداً ... ولم يكن ... سعيداً ...
وهنا بدت على وجوه الحاضرات علامات الارتياح لقولي ، فتشجعت ، وقلت له :

إنك لا قيت تعباً ، وتبشمت مشقة ! ... كان سفراً بعيداً . حالت في البلد الثاني علا
رفيعاً ... أحرزت في آخر الأمر ثروة طائلة ... أوه يا عزيزي ... لقد كنت في الهند ... !!
أليس كذلك ... ؟ ثم غرقت السفينة ، فضاعت كل أموالك .

وهنا زاد القوم إيماناً وزدت تضليلاً . وقد كان ذلك من ضلال الشباب فتركني يا خبيث .

وأنا أقسم بالله أنه لم يحصل شيء سوى جس النبض ، ولم أقع في محذور لا يرضاه الشرع ،
بل كان شيطان الشباب كله فتنة ، وكله إغراء ومطيش ، دون أن يكون وراء ذلك خطيئة
تدعو إلى الاستغفار ، والله على ما أقول شهيد ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وإلى هنا أمسك عن الكلام ، وماد إلى الاقابة والاستغفار .
فأسرعت بالخروج من بين يديه ، وجلست إلى مكتبي لتسطير هذه الذكريات الطريفة قبل
أن يذهب شبحها ، أو تصيب كلماتها . ولعل شيخ العروبة لا يغضب على قتي العروبة ، ولا
على صديقه .

أدب الاسكافي وأسلوبه اللاذع

من حديث شائق وآراء طريفة

للككتور - أحممر فرببر رفاعى

مدير المطبوعات الأسبق

وهكذا تجدد المسألة ، ويتغير مجرى « الأحاديث » ، وهى فى جوهرها تتجه نحو غاية واحدة ومثل واحد، ذلك هو رفع الثقافة، وتحلية المعرفة، وتنمية المدارك بالمعلومات الحديثة . ولابد لنا للدكتور ولعم - وأى ولعم - بعلم التاريخ وأدبه وفلسفته؛ ولعل المجموعة النفسية التى تحتويها مكتبته فى هذا الباب ، تكاد تكون منقطعة النظير . . . زرناه فى الأيام الأخيرة فألفيناه يقرأ كتاب « معجم الأدباء » لياقوت الروى طبعة الأستاذ مرجليوث ، ويقرأ بصفة خاصة فذلكم عن الحسن بن على الاسكافى ؛ فأسمعنا قطعاً من التهكم الرشيق، والأدب اللاذع، ذكرتنا بأساليب كتاب الغرب فى هذا النوع، ثم جر بنا الحديث إلى ما فى اللغة من دقائق جديرة بالإذاعة ، وإلى ما يجب عمله فى سبيل إذاعتها على نحو يستفيد منه النشء قائدة كبيرة ، ويعترف منها إلى مناحى الأساليب الطلية ، وليقف منها الناطقون بالضاد على ما فى لغة الآباء والأجداد من روعة وملاوة وحلاوة .

ومن ثم استقر بنا الرأى على ضرورة وضع سلسلة رسالات صغيرة جيبية عن كبار رجال الأدب ، وأئمة اللغة والبيان ، ومطبعة النقاد فى العرب .

ثم انتقلنا إلى شئون شتى فى مختلف العلوم والفنون ، وجمهرة من الآراء العلمية الحديثة ، وحشد من مشاكنا فى الاقتصاد والمرأة والحياة .

وقد رأينا أن نرجىء هذا الجزء الأخير على أن ننشره فى العدد القادم ، لما فيه من : روعة، وملاوة، وبعد نظر ، ودقة تصوير ، قاصرين حديثنا الآن على أدب الاسكافى المحرد

قلت للدكتور : أريد أن تحصر فكرى معى فى أدب الاسكافى وأسلوبه، وأن تترك تحقيق نسبة الآن ، وأن نرجىء الحديث عن مشاكنا الأسرة وحياتنا الاقتصادية إلى فرصة أخرى . فقال : « أنت يا صديقى ترغمنى على التحدث عن الأدب إرغاماً ، وأنت تعلم مشغوليتى ومهمتى فى إدارة قسم المحاضرات ؛ ولست أعلم السر فى قطع حديثنا عن مشاكنا فى الأسرة والاقتصاد ، سوى أنك أديب بالطبيعة ، وبعبارة أصرح ، أديب بالرغم منك ، تفضل الأدب على كل شئ آخر ، وأعتمد فى رأى هذا على قول (لمبروزو)

وأنت به جاد خبير، فلقد كتب عن العبقريّة كتاباً يعتبر المرجع - حتى الساعة - في هذا الموضوع الخطير، كما كتب كتاباً في الإجرامية هو الحجة في فلسفة الإجرام : فثم المجرم بالطبيعة، والمجرم بالمادة، والمجرم بالصدفة، والمجرم بالبيئة ... الخ. فعلى هذا النمط يجوز لنا أن نقول : هناك أديب بالطبيعة، وأديب بالمادة، وأديب بالقراءة ... وهلم جرا .

فقلنا للدكتور : نرجو أن تعود بنا إلى الاسكافي، أو إلى قطعة من قطعه . فقال : قد لا يهم قراءك أنه الحسن بن علي، وأنه ينتهي إلى عبد الملك بن ناهوج، ولكن قد يهم قراءك أن يعلموا أنه كاتب بالورثة، ومن بيت كتابية وأدب وإشراف على الرسائل الديوانية، وما علينا من الفضول في التحليل والشرح والنقل وما إلى ذلك، ولنتكطف لك الآن قطعة ... ولعلك تذكر ما كان بين (جيتة) و (شلر)، أو لعلك تذكر رسالة الجاحظ عن التحاسد بين الكتاب والأدباء ... فاقراً إذاً رسالته الخالدة إلى القاضي الفاضل عند قدومه من مصر إلى الحجاز، يسأله فيها شيئاً من رسائله اختتمها بقوله :

« فصار مثل هذه العوارف التي أقنصر في ذكرها على الإيماء، وقوفاً مع محمد سيدنا - أطال الله بقاءه مبسوط اليد في عباد الله بالفرض، مقرضاً له غناه همه فيهم أحسن القرض، منجرأ لهم ما وعد، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض - عند الخادم؛ ومثله كالبیت من القريض قبل القافية، والمريض الذي مطلته الأيام بالعاقبة؛ فلا يكمل ذلك ولا يروق، ولا يتطرب به المشوق، ولا يترنم به الكشير، ولا يتسلى به الغريب، دون تمامه، وتكافئ أجزاء نظامه، وعبقه بمك ختله، ولا يحس هذا بلذة على الحقيقة وإن شرفت، حتى يجد روحه روح الشفاء، فيدرك مزيتها بطرق الصحة، ومروءتها بحاسة صحتها، وتساعفه الأقدار بتكليفها لك وجمعها .

وما أسفى إلا عليها فأتى
بقرطاسها لا بالدنانير أكلف
فجد لي بما أهواه منها فأتى
سألخفي استيهابها وأكلف
وما هذه الأهواء إلا غرائز
فبيح لدى قتادها المتكلف

وإن كان الخادم عن حال من شرف بهذا من أغنى الناس، ولم يكمل بعدته الاستثناس، فليس له أن يكون معترضاً، ولا أن يتلقى ذلك بنير التلميم والرضى، فإن الخدمة السامية هي التي يبين لديها الأقدار، وبأفعالها ترتب المنازل وتتفاوت الأخطار، وكنت عند كوني بحرو، عرض على شيخنا غفر الدين أبو المظفر عبد الرحيم بن تاج الاسلام أبي سعد السمعاني - نعمدها الله برحمته - جزءاً يشتمل على رسائل للحسن القطان إلى الرشيد الوطواط، بحشوة بالسب له والتلب، نصريحاً لا تعريضاً، ويلزمه الحجة في أنه نهب كتبه، وسلبه نتيجة

عمره ، ويستحب الله عليه ، وضاق فطاق الزمان من تحصيلها وكتبها ، وقلت :
 وكم منية خلقت خلفي وبغية ومن حاج نفس حال من دونها اترك
 إذا ذكرتها النفس مت وأزمت وودت لفرط الوجد أدركها الفتك
 سلام على تلك الديار وقدست نفوس عثوا لها قوى العلم والنسك
 وبقيت نفسى إليها متعلمة ، وإلى مكنونها ملتزمة ، فظفرت برسائل الرشيد محمد بن محمد
 ابن عبد الجليل المعري البلخي المعروف بالوطناء ، متضمنة لأجوبة يدل آخرها على إضراب
 القنطاز عن تهمة ، والاذعان بإبراه ساحتها .
 بل اقرأ قوله :

« إن شرمنا في بني آدم من الخصال الذميمة ، والأفعال الذميمة ، إيذاء الصغار
 الكبار ، وإعجاش العبيد الأحرار ، وهذا له - أدام الله فضله - جلة فطر عليها ، وطبيعة
 استرسل معها ، وسجية شهر بين العامة والخاصة بها ، يشتم كل يوم في منزله ومكانه ، وعلى
 سدة داره وطرف دكانه : خلقاً كثيراً ، وجماً غفيراً ، من الرافعين قصصاً إليه ، والعارضين
 عليهم عليه ، فيرجعون وجفونهم منصوب عبراتها ، وقلوبهم تنصد زفراتها ، لما يلاقون من
 سوء خلقه ، ويقاسون من خشونة فلقه ، ويقفلون وألم ذلك التهجم والاعراض ، والوقعية
 في الأحصاب والأعراض ، أشد عليهم من ألم الأسقام والأمراض ؛ ولهذا جعل شخصه ، وصيّر
 نفسه - مع أنه أفضل زمانه ، وأعلم أولاد أقرانه - فحكمة الأذاني والأصمى ، وسخرة للأذئاب
 والنواصي ، حتى صار بحيث إذا مشى في الأسواق ، ثمادى صبيان البلد حوله ، فيسخرون
 منه ، ويضحكون عليه ، وينعرون في قتاه ؛ ولا أقول فيه - أدام الله علوه - إلا ما قال
 الخليل بن أحمد الفراهيدي في ابن الملقع ، حين رأى كمال فضله ، وقصان عقله :

« علم وائر ، وعقل ناصر » ؛ ومن قصود عقل ابن الملقع أنه من بيت النار - وكان من
 أولاد كسرى - فتنفس الصعداء ، وتمثل بيت الأحوص بن محمد الأنصاري :

يا بيت حائكة الذي أنزل حذر العدى وبه النواذ موكل

فاتهم بالجوسية ، فألقى في تنور مسجور فأحرق ، وما أصدق من قال : « قيراط عقل ،
 خير من قنطار فضل ، ومتقال حلم ، أنفع من مكيال علم » . أنكر - أدام الله علوه - رشاد مذهبي ،
 وإنكاره ضلال ، وجحد سداد سيرتي ، وجحوده باطل محال ؛ فيا ماير الله جمجمة فرخت فيها
 الأضاليل وباضت ، وبأسكت الله شقيقة دفقت منها الأباليل وفاضت ؛ ولا أعنى بهذه
 الجمجمة إلا جمجمته التي لا عقل فيها ، ولا أريد بهذه الشقيقة إلا شقيقته التي يباينها الصدق
 ويضاهيها ؛ حتى متى يتبهني بظنه ؟ وإلى كم يجرعني دردى دونه ؟ أيحسب - أدام الله علوه -

أن ظنه الباطل وخياله الفاسد ووجه الكاذب، وحى من السماء إلهي، أو إلهام في الحقيقة رباني، أو أنه تثبت بها روح القدس في روعه، لا بل هو واحد من أبناء زماننا وهذا شر الأزمنة - عجم الشيطان، عوده غاستلانه، قصير خزانة خياله مكانه، فهذه الظلمات التي تختلج في جنانه، وتدور حول حسبه، من تلك الخيالات الشيطانية - لا من الإلهامات الربانية.

ولقد بلغني من أفواه الرواة، وألسنة الثقات، أنه - أدام الله عاره - أخذ بعين هذه التهمة الكاذبة - قبل هذا - واحداً من أعيان جلده، وسكان بلدته، وهو مسعود بن المنتخب - رحمه الله - فأغار على أهله وبيته، وتعرض لحبه وميته، وخرب دوره ورواحه، وغصب أثاثه وبعاه، من غير حجة صحيحة، ولا بينة أوفى، اللهم اصبر العظام على الطامة، وخذ منه للعالم حتى يرضى عنه يوم القيامة.

وما أفتى منه العجب، أن عهدي به - أدام الله عزه - قد كان يخرب الأبدان، فما هو الآن يخرب الأوطان، وما أسرع الدهر إلى تغيير البصر، وما أقدره على تبديل الصور والصور؛ قرأت في بعض الكتب: أن خليفة من الخلفاء رأى في منامه أن واحداً من ثمائه وثب عليه ليقتله، فلما أصبح استدعى النديم وأمر بقتله، فقال له النديم: ماذا فعلت حتى استخرجت هذه العقوبة؟ قال الخليفة: ما فعلت شيئاً، ولكن رأيت في المنام أني تقتل، فقال له النديم: إن يوسف بن يعقوب - صلوات الله عليهم - مع كونه صديقاً نبياً احتاجت رؤياه إلى تفسير، وانتشرت أحاديثه إلى ثأويل وتفسير، أفستمن رؤياك من مثل ذلك؟ فضحك الخليفة وخلاه، وأنا أقول: هكذا ظنون جميع ذوي الألباب، معرضة للخطأ والعدو، كأنه - أدام الله علوه - تردد من بينهم بذاته، وتوحد بعظمة صفاته، فقرهت ظنونه عن السهو، وتقدس أحاديثه عن اللغو، عسما الله من الكبر البائن، والمعجب الشائن؛ أما حان أن ينتبه - أدام الله علوه - من غفلة، ويستيقظ من رفته، وقد بلغ غاية شببه، وأخذ الموت بلحيته وجيبه، يقرع كل ساعة منادى الفناء، في أدته الصبا، أن اترك أوطانك، واهجر أهلك وجيرانك، وارحل إلى جهنم بخيلك ورجلك، فإنها قد أوقدت نيرانها لأجلك؛ وما حرم جهنم على شيء كحرصها على إحراق شيخ غوي، وهم عب، سيء الخليفة، مذموم النورية، يظهر بالاثم والعدوان، ويتبع خطوات الشيطان؛ هو - أدام الله علوه - بلغ ساحل الحياة، ووقف على ثفة الوداع، وهم بحر عمره بالنضوب، ومال نجم بئانه للغروب، فما فاته: هل في الحياة طمع، وقد بليت جدته، وفيت مدته، وتراجع أمره، وآتى على الثمانين عمره؟

أرجو الفتي عوداً إلى طبيعته وقد جاوزت رأس الثمانين سنه؟

كتبت هذه الأحرف على سبيل الأمودج، والجواب بعد في الجراب، والسيف لم يسلم

من القرباب : فان انزجر - اذام الله علوه - واقمظ ، وترك التفظاظه والغلفظ ، وعاد إلى كرم
العهد وصفاء الود ، فأنا خادم مخلص وعبد مطيع وتلميذ معتقد
والأفعندى للعدو وقائم تزيه المنايا لا يتأدى وليدها»

والآن يحلولى أن أتقل بك ، بعد أن سمعت - فى أثناء واعلمثنان ، وفى استشعار بروعة
الأسلوب ، وجمال السبك ، وفى مجانة - ما تضمنته تلك الملح والفرر والدور من تهكم لاذع ،
ونكتة بريئة ، وقدر مر ، ولكنه محبب إلى النفس ، خفيف الوقع على القلب ، ومن مثانة
فى رصانة ، مع دقة وصف ، وجمال وقع ، وحسن مدخل ، ومائية أسلوب ، وطلاوة عبارة ،
وفراغة معنى ، وصفاء غلالة .

الآن يحلولى أن أتقل بمقلك الرشيد ، وذهنيتك الفذة ، وثقافتك العالية ، لأطلب إلى
خيالك الخلق ، وإلى ثروتك الأدبية الرائعة ، وإلى مكنتك التحليلية العلمية : أن تقارن تهكم
صاحبنا وخفة روحه ، بالأساليب المستحدثة : كأسلوب (جيروم جيروم) : بل لتقارنها
بالأسلوب الرائع الفنان الذى استحدثه نابغة الأدب المصرى وزعيم المجددين الدكتور طه
حسين... وكذلك يحلولى أن تقرأ الجاحظ فى نواح متعددة من رسائله ، لا فى رسالة والتدوير
والتربيع « التى عنيت أنت بها لحسب ، بل فى كتاب « الحيوان » وشئى رسائله ، ولك - بعد
ذلك - أن تقول ليس بعد الاوهاس إلا الاعجاز ، ولك بعدئذ أن تطلب إلى وزارة المعارف
ألا تحرم الأدب العربى والثروة العربية التى تدرس فى المدارس الآن من أمثال : الصيرافى ،
والاسكافى ، والطبرى ، والمسعودى ، والجاحظ ، وابن المقفع ، والعماد الاصفهاني ، وغيرهم
من حملة البيان ، فى لغة البيان ، ولغة القرآن .

ولى أمنية فى مكنتك أن تضطلع بها ، لما عهدناه منك من عزم وجلد ، وما خبرناه فيك من
دأب فى القراءة ، ودراية فى أغاين العلم والأدب ، ولما أضفى لمجملتك من قيمة علمية فى متعدد
الأوساط العلمية ، وأرق الهيئات الاجتماعية ، حيث أضحت فى الطليعة ، وأصبح قرأوك
كثيرين فى مختلف البلدان الشرقية ... أطلب إليك فى قوة وحزم أن تدافع عن ختام هذا
الحديث ، وتعمل قدماً فى سبيل نشر القراءة النافعة ، وبعث الثقافة الصحيحة ، والله وحده
يتولى جزاءك ، إذا لم يكن فى مصر من يقدر مثل هذه الأعمال الجليلة ، وهذا النوع من
الصحافة العلمية الراقية ، والبحوث العالية الرقيقة ...

« المعرفة » ليس للمعرفة أن تنطق على حديث العالم الفاضل الاستاذ الدكتور فريد رضى ، بأكثر
من أنها نرجو لو يتيح لها القدر ، لتحقيق هذه الامنيات الرنية ، والرغبات السامية ، التى حملها خاطبها
الاستاذ الدكتور .

التربية في الأسرة

بقلم الأستاذ أحمد فهمي العمروسي بك

عناية الامم الراقية بالتربية

تعنى الامم الراقية بتربية أبنائها وأخذها إياهم بأفضل أساليب التربية والتعليم حتى يشبوا ويرعرعوا ؛ ذلك أنهم يؤمنون أصداق الإيمان بحسنات التربية والتعليم ، وأثرها البالغ في النفوس ، ويملقون عليها أكبر الآمال في تحقيق سعادة الوطن وبنيه .
وليس أدل على ذلك الإيمان ، من أن قادة الفكر في تلك الامم يجمعون على أنه يستحيل على امة أن تأتي عملاً جليلاً ، أو تنفذ فكرة خطيرة ، إلا إذا اعتمدت في المضي فيها تصبو إليه على التربية والتعليم ، وذلك بالرغم من تعدد المذاهب وتباين الآراء في هذا العصر ، الذي أصبح مجالاً لمناوح الأفكار ، ومتنازع الآراء .

(1) فرجال الدين يقولون : إن مستقبل الدين يتوقف على التربية والتعليم ، (ب) ورجال السياسة يعتمدون عليهما في تغليب آرائهم واختصار أفكارهم ، (ح) والمستثمرون من سواد الناس يرون في نشرها بين طبقات الشعب فوزاً لقضية الأخلاق ، وإعلاء لشأن بلادهم ، ورفعاً لمكانتها بين الأمم .

دولة الطفل

لذلك توجهت أفكارهم جميعاً إلى الطفل ، فحاطوه بسياج من العناية والرعاية ، وغذوه بالمعلومات النافعة المهدبة ، التي تهي بحاجات الفرد والمجتمع معاً ، حتى أصبحت كل أسرة - في السهر على أبنائها وتعهده شئونهم - كالزارع اليقفد النشيط الذي يتعهد غرسه بالحرث والسقي ، كي يأتي في الند بأوفر نتاج .

وقد صدر الكاتب الفرنسي (فيليكس توما) كتابه « التربية في الأسرة وذنوب الوالدين » بدعاية ممتعة استهلها بقوله :

« بينا محالكم كثيرة تهى وتدول ، إذا بالقرن التاسع عشر يرى دولة جديدة نشأت بين أحضانها ، وأخذت قدمها ترسخ فيه يوماً فيوماً ... تلك هي دولة الطفل » .

من هذا نرى أن القرن التاسع عشر امتاز على ما تقدمه من القرون بأنه عصر الطفل . فالشعراء في فرنسا - من عهد (فيكتور هيجو) إلى اليوم - اهتموا جد الاهتمام ، وعنوا أيما عناية بدراسة نفسية الطفل النامضة ، وميوله المثيرة ، وأفكاره المتقلبة وراقبوا صعوده تدريجياً من عالم الظلمة والظلمة إلى عالم الوجود والنور ، وقد حذا حذوهم في ذلك : الكتاب ، والفلاسفة ، والعلماء ، والأطباء فالتفوا جميعاً حول مهد الطفل ، يرقبون حركاته وإشاراته وإقساماته ،
(٣ - ٢)

ويدورون تجاريهم حتى أخرجوا للناس صورة حقيقية للطفل ، تختلف تمام الاختلاف عن الصورة التي صورها له علماء القرون السابقة ، والتي كان للخيال والمبالغة فيها أكبر الأثر .
 أجل ! وجد في كل جيل من الأجيال السالفة كتاب وشعراء أحبوا أبناءهم حباً عظيماً ، وحنوا عليهم حنواً كبيراً ، فدرسوا طباعهم ، ونزجوا عن عواطفهم ، مثل (بلوتارك) الكاتب اليوناني القديم ، الذي عاش في منتصف القرن الأول للميلاد ، فانه بعث إلى صديق له بكتاب - معروف في عالم الأدب عقب موت بنته الوحيدة - يصف فيه رقة شعورها وصفاً مؤثراً ، إذ يقول : إنها كانت تتوسل إلى مرضعتها أن تمنح نديها ، لا للأطفال الصغار الذين كانوا يلعبون ويرتعون معها لحسب ، بل للدمى (المرأيس) التي كانت تلهو بها وتفرح برؤيتها ، والتي كانت تجلسها معها على مائدتها ، وتغدق عليها أرق وأعذب ما عندها من عبارات المداعبة والملاطفة ، كأن فطرتها السليمة تحس وجوب مقابلة الاحسان بالاحسان ؛ وهذه المناسبة أذكر أحياناً « لخطان بن المولى الجاهلي » ، يصف عطفه على بناته :

لولا بنيات كزغب القطا رددت من بعض إلى بعض
 لكنت لي مضطرب واسع في الأرض ذات الطول والعرض
 وإنما أولادنا بيننا أكيادنا تمشي على الأرض
 لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني عن الغضب

ولما مات « ذرة بن عمر بن ذرة » وقف على قبره ، فقال : « يا ذرة ! إنه قد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ، لأننا لا ندرى ما قلت ولا ما قيل لك » ، ثم رفع يديه إلى السماء ، وقال : « اللهم إني قد وهبت لك ما قصر فيه مما افترضت عليه من حق ، فهب له ما قصر فيه من حقه ، واجعل ثوابي عليه له ، وزدني من فضلك ، إني إليك من الراغبين » .

ولا بد أن يكون عدد هؤلاء الأفراد قد أخذ يزداد شيئاً فشيئاً بقوا إلى العصور حتى بلغ حداً لا يستهان به في القرن الثامن عشر تحت تأثير تعاليم (روسو) ، وفلسفته في تربية الطفل ، ولكننا نعلم أنه بالرغم من انتشار تعاليم ذلك الفيلسوف في أغلب الأسر والمدارس ، فقد كانت الملاطفة والمداعبة يستران وراءها ضروباً من الشدة والخفاشة ، وكان الولد عبداً مملوكاً ، والوالد سيداً مالِكاً .

أما اليوم ، فقد تبدلت الحال غير الحال ، وأصبحت للولد حقوق ، بعد أن لم يكن عليه إلا واجبات ، فصار ذا شخصية حقيقية ، له أن يستمتع بالحرية والاحترام ، وبجميع الحقوق التي تساعد على نمو قواه الجسدية والعقلية ، كما أصبح شخصاً اجتماعياً ، ينتظر له في انفسه أن يكون عضواً عاملاً في المجتمع ، له ما لنا ، وعليه ما علينا .

لهذا لم يكن بد للحكومة - التي هي مرآة الرأي العام في كل بلد - من أن تغير نظمها وفقاً لهذه الأفكار الجديدة، وتعنى عناية خاصة بكل ما له علاقة بتعليم الأطفال وتهذيبهم، فجعلته في متناول الجميع، لأن الجميع لهم الحق فيه، وجعلته عيانياً وإيجابياً، وصيرته شائعاً لذيداً، حيث أصححت المناهج المتقديمة، وأنشأت مدارس جديدة على طراز جديد جميل، كما قححت المناهج تنقيحاً اخترطها إلى النصف، وخلصها من الشوائب والزوائد، وجعلت القناعة في العلم أساساً للتعليم في المدارس الابتدائية.

ولكن نجنى ثمار هذا كله ناضجة شبيهة، عمدت إلى إعداد المعلمين المهذبن الأكفاء، وبذلت - عن سخاء وطيب خاطر - المبالغ الطائلة في هذا السبيل، علماً منها أن الاتفاق عن سعة في هذا الباب هو الغنى بعينه.

ولما أعدت المعلم الكفء منحتة ثقتها وأعطته الحرية التامة في تدريس المناهج، فإذا شاء قدم موضوعات على أخرى، وإذا شاء حذف منها، أو أضاف عليها، ثم هو بعد ذلك يوجه من تلقاء نفسه التعليم الوجهة الصالحة المنتجة بما يناسب البيئة التي يعيش فيها الأطفال، لأن كانت زراعية عليهم أصول الزراعة وأحوالها بصفة خاصة، وإن كانت صناعية أو تجارية وجههم إلى الصناعة أو التجارة لتهيئتهم لكسب العيش فيما بعد بمزاولة العمل الحر، لأن التعليم يجب أن يكون تعبيراً ومهذباً في آن واحد.

هكذا سارت فرنسا متعاونة شعباً وحكومة على النهوض بالتربية والتعليم، فقطعت شوطاً بعيداً في هذه السبيل، كأنهم فهموا - جميعاً - تلك النصائح الثالية التي جادت بها فرجة مواطنهم (كوندرسيه) الفيلسوف والكاتب الفرنسي الشهير، إذ يقول:

« على قدر النصيب الذي تناله الأمة من التربية والتعليم تكون مقدرتها على حكم نفسها بنفسها، مما يقوم دليلاً على أنها جديرة بأن تعيش أمة حرة ».

ولكن بالرغم من هذا التعاون القوى، والتضامن الشديد بين الحكومة والشعب، فإن التغييرين بشئون التربية يذهبون إلى أن النتيجة التي وصلوا إليها، لم تأت متناسبة مع الجهود العظيمة التي بذلت، وأنهم لا يزالون بعيدين عن النتيجة المرجوة والغاية المنشودة؛ فلم تزل الأصوات ترتفع بالشكوى من تقص التربية في جميع مناحيها البدنية والعقلية والخلقية.

فمن من تقع التهمة ياترى؟ يقول المسيو (فيلكس توما) رداً على هذا السؤال: إن التهمة الأولى هو الحكومة دائماً، لأنها لم تبرأ من النقد واللوم مهما تجد، ولأنها عملة في أشخاص، والأشخاص يستحيل عليهم الكمال؛ ويرى أنه يجب علينا أن نذهب في بحث السبب الرئيسي إلى أبعد من هذا، فنجد في الأسرة وفي الأخطاء الكبيرة والذنوب المدينة التي يرتكبها الوالدان في تربية أبنائهما قبل المدرسة، إما بسبب الجهل وهو الأغلب، وإما بسبب الإهمال والأثرة وحب الذات؛ ومن ثم ينشأ معظم الشر الذي يثر منه المجتمع.

الصحة والزواج

يقول بذلك مسيو (فيلكس توما)، ويرى - في هذا الصدد - أن أكبر الذنوب التي يترتها الوالدان وأخطرها - لأنه غير قابل للإصلاح - إهمالهما مراعاة الصحة قبل الزواج . فهل من الإنسانية والمروءة والتبصر في عواقب الأمور أن يسرف الشخص في الملاهي والملاذ حتى تختل بنيته ، وتعتل صحته ، ويفسد عقله ؛ ثم يقدم على الزواج لينسل ذرية ضعيفة ضئيلة ، تشكو - طوال العمر - الآلام والأمراض التي ورثوها عن والديهم ، دون أن يكون لهم في ذلك أي دخل ؟ « غيرى جنى وأنا المذنب » ؟

لذلك اهتمت بعض الأمم الراقية بالامر اهتماماً عظيماً؛ وحرمت عقد قران رجل على امرأة إلا إذا أثبت كلاهما طبيباً أنه خلو من الأمراض الفتاكة المشهورة ، حرصاً منها على سلامة النسل ، وحفظه من الأمراض العقلية والعاهات الخلقية .

أما إذا ترك الأمر - كما هي الحال في معظم البلدان - إلى حكم الشهوات والمصادفات ، وخالف الناس نواويس الطبيعة وخرقوا قوانينها ، فإنها لا بد تتأثر لنفسها ، ولا تلوم في ذلك إلا أنفسنا إذا حل انتقامها بالمساكين الأبرياء .

فاذا رجع الناس إلى صوابهم وثابروا إلى رشدهم في مسألة الزواج - وقد رأوا نتائجها الخاطيئة وتبعاته الثقيلة - لعنوا - قبل أي اعتبار آخر - بأمر الصحة ؛ ولكن ذلك ليس عندهم بالامر الهام .

يقول أفلاطون : إنك إذا أسديت للناس النصح في هذا الصدد ، فكأنك تخاطب صماً لا يسمعون ، لأنهم ينقادون إلى الشهوة العمياء دون الاعتناء إلى نداء العقل وهدى التفكير . نعم ، إن الغنى والحسب والجاه والجمال أمور جبلت النفوس على طلبها في الزواج ، ونحن لا نلومهم على الجري وراءها ، ولكننا نلومهم على اكتفائهم بها وإغفالهم أمر الصحة التي يجب أن تكون الدمامة التي يقوم عليها صرح الزواج .

ولنفرض الآن أن شرط الصحة قد تحقق في الزوجين ونم الزواج ، فهل نكون بذلك قد وصلنا إلى كل ما نريد ؟ كلا ، فإن هناك واجبات تبدأ ببدء الحمل تقتضيها حياة الطفل في أثناء الحمل ، ومعظمها منصوب على الأم وحدها ، فيجب عليها أن تتجنب كل ما من شأنه أن يضر بصحة طفلها حساً ومعنى ، بل يجب عليها أن تبحث عن كل ما يضيئها ويقويها ، فإما من عمل تأنيه أثناء الحمل ، أو فسكر يمر بخاطرهما إلا لاله أثره في طفلها ، حتى إنه ليحدث أحياناً أن الطفل يمكث طول حياته يعاني أمراضاً وآلاماً نشأت من أن أمه - وقت الحمل - زاولت أعمالاً أقتبعت فيه ما أقتبعت ، وإن لم يكن لها في نفسها إلا أثر وقي .

وإني أسوق إلى القراء مثاليين تاريخيين على أن أعقبهما بأمثلة أخرى يستدل منها على أن

الاستعدادات المختلفة التي تولد مع الطفل : كالخوف ، والشجاعة ، والكسل ، والغيرة ، والحسد ، أو الميل إلى عمل من الأعمال دون عمل .. إن هي إلا نتيجة اشتمالات نفسية قامت بنفس الأم ، أو أثر لأعمال كانت تأتينا أثناء الحمل .

المثل الأول : عن أحد زعماء الحركة العسكرية في إنجلترا في القرن السابع عشر ، وهو (توماس هوبز) ، فإنه عاش طول حياته يشكو ألم الانكماش والخوف ، ويمزوماً إلى ازعاج أمه عند ما اقترب الأسطول الأسباني (أرمدا) من شواطئ إنجلترا ، وكان إذ ذاك جنيناً في بطن أمه ، فليس عجباً إذاً أن تتأثر فلسفته بهذا ، فأنك إذا قرأت مؤلفاته ، تجد أن سياسته الفلسفية تدور حول فكرة أساسية واحدة هي : الاضطراب والخوف ، فنقول مثلاً : إن الناس في سبيل تخلصهم من العيشة وفق الحال الوحشية الأولى - التي كانت كلها فوضى واضطراباً - قد تنازلوا عن حرياتهم ، وقبلوا أن يعيشوا تحت سلطة الفرد المطلقة ، ورضوا بالاستبداد ، لأنه وإن كان شراً في ذاته ، فقد خلصهم من شرور الحال الأولى : وهي أنكى وأمر : ولذا عد من الفلاسفة المنشأين .

المثل الثاني : عن (ماري ستوارت) بنت (جيمس) الخامس ملك (اسكتلندا) - فيما بعد (جاك الأول ملك إنجلترا) - من أميرة فرنسية (ماري دي لورين) . تزوجت (ماري ستوارت) بـ (فرنسوا الأول ملك فرنسا) ، وترملت بعد ذلك لسنة ، وعادت في سنة ١٥٦٠ إلى وطنها الأول ، واقرنت بأبن عمها (هنري دارتلي) ، وكان أصغر منها سناً ، ولكن لم يمض على عقد الزواج قليل وقت ، حتى أسفت على حدوثه لما تبينته من ضعف بنية زوجها الشاب ، وفساد أخلاقه ، كما تألم هو أيضاً منها ، لأنها تأخرت عليه في منحه امتيازات الملكية وحقوقها ، وأنهم في ذلك أحد احصائها (رَبَّ) ، ففتكت به ذات يوم على مرأى منها ، ومع شدة تألمها لهذا الحادث الفظيع ، فقد تظاهرت لزوجها بالصفح عما فعل ، ولكنها لم تلبث أن دبرت له مكيدة لتي حثفه فيها ، ثم تزوجت من القاتل له ، فقصت المكيدة عليها بدورها وزج بها لذلك في أعماق السجون ، وصادف أن مرت كل هذه الأحوال ، وهي حامل في (جاك) الذي صار فيما بعد (جاك الثاني ملك إنجلترا) ، فكان لذلك جباناً تضرب بجبنه الأمثال ، حتى إنه كان يرتعد إذا رأى سيفاً يسل من غمده أمامه . والتجارب الحديثة التي أجراها العلماء وبجرونها كل يوم على النفس ، تؤيد هذه النظرية كل التأييد ، فإل هناك حقيقة أمهات يقدرن هذا الموقف قدره ، فيكثرن أثناء الحمل من مراقبة عواطفهن وأفكارهن ، والعمل على ضبطها واستجاءها بالترام الهدوء والسكينة ، حتى لا يكدرن صفو الطفل في منبته ومستقره ؟ وهل تعرف الأم ما يجب عليها في هذا الطرف الخطير ؟ ذلك ما سفتكلم عنه في الممدد القادم .

أحمد فهمي العمروسي

التصوف في الشرق والغرب

لـسـيـر مـحـمـد الـغـنـيـمـي الـتـفـتـازـانـي

هذا عنوان لمحاضرة ألقاها السيد التفتازاني في الاسكندرية في منتصف أغسطس سنة ١٩٣٢ وقد نالت التقدير اللائق بها ؛ وكنا أعلننا في العدد الماضي أنها بقلم المستر أوربري ، وقد كان ذلك سهواً منا ؛ فنتقدم إلى السيد التفتازاني معتردين ، واجين أن يكون مطمئناً إلى ما علقنا به على بعض نقط البحث في المحرر

يرى علماء الإسلام أن التصوف هو الفلسفة الإسلامية التي سارت الإسلام منذ بزغ نوره ، وقد تأثر بأدواره جميعاً ، فهو تارة كثر مهمل ، لا يعرفه إلا خزنة أسرارهم ، ثم هو تارة مدرسة للتربية العملية حل خربجوها أعباء النهضة الإسلامية في عصور الازدهار . وقد ظل علماء الغرب يحبطون في حقيقة التصوف الإسلامي زمناً طويلاً ، فقد زعموا حيناً أنه من تراث الاغريق ، وظنوا حيناً أنه من نتاج الأفكار الهندية ، وظل بعضهم معتقداً أن الفرس هم واضعو أسسه قبل الإسلام ، وأن الأتراك هم مطبقوه نظرياته بعد ذلك ، وبقيت الحقيقة بعيدة عن متناولهم ، لأنهم لم يقصدوا إلى بابها ، ولم يقدم إليها حب النصفة للشرق وأهله اعتراضاً بما أصبحوا فيه من قوة وسلطان ، وما بات فيه الشرق من ذل وهوان ؛ وظنوا أن القوة هي كل ما يستوجب الاكبار والالجلال ، وأن الضعف هو القبر الذي يجب أن تدفن تحت جنادله كل مفخرة يعتر الضعيف بسبب من أسباب الاتصال بها ، ولو من طريق الميراث ؛ وصادفت هذه الروح الجبارة العاتية جمود الشرق والشرقيين ؛ وخول علماء المشاركة ، وانصراف أكثرهم إلى ما لا يدفع فائدة ولا يكسب مناعة ؛ فانتشرت في العالم الغربي فكرة تجرد الشرق من أسباب الحضارة ، وأن ذلك التقدير الذي يعتر به المشاركة قد تهدمت أركانه وضاع أصله ، وحق لهم أن يصوروا الشرق بهذه الصورة البشعة ، لأنهم منذ اتصلوا بنا بعد قوتهم وضعفنا ، لم يجدوا فينا إلا مرضى القلوب والعقول ممن تقوهم الشهوات وتشجعهم الغايات ، فلا يستطيعون صد معتد ولا رد تهمة هم منها براه .

وأخيراً ، غلبت روح العلم الشفافة التي هي دحم بين أهله جميعاً ، وصفت نفوس بعض علماء الغرب ، فأخذوا يصارحون الجيل بوجوب الاقرار بالفضل لأهله ، والسعي في إعادة الحق إلى أصحابه ولو إلى حد ما .

فأينما في كتب تولدك ، وجوتي ، وأوليري ، وجولدزير ، وفون هامر ، وآسين

بلاسيوس ، ثم في كتب ماكدونالد ، وبراون ، ومارجوليث ؛ وأخيراً في تلك النفاثس التي يخرجها للناس الآن الأستاذ (نيكلسون) عميد جامعة (كبريدج) ، وشيخ اللغات العربية ، والفارسية ، والتركية ، والارغريقية بشعبتها الشرقية ... من دلائل الانصاف وخدمة الحقيقة المجردة ما يجعلنا نذكرهم بالتناء والحمد ، كما نقى على من تابعهم في مسلكهم التربوي من علماء أوربا في العصر الحاضر .

وحق علينا أن نخجل مرة ثانية ، لقصورنا عن اللحاق بهم حتى في الكشف عن مفاخر آبائنا وأجدادنا ؛ ولعل هذا الجبل يوقف موات قلوبنا ، فيكشف عنها ما ران عليها ، فنبدأ جهودنا في العناية بتلك السلسلة التي علا الصدا حلقاتها ، وهي ليست في حاجة إلا إلى من يجلو عنها هذا الصدا ، فتعود لامعة برافة تتجلى بها كأكرم الأوسمة وأبهى النياشين ، بل كمقد الماس اتكملت حياته مصقولة مضبوطة ، تأخذ بالابصار .

ما هو التصوف ؟

يقول الكرخي : « التصوف هو الأخذ بالحقائق ، والغنى عما في أيدي الخلق » ، ويقول الجنيد : « التصوف هو أن تكون مع الله ، وتحب في الله ، وتبغض في الله » ؛ ويقول سمعون : « التصوف هو ألا تملك شيئاً لا يملكك شيء » ، ويقول إمام الجماعة بهذه المدينة أبو العباس المرسى : « التصوف هو أن تطهر حدود الله ، وأن تكون معه في كل زمان ومكان » ، ويقول أبو الحسن الشاذلي : « التصوف هو تدريب القلب على معرفة الرب ، والتخلص من الكدرة إلى النضرة ، ولزوم الجفاء بالصفاء » .

من هو الصوفي ؟

يقول فريق من علماء الإسلام : إن هذا الاسم مشتق من الصفاء ، وفي ذلك يقول الشاعر :
تمارض الناس في الصوفي واختلوا
فظنه البعض مشتقاً من الصوف
ولست أرضى لهذا الاسم غير قبيح صافي فصوفي حتى لقب الصوفي (١)
وذهب بعضهم إلى أن هذا الاسم منسوب إلى مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين آوى إليه بعض الصحابة يرتزقون من صدقاته ، وأخذ عليهم البعض هذا الأسلوب من العيش ، فلم ينصفهم إلا نزول قوله تعالى : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم ، تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تقطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً » .

(١) قائل ذلك هو أبو الشيخ البسبي ، ولينين روايتان أخريان . ذكرهما واثمتها وحققها عمرو هذه الآية في المحدثين : الثالث والرابع من السنة الأولى (يوليو وأغسطس سنة ١٩٣١) .

ولا أعلن صحة هذه النسبة إذ لو صحت لكانوا صوفية ، لا صوفية .
ويقول الطوسي ، وهو أحد أمتهم : « الأظهر فيه أنه كاللقب ، فأما قول من قال : إنه من الصوف ، فلذلك وجه ؛ ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ^(١) » ، ويرى القشيري أنه لقب ، لأنه غير مشتق في لغة العرب ، كما أنه غير مقيس .
ويرى المستشرقون أمثال : نلذكه ، ونيكاسون : رأى ابن خلدون عند قوله في المقدمة : « والأظهر أنه قيل بالاشتقاق إنه من الصوف » ، وهم يختصون بلبسه في الغالب لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس آخر الثياب إلى لبس الصوف .
وإذا أصبح من المرجح لدى علماء العصر أن الاسم مشتق من الصوف ، وأن القوم اتخذوا لباسه شعاراً تمييزاً لأنفسهم عن المترفين .
واقترح (فون هامر) برأى لا يزال موضع البحث ، فهو يرى أن الكلمة مشتقة من أصل إغريقي ، وأن (صوفي) باليونانية معناها الحكمة ، ومنها (فيلسوف) ، أي محب الحكمة ، والصوفي هو محب الحكمة ، والباحث عنها في مقامها ^(٢) .
ولكن (نلذكه) رد عليه هذا الزعم ، ووقفت المسألة عند هذا الحد بين علماء أوروبا إلى الآن ، ورجح عندهم رأي (ابن خلدون) من أن النسبة إلى الصوف أصح وأنسب .
وأول من استعمل كلمة الصوفية من كتاب العرب ، هو (الجاحظ) في كتاب « البيان والنبين » . عند قوله : « الصوفية من النساك » .
ويرى أبو نصر السراج أن الكلمة مستعملة منذ الصدر الأول من الإسلام ، إذ يقول الحسن البصري : إنه رأى (صوفياً) يطوف بالكعبة ، والحسن البصري من التابعين الأولين ؛ وقد أدرك صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخذ عنهم .
واتفقوا على أن أول من أطلق عليه لفظ « الصوفي » ، هو أبو هاشم الكوفي دفين الرملة بفلسطين ، المتوفى سنة ٢٣٠ هجرية ^(٣) .

علم الصوف

يقول ابن خلدون في المقدمة : « الصوفية من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ، وأصلها

(٢) هذا رأي القشيري لا الطوسي .
(٣) تخالف جماعة السكاك في هذا الرأي قال فون هامر الألماني ليس هو الذي اقترح بهذا الرأي .
وانما تقدمه من المسلمين الفيلسوف « أبو الزحمان البهروني » المتوفى سنة (٤٤٠ هـ - ١٠٤٨ م) . فذكر هذا الرأي وأخذ به في كتاب « تحقيق ما للهند من مقالة مقبولة في العقل أو مرذولة » طبع بدمشق ١٨٨٧ م .
(٤) ورد هذه الآراء جميعاً مؤلف كتاب « التصوف الإسلامي العربي » المطبوع في عام ١٩٢٨ م . وقد أرجها المصنف وهو « عبد الطيف الطيباوي » عن الاستاذين : نيكسون وبراون . وقد طبع كتابه هذا بعد نشر مقالاتنا عن ذلك الموضوع في جريدته « العلم » وكنا نحسب من الاستاذ التفاتاً إلى ألا يهمل الإشارة إلى هذا المؤلف المكي كما أهمل الإشارة إلى ما كتبه صاحب هذه النجعة من قبل .

المكوف على العبادة ، والاتقطاع إلى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا ، والزهد فيها يقبل عليه الجمهور : من لذة ، ومال ، وجاه ، والافتراد عن الخلق بالخلوة إلى العبادة ، وقد كان ذلك قاشياً في الصحابة والسلف ؛ ولما عم الافبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا ، اختص المتقربون على العبادة باسم « الصوفية أو المتصوفة » . وهنا يجب أن تعرف عبارة « ابن خلدون » على وجهها الصحيح ، فأقول : إن ما أراده ترجع إلى المتعة الشخصية ، والتلذذ في ذاته ، وهذا لا يتعارض مطلقاً مع أسر القرآن في قوله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : « ولا تقس نصيبك من الدنيا » ، وإن أولئك السلف الذين يقول عنهم « ابن خلدون » : إن الزهد كان قاشياً فيهم ، هم بعينهم الذين فتح الله لهم في عشرات الأعوام ما امتنع على غيرهم ولزقه في مثاتها ، بل هم الذين وضعوا أسس المدينة الإسلامية ، فالتصوف كان معناه عندهم تربية الارادة ، والاعتداد على النفس ، وعرقان الواجب ؛ بل كانت الروح الصوفية ، هي التي تقودهم إلى إعلاء كلمة الله وهداية البشر .

فلا يظن أحد أن التصوف كان معناه عندهم الخمول والكسل ، والترام الخلوة للعبادة دون القيام بواجب المعبود وحقوق عباده ، بل كان التصوف عندهم مدرسة الرجولة ومعهد الحياة العملية ، ولم يدون التاريخ لواحد من أولئك الأسلاف أنه اقطع عن الدنيا ، فلم يشترك في مهام أمته ووطنه ، كما أن تكوين الأسرة كان غالباً عليهم جميعاً ؛ ولم يمش واحد منهم حالة على أحد ، لأنهم يملكون عن يقين قوله تعالى : « وقل اصمحلوا فسيرى الله عملكم ورسوله » ، كما يعرفون قوله - صلوات الله وسلامه عليه - : « اليد العليا خير من اليد السفلى » ، ولغير لك أن تترك أبناءك أغنياء من أن تتركهم حالة يتكففون الناس » ، وقد غلبت عليهم خشية الله وتغلغل حبسه في أعماق قلوبهم ، ثم جنحوا إلى الزهد ، لأنهم وجدوا فيه مصدر القوة والسعادة ؛ وقد قال سيد الوجود صلوات الله وسلامه عليه : « حسب ابن آدم لثبات يقمن صلبه » ، فلم تسبهم الدنيا بزخرفها ، ولا ألحت عليهم بطونهم باستعمار الشهوات ، أولئك الذين عرفوا الله فعرفهم وعرفهم .

وما أقصه هنا على سبيل الذكرى والتفكير : أن الامام الليث بن سعد ، وقد كان أغنى أهل عصره ، كما كان أعلمهم ، وكان يملك إقليم الجزيرة من أوله إلى آخره حبساً وإقطاعاً ، وكان يذبح لأضيافه في كل يوم عشرات المواشي والأغنام ، وكان إلى جوار داره رجل اختص ببيع (القول المدمس) في حانوته ، وفي كل صباح ينفذ إليه الخادم الخاس للامام الليث ليعتاع منه فولا مدمساً وزيتاً بدرهم ، فأدعش الرجل عدم اقتطاع هذا الخادم عن مشترى القول في كل يوم ، فقال له يوماً ما : (يا أخى سيدك دا إيه ما بوكلكشى ليه من اللى ويندع كل يوم للناس ومن أصناف الحلوى والقطاير اللى تسند القلب ، ومستملك يا مسكين

بالقول المدمس كل يوم ؟) ، أجابه الخادم : (نعال القول دالمين يا عبيط ما هو لسيدى ، هو بيدوق غيره إلا يوم الجمعة !) .

ولو أننا استوعبنا ما فى بطون كتب التاريخ والسير من حكايات الصوفية ؛ كان أدهم ، والحورانى ، والطواص ، والشعرانى وغيرهم ، وسردنا نوادرهم وأخبارهم لضايق بنا الجبال ، وكلها تدل على مبلغ عرفانهم بالله أولا ؛ ثم عرفانهم بنبيه - صلى الله عليه وسلم - ، ثم عرفانهم بواجبهم نحو دينهم وأمتهم .

إذا عرفنا التصوف الإسلامى على حقيقته - وهو العرفان بالله والتزام حدوده - استطعنا أن نساير تطوراته منذ الصدر الأول من الإسلام إلى الآن ، فقد كان عند الصحابة والتابعين زهداً وخوفاً من الله ، ثم كان عند تابعيهم مدرسة تربية عملية ، حتى إذا بدأ القرن الثالث للهجرة ، دخلت العناصر الغريبة على التصوف ، فعرفت فكرة الشمول والاتحاد والحلول بين بعضهم ، واتسع نطاق نظرية وحدة الوجود على أثر ترجمة الكتب اليونانية ، واختلاط الأفكار الهندية والفارسية بالفكرة العربية ، ثم أخذ التصوف شكله كلفسفة إسلامية ، إذ استطاع أن يهضم هذا الغريب كله ، وأن يطبعه بالطابع العربى الإسلامى ، وجعل أساس هذه الفلسفة المعرفة بالله أولا وآخرآ .

ومن ثم كانت هذه التزامات جميعها متلاصقة بحيث لا يستطيع باحث أن يفرق بين إحداها وأخرى ، ومن هنا بدأت العداوة بين الفقهاء أهل الأثر ، وبين المتصوفة أهل الفكر ، وابتدأ الخلاف بينهم نقاشاً بالرسائل والكتب ، وبحال التدريس والوعظ ؛ ثم اتحدى بصراع عنيف فرق بين الطائفتين إلى أن ظهر الامام الغزالى فى المشرق ، والامام ابن رشد فى المغرب ، وصنف الأول كتابه « إحياء علوم الدين » ، وهو أجل ما صنفته الفقهاء الجامعون فى تصانيفهم بين النقل والنظر ، والفكر والأثر ؛ وقد بطول بنا المقام لو أردنا إيفاء الامام الغزالى حقه وشرحنا ظروف هجرانه الدرس إلى الحس والطق إلى الذوق ، وكيف ازاح الحجب عن نفسه ، فأشرب مشرب القوم بعد التزام مجاهدة النفس حتى تسلم الدرة ، وأصبحت كتبه مرجع النظارة فى حقائق الإسلام .

أما ابن رشد ، فمع أنه كان من خصوم المتصوفة ، ومن أكبر أعداء نظريات الغزالى وكتبه ، إلا أنه كان بعد تعرف الحقيقة ، السراج الوهاج الذى تدين أوربا لنوره إلى اليوم ؛ وما أبناء مدرسة قرطبة وغيرها من مدارس المغرب والأندلس وخريجيها من الفلاسفة والعلماء بخافية على أحد .

وحسبنا من ابن رشد ، أنه معدود بين الفلاسفة المتكلمين ، ثم هو في مقدمة الفقهاء والمحدثين والأئمة المجتهدين ، ثم هو عنوان جد أهل الثراء والجاه بين رجالات المسلمين ، ثم هو إمام من أئمة الفسك والمتعبدین ، فهو من نواحيه جميعاً يمثل العالم المسلم الذي تعرف حقيقة الدين ، واتضح سبيل السابقيين الأولين ، أو هو كما يقول خصومه : « المجموعة الزاهرة النادرة » .

وفي غضون هذه المدة ظهر بين المتصوفة فريق ، جهد للوصول إلى مرتبة الفناء ، وغلبت على عباراتهم صبغة الاشكال والابهام والتعقيد ، كإخوان الدقا، وابن العربي ، وابن الفارض من المشاركة ، وابن جلول ، وابن حرازم ، وأبي مدين من المغاربة ؛ ولم يكن من السهل أن يتذوق مشربهم إلا من خالطهم وعاشهم وقابع منهاجهم ، ولكنهم - جميعاً ومن إليهم من رجالات الصوفية - نشروا أعلام الصفاء في جو الحب والحب هو مدد الحياة في الدنيا وطريق السعادة إلى الآخرة ، ومن هنا نظروا جميعاً إلى البشرية نظرة صافية ، بعيدة عن كدرة التفرفة وظلمة الغرض ، ومقياس هذه النظرة قول الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي (١) :

أدين بدين الحب أني توجهت ركايبه فالحب ديني وإيماني

وإذا أردنا الانصاف فلنقل في صراحة - لا لبس فيها ولا إبهام - : إن الانسانية مدينة للمتصوفة بتقديرها والمعنو بها إلى أرقى مراتب الوجود، وإنه إذا صفت النظرة وزالت الكثرة أصبح الجميع أحبباً في الله ؛ يدينهم الرحمة، وشمارهم الحب ، وسياج ذلك كله الحب .

ومن العدل أن نمرج على ذكر الممالك الأولى الذين خلدهم التاريخ الاسلامي آيات البطولة ، لأنهم صدوا عنه تيار الصليبيين والقر ، فألقوه من محن كادت تؤدي به جميعاً ، وقد أزرخوا الحركة الصوفية واتخذوا منها عتناً في الاسلام خطر المهاجة ؛ ففي التصوف قوة الدفاع علماً وعملًا ونظاماً ، وقد بدأوا هذه النهضة بعد أن دمر السلطان المعظم جيوش البرابرة في عين (جالوت) بين نابلس وبيسان عام ٦٥٧ للهجرة ، فمضى المسلمون بالتقدم الاسلامي والثقافة العربية في جميع الأنحاء ، وواصلت مصر جهودها الجيادية في استعادة عجزها العالمي بعد زوال الدولة الفاطمية التي لا ينكر المنصف أياديها على مصر ونهضتها من كل ناحية ، واشتركت الدولة - كما قدمنا - في مؤازرة هذه الحركة الصوفية الناعضة ، فازدهرت وازدهرت ، وكان هذا العصر المبارك مبدأ تنظيم الصوفية إلى جماعات ، بعضها في الخاقانات أو التنكيا ، والبعض الآخر في المدارس المنتشرة ، ولا يزال بعض هذه النظم باقياً إلى الآن ،

(١) لقد أحسن الاستاذ الفنازاني في تسمية الشيخ الأكبر بأبي العربي لا ابن عربي مجازاً لما حققه العلامة

أحمد زكي باشا في الجزء الثاني من « المرة » - لائحة الأولى ص ١٦٨ .

المحرر

يرجع بعضه إلى نظم الفاطميين في حكمهم وعلاقة خلفائهم بقبايلهم وعشائرهم ، ويرجع البعض الآخر إلى ابتكار شيوخ الصوفية إبان حكم الماليك الأكراد ، مثل ذلك : كيفية تقديم المريد الحجة واندماجه بينهم ، ثم حساباته منهم ، ثم تدرجه في مسالك الطريق بقهر النفس ، ثم إقامته بأن ينتج ، وأن يعيش من كسب يده حتى لا يكون حالة على أحد ، ثم وصوله إلى درجة النقابة فالخلافة ، ثم تحدته على أتباعه ومريديه وأتباعه بهم ، ثم اتصال الشيخ بالجميع ، حتى يسهل عليه بث ما يريد من تعاليم وتلقين ما يراه من أوامر ، وأحيط ذلك كله بسياسة طاعة الشيخ طاعة مطلقة ، ولكن بالطبع لن تكون هذه الطاعة في معصية تنكرها الشريعة السمحة . أما القطب ، وأما الأوتاد ، وأما الإبدال : فأسماء ومراتب اصطلاح عليها الصوفية منذ العصر الفاطمي ، وما بعد ذلك من المراتب فنظامه نظام الجند ، واصطلاحه يتطابق اصطلاح العسكرية تماماً ، ولكن الجميع - من أولهم إلى آخرهم على اختلاف رتبهم ومراتبهم - يدنون بأن الاسلام هو مصدر السلطة ، وأن كل ما خالف أصوله وأحكامه فهو باطل ، وهذا لا يجب أن يغفل مجهود الأستاذ الشعراي - رضي الله عنه - فكتبه مراجع ذلك جميعاً .

وانعند إلى الامام الغزالي ، لأنه أجل شخصية بين علماء الصوفية ، ينبغي أن يعرفها الناس جميعاً ، فنقول : إن كتبه هي الدرع الواقية للعقيدة ، وإن كل حكومة يهملها أن تحتفظ بروح الدين وفضائله في شعبها ، وجب عليها وجوباً كلياً لا قصور فيه ، ولا هوادة ، أن تعمل على إذاعتها وتيسير تناولها لكافة طبقات الشعب بالتدريس في دور العلم ، وبالارشاد والوعظ في دور العبادة . وقدما عرفت أدرباً فضل الامام الغزالي ، فترجت بعض كتبه إلى اللاتينية في القرون الوسطى ، وكان أكثر الناس انتفاعاً بها اليهود ، لأنهم صدوا بقوتها تيار المنكرين عليهم من الفلاسفة والملاحدة ، بترجمة كتابيه المقاصد والتهافت ، مستعيرين ألفاظه وعباراته في كتابه « تهافت الفلاسفة » ، وبالطبع لم يحترم اليهود الامام الغزالي ، إلا لأنهم وجدوا في كتبه سهام الدفاع ، يردون بها هجوم الزنادقة والملحدين على ديارتهم .

أما الاحياء ، فليس في الوقت متسع للامام باليسير من محتوياته ، وبالاختصار أردد ما يقوله (المستر ماكدونالد) المستشرق المعروف : « إن هذا الكتاب يصح أن يستغنى به عن ألوف الكتب ، بل يجب أن يكون المصدر الموثوق به في : الدين والتربية والأخلاق والتصوف » .

وهذا المستشرق الفاضل ، هو اصدق من كتب في تاريخ حياة الامام الغزالي ، وفلسفته بين علماء أوروبا ، ويرجع إليه الفضل في الاشارة بذكر الامام الغزالي بين دارسي التصوف الاسلامي اليوم في جامعات أوروبا .

محمد الغنيمي الفتتاوي

مصر في نظر عالم ألماني

آراء جلييلة من حديث

لأستاذ هرمان جرابو

أستاذ الحضارة المصرية القديمة ولغاتها بجامعة برلين

نعتقد أنه من خير « المعرفة » كل الخير ، أن تقدم إلى قرائها الأعزاء ، هذه الآراء الجلييلة ، التي تبث شعاعاً من الضوء على تاريخنا القديم والحديث ، الذي نفخر به ونعتز .
والعالم الجليل الأستاذ (هرمان جرابو) ، يعد في طليعة علماء الألمان ، بل علماء العالم ، في دراسة الحضارة المصرية القديمة ولغاتها ؛ ولهذا يشغل كرسى الحضارة المصرية القديمة ولغاتها بجامعة برلين ؛ وهو من التلاميذ المدودين في العالم ، الذين تلقوا دراساتهم على الأستاذ (أدولف إيرمان) العالم الألماني العالمي الشهير ، والملقب في الوقت الحاضر « بأبي مدرسة الحضارة المصرية القديمة ولغاتها » .

ويسرنا في سبيل التدليل على مكانة الأستاذ (جرابو) العلمية ، أن نذكر أنه هو المختص بالبحوث العلمية في مجمع (روسيا) العلمي ، وأن نذكر - إلى ذلك - أنه قضى خمسة وعشرين عاماً من عمره في عمل قاموس كبير للغة المصرية القديمة ، يعد الأول من نوعه في العالم ، وقد ساهم فيه مع الأستاذ (أدولف إيرمان) الذي قضى في ذلك العمل الجليل خمساً وثلاثين سنة . وقد وفقنا - والله الحمد - إلى إخراج هذا القاموس الكبير في خمسة مجلدات ضخمة ، بلغ مجموع صفحاتها ٢٨٠٠ صفحة من الحجم الكبير ؛ وقد تشرف الأستاذ جرابو بتقديم نسخة منه في الشهر المنصرم إلى جلالة الملك فؤاد الأول ، وقد لقي من جلالة كل رعاية وتقدير . وقد أتيح لحرر هذه المجلة أن يتحدث إلى الأستاذ (جرابو) في جمعية الشبان المسلمين ، بواسطة صديقنا الفاضل الدكتور علي مظهر ، الذي تفضل بتقديمنا إليه ، وتولى ترجمة هذا الحديث الذي تقدمه إلى القراء فيما يلي :

ربارته مصر وأمرها في نفسه

كان أول ما توجهنا به إلى الأستاذ أن سألناه عن الأثر الذي أحدثته في نفسه زيارته مصر ، فقال :

« إن إنساناً يكرس حياته لدراسة اللغات المصرية القديمة، لطبيعي فيه - من غير شك - أن توجه نفسه إلى قراءة ما يتصل بحضارتها من جميع الوجوه ، ولذلك كنت أقرأ وأبحث في شغف واهتمام زائدين ، وقد كنت أسمع كثيراً عن مصر ومبلغ رقيها ، وعن آثارها ومبلغ عظمتها ؛ فكان ذلك كله يبعث في نفسي الرغبة تلو الرغبة لزيارتها ورؤيتها بعيني رأسي ؛ أما الآن ، وقد أتيت لي هذه الأمنية، فرأيت بعيني ما لم أره من قبل ؛ فإني أصارحك القول إن ما رأيته أحسن وأعظم وأجل بكثير مما سمعته ؛ لأنني ألس بنفسي صوراً حية ، لم يكن جل ما سمعته أو قرأته بكاف لينقل لي صورة صحيحة عنه . »

رسالة الجامعات

وهنا انتهزنا الفرصة، فسالنا الأستاذ - باعتباره أستاذاً في جامعة كبيرة - عن ماهية رسالة الجامعات والغرض من الدراسة فيها ، فقال :

« إن الغرض الأساسي من إنشاء الجامعات على اختلاف ألوانها ، بل إن الرسالة التي تقوم بها الجامعات على تعدد جنسياتها تنحصر في إرشاد الطلاب إلى سبيل البحث الحر ، والتفكير الصحيح ؛ أعني أنها تبث فيهم روح التحقيق العلمي لما يعرض لهم في مختلف المسائل العلمية من شئون ؛ وبعبارة أخرى : إرشادهم إلى طريقة استعمال المفتاح . »

« وليس الغرض من الجامعات حشو أذهان الطلاب بالمعلومات ، أو الحقائق الثابتة على أنها معلومات أو حقائق لا مفر من تصديقها ؛ وإنما مهمتها فتح أذهانهم وإثارة السبيل أمامهم ؛ ذلك أن العلم بحر مترامي الأطراف لا ساحل له ، ومثل الطالب منه مثل ريان السفينة الذي يجب أن يتعلم كيف يكون رباناً ماهراً ، حتى يقود سفينته في مأمن من الرماح والأنواء . »

« والخلاصة هي أن الجامعات ليست مدارس تعلم نصوصاً بذاتها ، وإنما هي معاهد حرة . مهمتها البحث في أصل العلم وكنهه . »

استقلال الجامعات

ثم سألناه عن مبلغ استقلال الجامعات في ألمانيا ، فقال :

« بالرغم من أن الحكومة هي التي تدفع مرتبات الأساتذة ، فإن الجامعة مستقلة تمام الاستقلال ؛ والأساتذة لهم تمام الحرية المطلقة في جميع دراساتهم وأعمالهم ، سواء أكانت علمية أم أخلاقية أو اجتماعية ، حتى المسألة الدينية ، فانهم غير مقيدين فيها برأي من الآراء . »

مبلغ عنابة جامعات ألمانيا بالحضارة المصرية القديمة

ثم سألنا الأستاذ عن مبلغ عنابة الجامعات في ألمانيا بحضارة مصر القديمة ولغاتها، فقال: « إن عنابة جامعاتنا بهذه الحضارة عنابة كافية ، وحسبك لتعلم مقدارها أن تعرف أنه في أكثر من سبع جامعات ألمانية توجد كرسي لدراستها؛ مثل جامعات : برلين ، ولايبتزج ، ويون الخ . وفي جامعة برلين وحدها يوجد الآن عشرة طلاب يتخصصون في دراستها . واتهزنا فرصة هذا لنسأله عما إذا كانت هذه العناية قد كثرت أم قلت عما كانت عليه ، بعد الحرب العالمية فأجاب : بأنها لم تتغير مطلقاً .

هل يرجع قدماء المصريين إلى أصل عربي ؟

وسألنا الأستاذ - أيضاً - عن فكرة قرأناها لبعض الكتاب، يدور محورها حول إرجاع نسب قدماء المصريين إلى أصل عربي ، لوجود بعض العلاقات بين اللغة الهيروغليفية وبين اللغة العربية ، فقال :

« ليس هذا بالسؤال السهل أو الهين ، أو الذي يجاب عنه في كلمات معدودات ، أو في مثل هذا الوقت القصير ؛ وكل ما أستطيع أن أقوله لك الآن هو أن رأيي في قدماء المصريين أنهم من أصول أفريقية امتزجت ببعض العناصر الآسيوية ؛ فأثرت في لغتهم بعض التأثيرات الشاهري في المفردات وغيرها . »

« على أنه وإن كانت ثمة علاقة بين اللغتين : الهيروغليفية والعربية ، فإنها لا تكفي للقول بأن قدماء المصريين من أصل عربي . »

« ثم نلاحظ أن النصوص الهيروغليفية المكتوبة قديمة ، بل أقدم بكثير من النصوص العربية المكتوبة ، التي لم توجد إلا في أوائل الاسلام . »

تفصيل الكلمات المصرية القديمة

ثم سألناه كيف تسمى لها تحقيق معاني الكلمات المختلفة وهي قد تأتي في مواطن مختلفة بمعاني مختلفة ، فقال :

« لكي أشرح ذلك أضرب لك مثلا :

« فلنترض أنا عثرنا على كلمة مجهولة المعنى في موضع ما كما هي الحال في الجملة الآتية :

« دخل الملك ... (كلمة مجهولة) ... إلى المعبد . وفي موضع آخر جاء فيها ... فتح الكاهن ...

(كلمة مجهولة) . وفي موضع ثالث كان مصراع ... (كلمة مجهولة) مصنوعاً من خشب الأرز .

وفي موضع رابع ... حُف دائر ... (كلمة مجهولة) بحجر الجير؛ وفي موضع خامس ... كان (كلمة مجهولة) ... بين بهو القرايين بدندرة، وبهو كل الآلهة المقدسة، طوله خمسة أذرع في عرض ثلاثة أذرع؛ وعلى هذا يكون معنى (الكلمة المجهولة) في هذه المواضع الخمسة إما باباً أو بوابة. ولتحقيق هذا الغرض كتبت كل الكتابات الموجودة على الحجارة، وعلى ورق البردى - الموجود في كل المتاحف على وجه الأرض وفي مصر -، أو صورت بآلة مصورة أو بأية طريقة أخرى وجمع كل ذلك. وقد كتبت تلك النصوص التي لخصت على جذاذات من ورق بعجم معين بحبر الطبع على الحجر، وقسمت أقساماً: كل قسم منها مكون من ثلاثين كلمة، وفي جانب كل ورقة كتبت صورة ترجمة مؤقته، وطبعت كل جذاذة ثلاثين مرة. وبهذه الوسيلة أصبح لدينا من كل جذاذة ثلاثون صورة متشابهة تماماً، وأمكننا إذن أن نستعمل كل جذاذة من هذه الجذاذات لكل كلمة من الثلاثين كلمة المكتوبة على الجذاذة الواحدة، وبهذه الطريقة أيضاً أمكننا أن يكون لدينا كل أمانة الدلالات والاشارات لكل كلمة واحدة، وبهذا أصبح لدينا لكل كلمة مكانها وعلاقتها بكل نص.

أى الخصائص التي أنفع لمصر: الشرقية أم الغربية؟

وسألناه عن أى الحضارتين أقنع لنا معشر المصريين؛ باعتباره عالماً بتاريخها القديم والحديث، فقال:

« للمصريين الحق كل الحق في أن يتجهوا نحو المثل الأعلى بالطريق التي يرونها أصلح لأنفسهم؛ فهم أعرف بعاجلتهم وبما يصلح لهم أكثر من غيرهم ».

« وقد عرفت كثيراً من الطلبة المصريين في ألمانيا، قضيت فيهم قدرة على الاضطلاع بأعباء البحث والعلم قدرة فائقة، كما عرفت فيهم الجهد والنشاط ».

« وإنه لمن خير الشباب في مصر أن يترك حراً يختار طريقه في حياته المستقبلية، فإن للشباب كما للرجل فكراً يختلف لا باختلاف السن ولكن باختلاف التفكير؛ فقد يصيب الشاب وقد يغفل، الرجل؛ وأنا شخصياً لم تلق إلى نصيحة ما وقت أن كنت في سن الشباب، بل تركت للزمن والتجارب، لأن المستقبل للشباب دون الكهول، والزمن كفيل بإرشادهم إلى ما يحسن بهم عمله ».

ولما وصل بنا الحديث إلى هذه النقطة، آذن صوت الناقوس بيده محاضرة الأستاذ، التي ألقاها بلفظه الألمانية، وترجمها صديقنا الدكتور مظهر إلى العربية بمنوال « قاموس اللغة المصرية القديمة » فكتفينا بهذا القدر

مملكة الحيرة في أيامها الأخيرة

بقلم الأستاذ يوسف بك غنيم
وزير مالية العراق الأسبق

٤ : ازاوية

٦١٧ - ٦٢٨ م

عقب إياس على ولاية الحيرة رجل فارسي سماه حمزة الأصمفاني^(١) زاده بن ماهيان ابن مهر بندگان الهمداني، وجعل مدة ولايته ١٧ سنة، وقال ابن الأثير : اسمه آزادبة بن ماهيان الهمداني^(٢) ، وسماه بعض الكتبة روزبي بن مرزوق^(٣) ، ولم قف على أعماله والأحداث التي تمت في أيامه . والظاهر أن كسرى أبرويز جنح - بعد قتل النعمان أبي نابوس وانكسار جيشه في واقعة ذي قار - إلى سياسة فارسية بحتة في « الحيرة » ، وذلك بتعيين عمال من الفرس عليها ، وهكذا قضى على سلطان الفارسية .

وفي أيام هذا المرزبان خلع كسرى أبرويز وقتله مهر هرمز بن مردانشاه فادوسبان نيسروز، على ما ورداه الطبري^(٤) ، وجلس على عرش الأكاسرة شيرويه بن أبرويز ، وجاء في بعض الروايات عن سبب خلع كسرى أبرويز وقتله ما يأتي :

اضطهد هذا الملك النصاري وقتل في إبان الاضطهاد أنسطاس الشهيد وزدين حرافه ، (أي حرافه للملك) ، وكان نصرائياً واستولى على أمواله ، فاتفق ابننا يزدين وها : شحطا ومهر هرمز (ويسعى هذا الأخير قرطاق أيضاً) مع فريق من أشراف الدولة ورفعوا لواء العصيان على كسرى أبرويز ونادوا بخلعهم وتنصيب ابنه شيرويه ، واستأذن ابننا يزدين شيرويه في قتل أبيه فأذن لها وقتله مهر هرمز^(٥) ، ثم تماديا في عملهما وقتلا أولاد كسرى كلهم

« راجع » المعرفة « عدد ديسمبر ١٩٣٢ .

(١) كتاب تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص ٧٤ (٢) الكامل ٦: ٢٠٠ (٣) شير: كلدو وانور ٢: ٢٤٣ (٤) الطبري ٢: ١٥٩ - ١٦٦ (٥) ضبط بعضهم اسمه نيهورمزد ، ويظهر من رواية الطبري ٢: ١٦٦ أن مهر هرمز هو ابن مردانشاه فادوسبان نيسروز ، ويؤيد هذا القول ما جاء في تاريخ كلدو وانور لأدي شهر ٢: ١٤٢ أن نيهورمزد اتفق وشحطا لأن كسرى أبرويز كان قد قتل أباه أيضاً ، أما (لابور) في كتابه الترنسي « تاريخ النصراية في فارس » ص ٢٣٥ ، فإنه يوحد قرطا أو قرطاق ونيهورمزد .

يعاونهما في أمرهما عظماء الدولة ، ويقال إنهما أمتنا في غلواتهما وحاولا الاستيلاء على الملك وإقامة سلالة مالكة من أسرتهما ، وأتت الأحوال موالية لهذه الخطط ، إذ كان جيش الروم في تلك الأرباء ، وكان الامبراطور هرقل يسر أن يرى على عرش الأكامرة ملكاً نصرانياً يخضع له ويطلب حمايته ^(١) .

حذر شيرويه الموقف فقبض على شمطاً ، إلا أن شمطاً تمكن من الفرار والتجأ إلى الحيرة فلم يجده هذا الالتجاء نفعاً ، لأن الحيرة العربية كانت قد فقدت شبه استقلالها ، فلم تكن بعد ملجأ لأعداء ملك الملوك ، فقبض شيرويه على خصمه وقطع يديه وسجنه ^(٢) .

وذكر الدينوري ^(٣) رواية غير هذه الرواية في سبب خلع كسرى أبرويز لا محل لذكرها هنا ، وفي كتاب أرسله إليه ابنه شيرويه بين له فيه سوء إدارته وأعماله التي أدت إلى خلعها ، وبما قال فيه لأئماً أباه ومنها قتل النعمان بن المنذر وحرقه ، فلم تحفظ فيهم ما كان يحفظه أبائهم من حضائنه إلى غيرهم ، يعني إلياس بن قبيصة الطائي ، فلم تحفظ فيهم ما كان يحفظه أبائهم من حضائنه بهرام جور جدك ومعوته بعد أن خرج الملك عنه حتى رده عليه ، فكل هذه ذنوب ارتكبتها وآثام اقترفتها ، لم يكن الله ليرضى منك ، فأخذك بها ^(٤) .

٥ : المنذر الخامس ابن النعمان أبي قابوس

وهو المنذر المغرور

٦٢٨ — ٦٣٢

ذكر بعض المؤرخين ملك المنذر المغرور ابن النعمان أبي قابوس على الحيرة بعد أن اقتطع الملك عن بيته ، وتولاه غير واحد من الملوك من العرب وفارس ، ولكننا نجعل الوسائل التي مهدت له السبل لإعادة سلطان آبائه وأجداده ، وإن قلنا شيئاً فاذك إلا من طريق الخدس والاستنتاج ، فنظن أن دولة الأكامرة ضعفت في هذه المطاري بعد قتل كسرى أبرويز (٦٢٨ م) واستظهار الروم على الفرس في عهد القيص هرقل ، وجاءت الفتن الداخلية والنورات القومية ضعفاً على إباله ، ففتت في عهد الفرس ، وعهدت أركان سيطرتهم ، حتى قام على عرش الأكامرة في غضون أربع سنوات عدد من ملوك وملكات منهم : شيرويه بن أبرويز ، وشيرزاد ابن شيرويه ، وشهريان ، وجوان شير ، وبوران ^(٥) ، ولم يستقم الأمر لأحد منهم ، بل

(١) لا بور : النصرانية في بلاد فارس ص ٢٣٦ (٢) الطبري ٢ : ١٥٩ — ١٦٦ ، ولا بور : ٢٣٢ —

٢٣٦ ، وادي شير ٢ : ٢٤١ — ٢٤٣ Un Nuovo Testo Sulla Storia Degli Uiteini S'assanid

Edit, Guidi 1891 (٣) الأخبار الطوال : ١٠٦ — ١١١ (٤) كذلك ص ١٠٧ (٥) الأخبار

الطوال : ١٠٦ — ١١٠ .

خلموا أو قتلوا، فهذا الاضطراب في دولة الآكاسرة ربما هو الذي سهل السبل للمنذر الغرور أن يستعيد ملك الحيرة، ولكن لم يطل الأمد عليه حتى جاءت جحافل الفاتحين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر الصديق في سنة (١٢ هـ ٦٣٢ م) وفتحوا الحيرة. أما المنذر فذهب إلى البحرين وأسلم، وكان يقال له قبل إسلامه الغرور، وسمى نفسه بعد إسلامه الغرور^(١)؛ وفي رواية^(٢) أن ربيعة ملكوه عليهم في البحرين لما ارتدوا وقتل في واقعة جواتا^(٣)، وذكر الطبري أن الحطيم بن ضبيعة أخا بني قيس بن ثعلبة ارتد في البحرين، وأرسل إلى غير واحد واسمه الغرور ابن سويد أخى النعمان بن المنذر، فبعثه إلى جواتا، وقال: أثبت فأني إن ظفرت ملكتك بالبحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة^(٤).

٦: فتح الحيرة

اشتهرت الحيرة بين العرب بجبالها الثتان، وزخرفها الجذاب، وموقعها التزه، وقصورها العامرة، وسارت الركبان بذكرها لوجودها في آخر ريف العراق قريبة من البادية على طريق القوافل ومسير القبائل، وللصلات القومية بين سكانها وسكان جزيرة العرب، ولهذا نرى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكرها غير مرة في حديثه على ما رواه المؤرخون، ومن ذلك ابتهاجه بنصرة العرب على العجم في واقعة ذي قار، كما مر بنا، وفي كلامه مع عدى ابن حاتم، قال عدى: دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال لي: يا عدى بن حاتم! ه أسلم تعلم؟ ثلاثاً - نقلت: إني على دين، قال: إني أعلم بدينك منك، نقلت: أنت أعلم بديني مني، قال نعم، ألت من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك، قلت بلى، قال: فإن هذا لا يحل لك في دينك، وقال حاتم: فلم يعد أن قالها فتواضعت لها، فقال: أما إني فأعلم ما الذي بمنعك من الاسلام، تقول إنما أتباعه ضعفة الناس ومن لا قوة له، وقد رمتهم العرب؛ أنعرف الحيرة؟ قلت: لم أرها وقد سمعت بها، قال: فوالذي نفسي بيده ليطمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطفو بالبيت في غير جوار أحد وليستحن كنوز كسرى بن هرمز (قال) قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: نعم كسرى بن هرمز، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد، قال عدى بن حاتم: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة وتطفو بالبيت من جوار، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة، لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد قالها^(٥).

(١) ابن الأثير ٢: ١٥٤ (٢) الطبري ٣: ٢٥٥ (٣) كذلك ٢: ١٥٧ (٤) الطبري ٤: ١٥

(٥) مسند عدى بن حاتم من كتاب سند الامام أحمد بن حنبل، ومجلة المشرق ١٩٠٥: ص ٥٠٧

وذكرت الحيرة أمام النبي - صلى الله عليه وسلم - غير هذه المرة . حكى ابن الكلبي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما افتتح مكة قدمت عليه وفود العرب ، فكان فيمن قدم عليه قيس بن عاصم وعمرو بن الأَهم بن عمه ، فلما صارا عند النبي تسابا وتهازرا ، فقال قيس بن الأَهم : والله يا رسول الله ما هم منا وإِنَّهم لمن أهل الحيرة ، فقال عمرو بن الأَهم : بل هو والله يا رسول الله من الروم ، وليس منا ؛ ثم أنشد شعراً ، فأجابه عمرو بن الأَهم بشعر تعرض به وبالحيريين ومن ذلك قوله :

ما في بني الأَهم من طائل يرجى ولا خير له يصلحون
قل لبني الحيرى غصوصة تظهر منهم بعض ما يكتمون
لولا دفاعي كنتموا أعبداً مسكنها الحيرة فاليلحون
جاءت بكم عفرة من أرضها حيرة ليست كما تزعمون
في ظاهر الكف وفي بطنها رحم من الداء الذي تكتمون^(١)

وذكر أيضاً عدى بن حاتم قائلاً : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكر ما رفع له من البلدان ، فذكر الحيرة فيما رفع له ، وكان شرف قصورها أضراس الكلاب عرفت أن قد أريها وأنها ستفتح^(٢) .

وقال شويل محدثاً خالد بن الوليد : إني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكر فتح الحيرة : فسأله كرامة بنت عبد المسيح ، فقال : هي لك إذا فتحت الحيرة عنوة وشهد له بذلك^(٣) .

هذا ما جاء عن النبي محمد بن عبد الله في ذكر الحيرة وفي الفتح إلى فتحها ، ولكن لم يتم من أمر ذلك شيء إلا بعد أن تولى الخلافة أبو بكر الصديق . وكان أول من غزا أرض العراق من المسلمين : المنى بن حارثة الشيباني ، والآخر سويد بن قطبة^(٤) العجلي ، فأقبلا حتى نزلا فيمن جما بتخوم أرض المعجم ، فكانا يغيران على الدهاقين فيأخذان ما قدرا عليه ، فإذا طلبا أمنا في البر فلا يتبعهما أحد ، وكان المنى يغير من ناحية الحيرة ، وسويد من ناحية الآلة ، وذلك في خلافة أبي بكر ، فكتب المنى بن حارثة إلى أبي بكر - رضى الله عنه - يعلمه ضراوته بفارس ويعرفه وهنهم ويسأله أن يمدد بجيش ، فلما انتهى كتابه إلى أبي بكر - رضى الله عنه - كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد ، وقد كان فرغ من أهل الردة - أن يسير إلى الحيرة فيحارب فارس ويضم إليه المنى ومن معه ، وكره المنى ورود خالد عليه ، وكان

(١) الأغانى ١٢ : ١٥٠ (٢) الطبرى ٤ : ١٥ (٣) كذلك (٤) وجاء في معجم البلدان في المادة « نمان » أن أول من قدم أرض العراق لقتال أهل فارس حرمة بن بريطة وسلي بن القين فزلا أطلد ونهان والجمرانة ، وكانا من المهاجرين ومن صالحى الصحابة .

خلن أن أبا بكر سيوليه الأمر ، فسار خالد في سنة (١٣ هـ ٦٣٢ م) إلى العراق حتى نزل بباقيا ^(١) وباروسما ^(٢) وأليس ^(٣) ، وكان الذي صالحه عليها بصبري بن صلوبا ، وكتب خالد بن الوليد لهم كتاباً فيه « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن بصبري ومنزله بشاطيء الفرات ، إنك آمن بأمان الله على حقن دمك في إعطاء الجزية عن نفسك وجيرتك وأهل فريتك - باقيا وسميا - على ألف درهم جزية ، وقد قبلنا منك ورضي من معي من المسلمين بذلك ، فلك ذمة الله ، وذمة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وذمة المسلمين على ذلك ... شهد هشام بن الوليد ، وجريز بن عبد الله بن أبي عوف ، وسعيد ابن عمرو وكتب سنة ١٣ والسلام » . وروى ذلك أنه كان سنة ١٣ ^(٤) .

ثم أقبل خالد بن الوليد حتى دنا من الحيرة فخرجت إليه خيول أزايزة صاحب خيل كسرى التي كانت في مسالح ما بينه وبين العرب فلقوهم بمجتمع الأنهار ، فتوجه إليهم المنثي بن حارثة فبهزمهم الله ، ولما رأى ذلك أهل الحيرة خرجوا يستقبلونه ، فهم عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة وهاني بن قبيصة ، فقال لهم خالد : إني أدعوكم إلى الاسلام ، فإن قبلتم فلکم ما لنا وعليکم ما علينا ، وإن أبيتم فلجزية ، وإن أبيتم فقد جئناکم بقوم يحبون الموت ، كما تحبون أتم شرب الخمر ، فقالوا : لا حاجة لنا في حربك ، فصالحهم على تسعين ومائة ألف درهم ، فكانت أول جزية حملت إلى المدينة من العراق ، وصالح خالد أهل الحيرة على أن يكونوا له عيوناً ففعلوا ^(٥) .

الظاهر أن هذا الصلح لم يدم طويلاً ، لأن الحكومة المركزية الفارسية علت بالأمر وجيش الجيوش لحاربة الفاتحين ، فانسحب خالد بن الوليد ، ولهذا نراه يحارب في شهر صفر من السنة عينها في الوجلة وأليس وامشيا ، وبعد أن انتصر في هذه المواقع سار إلى الحيرة

(١) ناحية من نواحي الكوفة وذكرها في الفتوح (٢) قال ياقوت : باروسما ناحيتان من سواد بغداد ، ويقال لهما باروسما الأعلى وباروسما الأسفل من كورة الأستان الأوسط (٣) أليس قرية من قرى الأنبار (٤) راجع معجم البلدان للمادة « باقيا » ، وجاءت صورة هذه الرسالة في الطبري ٤ : ٣ بالنص الآتي : « بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد لابن صلوبا السوادى ومنزله بشاطيء الفرات ، إنك آمن بأمان الله إذ حقن دمه إعطاء الجزية ، وقد أعطيت عن نفسك وعن أهل خرجك وجيرتك ومن كان بقريتك - باقيا وباروسما - ألف درهم فقبلتها منك وشهد هشام بن الوليد » .

(٥) الطبري ٤ : ص ٣ - ٤ .

وجعل الرجال والأطفال في السفن ، فخرج مرزبان الحيرة ، وهو الأزازبة ، فعسكر عند الغرين ، وأرسل ابنه فقطع الماء عن السفن ، فبقيت على الأرض ، فسار خالد في خيل نحو ابن الأزازبة فلقى عليه على فرات بادقلى ، فضربه وقتله وقتل أصحابه ، وسار نحو الحيرة فهرب منه الأزازبة ، وكان قد بلغه موت أردشير ^(١) وقتل ابنه فهرب بغير قتال ، ونزل المسلمون عند الغرين وتحصن أهل الحيرة فحصرهم في قصورهم ، وكان ضرار بن الأزور محاصراً القصر الأبيض وفيه إياس بن قبيصة الطائي ، وكان ضرار بن الخطاب محاصراً قصر العدسين وفيه عدي بن عدي المقتول ، وكان ضرار بن مقرن المزني - عاشر عشرة إخوة له - محاصراً قصر بني مازن ، وفيه ابن أكال ، وكان المثنى محاصراً قصر ابن بقلعة ، وفيه عمرو بن عبد المسيح فدعاهم جميعاً وأجلهم يوماً فأبى أهل الحيرة ولجوا فناوشهم المسلمون ، فعهد خالد إلى أمرائه أن يبدؤوا بالدماء ، فان قبلوا قبلوا منهم ، وإن أبوا أن يؤجلهم يوماً ، وكان ضرار بن الأزور على قتال القصر الأبيض ، فأصبحوا وهم مشرفون ، فدعاهم إلى إحدى ثلاث : الإسلام ، أو الجزاء ، أو المنايذة ، فاختاروا المنايذة وتنادوا عليكم الخزازيف ، فقال ضرار : تنحوا لا ينالكم الرمي حتى تنظر في الذي هتفوا به ، فلم يلبث أن امتلأ رأس القصر من رجال متملق الخالي يرمون المسلمين بالخزازيف - وهي المداحي من الخزف - فقال ضرار : ارشقوهم قدنوا منهم فرشقوهم بالنبل فأعروا رموس الحيطان ، ثم بنوا حارثهم فيمن يليهم ، وصبح أمير كل قوم بمنزل ذلك فافتتحوا الدور والديارات وأكثروا القتل ، فنادى القسيسون والرهبان : يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم ، فنادى أهل القصور : يا معشر العرب قد قبلنا واحدة من ثلاث فادعوا بنا وكفوا عنا حتى تبلغونا خالداً ، فخرج إياس بن قبيصة وأخوه إلى ضرار ابن الأزور ، وخرج عدي بن عدي وزيد بن عدي إلى ضرار بن الخطاب ، وخرج عمرو بن عبد المسيح وابن أكال هذا إلى ضرار بن مقرن ، وهذا إلى المثنى بن حارثة فأرسلوهم إلى خالد ، فخلا خالد بأهل كل قصر منهم دون الآخرين ، وبدأ بأصحاب عدي وقال : وبحكم ما أقم عرب ، فأتعمون من العرب أو العجم ، فأتعمون من الانصاف والعدل ، فقال له عدي : بل عرب حاربة وأخرى متعربة ، فصالحوهم على مائة وتسعين ألفاً وتتابعوا على ذلك وأهدوا له هدايا ^(٢) .

يوسف غنيمة

[للبحث بقية]

(١) ابن الأثير ٢ : ١٦٣ .

(٢) الطبري ٤ : ١٢ .

صفحات في الأدب الألماني

هردر

بقلم الدكتور علي مظهر

هو (يوهان جوتفريد هردر)، ولد في اليوم الخامس والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٧٤٤م ببروسيا الشرقية، وكان أبوه معلماً فقيراً في مدرسة، وكان يكسده ويكدح كدحاً متواصلاً للحصول على ما يسد حاجته الشديدة. أما الابن فقد تنقل من منزل واعظ إلى منزل من خلفه، ثم سافر مع طبيب إحدى القبائل إلى (كونيجزبرج)، وقد تعلم على يديه الجراحة، وتم له أخيراً أن أعطاه ذلك الطبيب ما يلزمه لدراسة الطب في يترزبورج - حاضرة الروشيا السابقة -، وكان الولد حياً خجولاً كبير الاحساس منزوياً عن الناس؛ ولما بدأ دراسته وحضر أول عملية أجروها أمامه سقط مغشياً عليه، فترك دراسة الطب، وعدل عنها إلى دراسة اللاهوت، وكان يعطى دروساً أثناء دراسته فيما تجمع له من ذلك، وما كان يمد به عضده الكبير، كل ذلك جعله يتم دراسته وهو في غنى عن كل مساعدة من أبويه؛ ومن حضر دروسهم واستمع إلى محاضراتهم في مدينة (كونيجزبرج) القياسوف المعروف (إمانويل كانت) فأنثر، في تكوينه العقلي أثراً دائماً، ثم (يوهان جورج هامان) الذي اشتهر بتفوقه في فهم الأمور الدينية على كل معاصريه، وعرف بأسلوبه الغامض ذي الألفاظ؛ وجعل هردر يقرأ (شكسبير) و (أوسيان) ويفهم ما كتباه، كما جعله يميل للشعر الشعبي.

قضى الفترة بين سنة ١٧٦٤ و ١٧٦٩ في مدينة (ريجا) يدرس في مدرسة البيعة (الكتدرائية) هناك، ثم صار واعظاً منذ سنة ١٧٦٧، ولكنه اعتزل ذلك المنصب ليتصل بمعاهد التربية والتأهيد الشهيرة في الخارج، فسافر بحراً من (ريجا) إلى (نانت) ومنها إلى (باريس)؛ وكانت هذه الرحلة سبباً في تبدل نظام حياته عما قبل، فقد عهد إليه - وهو في (باريس) - بمرافقة الأمير (فون هولشتين) إلى (إيطاليا)، وكانت السوءاء قد غلبت على نفسه، فقام بما عهد إليه وسافر عن طريق (هامبورج)، وهناك تقابل مع (لسنج)، ثم سافر إلى (كيل) ليقيم إلى الأمير، وبدأ سياحته معه سنة ١٧٧٠، وتنقل فيها بين (هامبورج) و (هانوفر) و (جوتنجن) و (دارمشتات)، وفي منزل المسقشار الحربي (مرك) تعرف بزوجه فيما

بعد المدعوة (كارولينا فلا كسلاند) ، ثم إنه سافر إلى (شتراسبورج) حيث أقام فيها نصف عام استقال فيه من عمله الذي أصبح لا يطبق القيام به وليداوى عينيه ، ولكنه لم يوفق للشفاء ، وعرف (جيتة) الشاب وصادقه ، وكان يدرس الحقوق إذ ذاك بجامعة (شتراسبورج) ، وفي سنة ١٧٧١ دعا (الجراح كونت فيلهلم) هرذر ليكون واعظ البلاط في (بوكبورج) ، وتوسط له (جيتة) ليكون رئيساً عاماً لإدارة في (فيار) سنة ١٧٧٦ ، وبذا كان ثالث الشعراء المشهورين الذين ذهبوا إلى تلك المدينة ، وهناك كان يكثُر الخلطة والتردد على (فيلاند) ويكثر من ملازمته ، وفي سنة ١٧٨٨ كان في صحبة الأميرة (الهرتزوجين إماليا) في رحلتها إلى (إيطاليا) ، وصار يتدرج في وظائف ومراتب عليا حتى أغم عليه أمير (بافاريا) الأكبر برتبة من مراتب الشرف والنبل ، وتوفي بعد أن لارمه المرض زمناً طويلاً في سنة ١٨٠٣ ، وكان أول عضو من مجمع شعراء (فيار) الذي اختاره الموت وعجل به .

لم يقتصر (هرذر) في كتابته على مادة واحدة ، بل تعداها إلى أكثر منها ، فقرأ يكتب مواضيع دينية ، ولاهوتية ، ولغوية ، وفلسفية ، وتاريخية ، وشعرية ، وخاصة بالجمال والألنجام ؛ وكان يشغل بها كلها بجهد واجتهاد .

وقد بدأ حياته الأدبية بالنقد الذي كان يدفعه (لنچ) إليه ، ولما كان في (ديجا) نشر مؤلفين ، كان يرى بنشرها إلى إذاعة آراءه الجديدة بعد أن يكون قد عاين الأدب ما فيه ليبدأ نظوراً فنياً ، فنشر (قطع في الأدب الألماني) سنة ١٧٦٧ جعلها كشكولة (خطابات لنچ الأدبية) ، ثم نشر (الغابات النقدية) سنة ١٧٦٩ ، وكانت إحدى تلك (الغابات) خاصة بـ (لوكون) لنچ ، وكانت الاثنتان الثاليتان خاصة بما كتبه (كلوتز) ، وتراه في (القطع) يطالب الكتاب بأن يجعلوا أسلوبهم واضحاً مفهوماً للشعب والطبقة الوسطى ، وأن لا يكون عملاً وقصفاً ، وأن لا يكون تكلفاً ، بل يأتي الكاتب بالحديث المفيد ، وأن يكون الشاعر شاعراً بفطرته ، وقال في ذلك ما معناه : لماذا تقلد الأجانب دائماً ، كما لو كنا إغريقاً أو من الرومان ؟ لندع أدباءنا يصورون ما يرونه من قوام وأشكال من غير أن يعمدوا إلى جزء غريب عنا من الجو يأتوننا به ليصبغوا أفواههم بصبغة شعرية .

وهو يفرق بين نظم الصنعة وبين الشعر الصادر عن طبيعة شاعر ، ويقول : إن اللغة في زمن حدائنها تكون في السن الشعرى لها . لأنك تجدها قادرة على أن تؤدي ما يراد منها ، غنية ملأى بالأنعام حافلة بالصور ؛ فإذا ما انتقلت إلى سن الرجولة أصبح الشعر شعر الصنعة والتكلف نائياً عن الطبيعة ؛ وعنده أن (هومير) هو أحسن من قرض الشعر وشاد بذكر الطبيعة ، ولذا فهو يفضل على (فرجيل) لما كان في شعر هذا من الصنعة ، وبموازنة

نظم الصنعة والتكلف بالشعر الصادر عن الطبيعة يمكن أن تصل لهم كل شعر فهماً صحيحاً صادقاً، كما يمكن معرفة كل تاريخ للشعر.

وتراه في (غاباته النقدية) يتكلم ويحدث ، كما فعل في (قطعه) ، ويتكلم عن (هومير) وحسن فهمه لأشعاره وآثاره ، كما تراه يتكلم عن قصص الأبطال الحماسية - الملاحم على رأى البستاني - ، ويتكلم عن طرقه الصحيحة ومناهجه الصادقة ، واستنكر تلك الطريقة التي تقضى بالحكم على شعراء القدماء حسب أذواق وعوائد العصر الحديث ، وخص بنضاله ومناقشته الشراح الفرنسيين الحديثين الذين لم يتمكنوا من فهم روح العصر القديم ، وقد تكلم في تلك (الغابات) على (لوكون) لسنج ، وتوصل إلى نتائج أخرى ، ويظهر أنه كان غير موفق في تقديم هذا ، وقد أعجب (هردر) بما في الأغاني الشعبية (لأوسيان) ، كما أعجب (بهومير) من قبل ، وكذلك أعجب (بشكسبير) ، لأنه وجد أن أشعار هؤلاء صادرة عن فطرة طبيعية ؛ وقد اشترك مع (جيته) في نشر (أوراق في الفن الألماني) سنة ١٧٧٣ ، وهي تشير إلى ذلك المعنى عينه والغرض نفسه ، ثم نشر (هردر) رسالتين الأولى خاصة بـ (أوسيان) وبأغاني الشعوب القديمة ، والثانية خاصة بـ (شكسبير) ، وفي هذه الأوراق يفضل (هردر) أشعار الشعب وشعر الفطرة على نظم التكلف والصنعة ، ويبين فيها ما بأغاني الشعبين من غناء موسيقي وأثر غير مباشر ، وأوصاف شخصية ، ووضوح وبيان ؛ بينما ترى في نظم الصنعة الكلامية أنه عمل سائر على قواعد وأصول ، ولكنه لا يصدر عن فطرة طبيعية ، فترى الإنسان ينظم ويصف أشياء لم يفكر فيها ، ويتصنع العشق وليس به من غرام ، ويقلد قوى الروح التي ليست له .

هذا ما كان عن الشعر ؛ أما عن النثر ، فانه يرى في (الانجيل) قرأ جيداً صحيحاً ، لا سيما في لغة العهد القديم ، ولـ (هردر) أبحاث في شعر العبرانيين ، فتراه يشير إلى ذلك في مؤلفه (أقدم الصكوك والنوائق في بني البشر) ، وفي مؤلف ثانٍ أسماء (روح شعر العبرانيين) .

ومن خير ما كتب (هردر) في فلسفة التاريخ ؛ رسالته الممنونة (آراء في فلسفة تاريخ الإنسانية) ، وفي هذه الرسالة الشعرية الكثيرة الخيال يبين (هردر) التطور الحادث من علاقة الطبيعة بحياة الإنسان ويكون مبدأ لفلسفة التاريخ ، ويضم إلى تلك الرسالة (خطاباته لرقى الإنسانية) وواضح من عناونها أنه يعمل إلى تربية وتهذيب الإنسانية ، ويرى من الآراء أن الإنسانية تميل للنشوء والارتقاء ، وهي قابلة للتطور الدائم ، وأن الغرض الأساسي لطبيعة الناس هو الإنسانية ، وترى في قولها هذا موضعاً للنظر .

ومن مؤلفاته في النقد (التقاليد الشعرية) ، فانه يمد أن أوضح فضل شعر الفطرة على نظم الصنعة بواسطة النقد وحده على حب أغاني الشعب ، تراه يخرج للناس مجموعة طيبة من

تلك الأغاني الشعبية لأهم شتى وعصور متباعدة ، كثيراً ما أعيد طبعها بعنوان (أصوات الشعوب في الأغاني) وهو العنوان الذي تخيره لها ناشرها سنة ١٨٠٧ (الهر يوهان فون مولر بنوبنجن) . أما الاسم الذي كان قد تخيره لها (هردر) نفسه ، فهو (أغاني الشعب) ، وهو أول من أوجد هذا الاسم ، وفي هذه المجموعة تقرأ أغاني من بلاد اليونان ، وإيطاليا ، وفرنسا ، وإنجلترا ، وأسبانيا ، وجرينلند ، ولا بلاند ، وأيسلند ، وبيرو ، ومدغشقر ، بعضها مترجم عن تلك الشعوب والأمم ، وبعضها مقلد لما نظمته تلك الشعوب من أغان ؛ ومن ذلك ترى قدرة (هردر) العجيبة على أن يقول شعراً في معناه ومبناه ، وما اشتمل عليه من آراء وأخيلة غريبة عنه مثل ما لثلك البلاد الكثيرة ، وتراه يتعمق في فهم تلك الأغاني الأجنبية عنه بروحه المليفة .

ولما كانت السنة الأخيرة من عمره أخرج للناس آخر مؤلفاته ، فنى به (السيد) ، وكان عبارة عن مجموعة من القصص الخيالية الأسبانية عن حياة وأعمال بطل من أبطال أسبانيا الوطنيين المسمى (رود ريجو دياز اذفونش كوت بيفار) المتوفى سنة ١٩٠٩ في أيام الملك (الفونس) السادس ، وكان يعرف أيام حياته بالسيد الكبيادور ، أو (شيخ المعسكر) ، أو السيد البطل ، كما عرفه بعض الأندلسيين بذلك ، وقد جمع تلك القصص الخيالية وجعل منها ملحمة في أربعة أجزاء : السيد في عهد (فرديناند) الكبير ثم في عهد (شانخو) القوي ، ثم في عهد اذفونش أو (الفونسو) الشجاع ، وأخيراً لما كان في (بلنسية) وفي ممانته ؛ وفي هذه الملحمة يظهر الشاعر فيها السيد مثالا لكل فضائل الفرسان ومثالا للشجاعة والقوى ؛ والصراحة ؛ وحس الحرية رغم الزمن المعصيب الذي ظهر فيه ، وهو الزمن الذي ما كان يعرف فيه غير الوحشية ، والقسوة ، والانتقام ، والتقتيل ، والعنف ؛ وقد قل جل تلك القصص عن السيد من ترجمة فرنسية تقرأ ، ولم تكن عن الأسبانية نفسها الأصلية .

وكثيراً ما كان يهمل القافية في قصائده التي فطما من عنده ، وإن يكن لبابها كله حكمة وموعظة ، ولكنه كان لا ينظمها إلا بكيفية صعبة غير مفصلة ولا واضحة ، ولكن فضل الكبير تراه في أخصيصه ، وبذلك أعاد للأدب الألماني ما كاد يفقد أثره .

ولم يكن (هردر) بالمعقري الكبير الذي يأتي بشيء من عنده ويذرف من بحره ؛ فلا ترى له من المؤلفات العقلية الخالصة شيئاً ما ، ولكنه كان بفطرته شاعر تلك الطبيعة الصلابة التي كانت تجمده يشغل بكل جميل فيغرد بذكره شعراً ، وأن يجعل لذلك الباب والشكل ، وقد فتح الأبواب ومهد السبل لهم الشعر الصحيح ، وكان يعمل ويجد في مواضيع متعددة ، وكانت غاية الغايات لكل الأعمال في رأيه إنما ترمى إلى تربية وتهذيب الانسانية ، وكان منقوشاً على خاتمه - كما رقم على قبره - ألفاظ ثلاثة : (النور ، الحب ، الحياة) ، وهي توضح توضيحاً شافياً ما ربه في الحياة ؟

على مظهر

مطالعات في الاسلام

أهمية المعتزلة في التاريخ

بقلم الأستاذ علي حسن عبد القادر

لم يحظ تاريخ الأديان والمذاهب عامة ، وتاريخ الدين الاسلامي ومذاهبه خاصة ، إلا بعدد قليل من الباحثين في هذا البلد ، مع أنه كان يجب أن يمتنى بخدمته أكثر من غيره ، وخصوصاً عند علماء الدين الذين هم أمس به رحماً ، وأقرب إليه وشيجة ، وفوق ذلك فهو يجمع بين الفائدة في الدين والعلم ، فلا غرو أن يكون من أشرف العلوم وأوفرها لدى الباحثين لذة .

وقد أبلى في هذا المؤرخون المتقدمون بلاءً حسناً ، وكان أول كتاب من هذا النوع هو كتاب « الآراء والديانات » الذي ألفه النوبختي ، وقد استوعب فيه الكتب اليونانية التي كان قد نقلها إلى العربية^(١) . وللمعروف صاحب مروج الذهب كتابان مختلفان في تاريخ الأديان ، وقد ورد ذكرها كثيراً في كتبه^(٢) . وقد كتب المسبحي المتوفى (٥٤٢٠ هـ - ١٠٢٩ م) في كتابه وصف الديانات والحضارات زهاء خمسمائة وثلاثة آلاف صفحة في تاريخ الأديان وحدها ، وقد قيل إنه بذل في هذه الناحية وحدها أقصى جهده ، وما وسعته نفسه من ذكاء وعلم . ثم جاء بعده أبو منصور البغدادي المتوفى (٥٤٢٢ هـ - ١٠٣١ م) وألف كتابه القيم في ذلك . كما تلاه ابن حزم الأندلسي المتوفى (٥٤٦٥ هـ - ١٠٦٤ م) وكتب مؤلفه في الملل والنحل ، الذي جمع فيه صنوفاً من العلم والحكمة ، على حين ألف البيروني كتابه (تاريخ الهند) فوصف فيه أديان الهند وصفاً شافياً^(٣) . وكذلك الشهرستاني وصاحب كتاب البدء والتاريخ وغيرهم من ألقوا في هذه الناحية تأليف جامعة ، وأغنوا عنها مشكوراً .

وللغريبين في العصر الحديث جهود حميدة في هذا الصدد ، ولهم في الدين الاسلامي مؤلفات تشهد لهم بالعلم الجلم ، والتمحيص والبحث ، الذي يدل على شغف وصبر فائق وإطلاع واسع .

وإنه ليأخذك العجب والاعجاب لدى قراءتك أمثال ما كتبه : فون كريمر ، وشستينر ،

(١) المسعودي ج ١ ص ١٥٦ ، التهرست ص ١٧٧ (٢) المسعودي ج ١ ص ٢٠٠

(٣) Meg, Die Renaissance, S 201.

وجولدزهر ، وجرم ، وغيرهم من المستشرقين الذى عنوا بهذه الأبحاث ، ولا ينقص فضل هؤلاء العلماء بعض هنات لهم يتقاضى عنها كل ذى يقين سليم ، وفكر ثاقب .

وسأتناول هنا بعض أبحاث فى تاريخ المذاهب الإسلامية ، كنت قد أعددت بعضها لتكون نواة لعمل صالح فى هذا الموضوع ، وإنى أبدأ الآن بالكلام على فرقة من الفرق ذات الشأن الجليل فى الاسلام ، هى فرقة المعتزلة ، وقد أضعف أمرها وقيل من شأنها ما يرميها به كثير من الناس من الزيف والابتداع فى الدين ، مع أن الاعتزال يعتقد به كثير من أهل المذاهب الإسلامية ، حتى أهل الحديث الذين اعتاد الناس أن يحسبوه من أعداء المعتزلة (١) . وإنه لما ينبغي للمسلم تورعاً ألا يطلق لسانه بالضلالة فى أحد من المسلمين ما وجد إلى ذلك طريقاً ؛ ولعل خير ما تهتدى به فى هذا الموقف هذا الحديث ، قال مسعر بن كدام : « ما أدركت من له عقل كعقل ابن مرة ، جاءه رجل فقال : طافك الله جنتك . مسترشداً ، إني رجل دخلت فى جميع هذه الأهواء ، فما أدخل فى هوى منها إلا القرآن أدخلني فيه ، ولم أخرج من هوى إلا القرآن أخرجني منه ، حتى بقيت ليس فى يدي شيء . قال : أرأيت هل اختلفوا فى أن محمداً رسول الله ، وأن ما أتى به من الله حق ؟ قال : لا ، قال : فهل اختلفوا فى القرآن أنه كتاب الله ؟ قال : لا ، قال : فهل اختلفوا فى دين الله أنه الاسلام ؟ قال : لا ، قال : فهل اختلفوا فى الكعبة أنها القبلة ؟ قال : لا . . . فذكر هذا وأشباهه ثم قرأ « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات » قال : فهل تدري ما الحكم ؟ قال : لا ، قال : الحكم ما اجتمعوا عليه والمتشابه ما اختلفوا فيه ، شد نيتك فى الحكم ، وإياك والخوض فى المتشابه ، فقال الرجل : الحمد لله الذى أرشدنى على يديك فوالله لقد فقت من عندك وإنى لحسن الحال » (٢) .

والمعتزلة فرقة كلامية ، لا تبنى كثيراً ، بالفقه ، وعندهم أن كل عهده مصيب فى الفروع حسب ، واحتجوا بالذين أشككت عليهم القبلة زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، كل قوم إلى جهة ، فلم يأمر من أخطأ بالأعادة ، بل جعله بمثابة من أصابها ، قال بعض العلماء : وهذه المقالة تعجبنى ، ألا ترى أن أصحاب النبي قد اختلفوا وجعل اختلافهم رحمة ، وقال : بأيهم اختلفتم اختلفتم ، وقال سفيان بن عيينة : إن الله لا يعذب أحداً على ما اختلف فيه العلماء .

وترجع أهمية المعتزلة فى التاريخ إلى أن حركتها كانت الحركة الأولى فى سبيل التحرر من البدع والخرافات التى سيطرت على عقول العامة ، وكانت ترى إلى التمسك بالدين الصحيح . والآله الواحد العادل ، ولذا سموا أنفسهم « أهل العدل والتوحيد » ؛ يقول عنهم (جولدزهر) :

(١) أحسن التقاسيم ص ٣٩ ، (٢) أحسن التقاسيم ص ٣٦٥ .

« إنما لم نسمع من فم المعتزلة صوت المخالفة للدين ، ولكن سمعنا صوت الضمير المتدين الذي يناضل ضد كل مالا يليق بالله تعالى وعلاقته بعبيده »^(١) ؛ وكانت تعاصر الدين الاسلامي في هذا الوقت أديان أخرى ذات عقائد محررة على نظم فلسفية ، ولم تكن قد بحثت عقائد الاسلام إذ ذاك بحثاً منطقياً ، فقامت المعتزلة بهذا ، واستعانت بما استعان به أهل الأديان الأخرى من جدل منظم ، وفلسفة دقيقة ، وحصنت الدين بسياج من القوة أمام خصومه ، وفي ذلك يقول القائل :

مأمة فوق ظهر الأرض من ملل إلا تهيب من تسأل معتزل
قوم إذا ناظروا صالوا بعلمهم صول البزاة على الدراج والحمل
لله درهم فهماً ومعرفة وفطنة بلطف القول والجدل

فكانت المعتزلة بذلك أول من أدخل الفلسفة في الدين الاسلامي ، وذلك بعد أن طالعوا كتب الفلسفة اليونانية ، وحاولوا أن يوفقوا بين الدين والفلسفة ، واستخدموا لذلك طريقة عرفت فيما بعد « بعلم الكلام » ، والتي هي بحق فلسفة الدين . يقول الاستاذ (شتينر) : « إنه يمكننا أن نقول : إن المعتزلة كانوا هم أول من اطلع على الفلسفة اليونانية وأنشأوا بهذا العلوم النافعة ؛ وكان غرضهم من ذلك الانتفاع بالثقافة اليونانية ليضيفوها إلى الدين الاسلامي »^(٢) ؛ وكان أهل السنة ينفرون من هذا العلم في أول الأمر ؛ وينهون عن هذه الفلسفة ، إلى أن جاء أبو الحسن الأشعري الذي تدرب في مدارس المعتزلة ، وتسلح بأسلحتهم المنطقية التي أمدها بها ، ثم طردهم وواجههم بالخصومة ، وحرف حياته في معارضتهم بكل نشاط وتوفيق ؛ وكان هو أول من استعمل طريقتهم في البحث ، والمناظرة ، والاستدلال لنصرة مذهب أهل الحديث ، ومع ذلك لم يقدر واجهوده إلى وقت طويل ، وبقي عندهم معتزلياً ، ومن ذلك الحين سار أهل السنة في هذا الطريق ، وتابعوا المعتزلة في كلامهم ، وجاء المتأخرون وجدوا في نصرة مذهب الأشعري وقيادته ، على حين لم يجد المعتزلة قائداً لهم أو مجدداً في مذهبهم ، ومن هنا كانت حركة المعتزلة أساس الفلسفة الاسلامية ، ولا بد في دراسة هذه الفلسفة من معرفتها .

والمعتزلة كذلك هم الذين وسعوا علم أصول الفقه ، يظهر ذلك لمن تتبع تاريخ هذا العلم ؛ وكتب الأصول المتداولة مأخوذة من كتبهم ، يقول صاحب « المنية والأمل » : « إن أصل كتب المتأخرين كالامام الرازي وغيره ، هو كتاب « المعتمد » الذي ألّفه أبو الحسن البصري لمعتزلي المعاصر لابن سينا »^(٣) .

(١) Goldziher, Vorlesung uger den Islam, 5. 96. (٢) Steiner, Mutaziten, S. 5.

(٣) أو نوله : طبقات المعتزلة للمرافى ص ٧١

وكانت أهمية المعتزلة في تفسير القرآن الكريم مقطوعة النفي؛ فقد حدثنا الأشعري أن أستاذه الجبائي المعتزلي له تفسير في القرآن اعتمد فيه على ما ألهمه قلبه ^(١)، وقد كتب على بن عيسى الرماني المعتزلي المتوفى (٥٣٨٥ - ٩٩٥م) تفسيراً للقرآن، وقد سئل الصاحب ابن عباد أن يفسر القرآن فقال: وهل ترك لنا علي بن عيسى ما نكتبه؟ ^(٢) كما كتب النقاش المعتزلي المتوفى ببغداد (٥٣٥١ - ٩٦٢م) تفسيره في اثنتي عشرة ألف صفحة، وقد قال السيوطي: إن أبا بكر الأدفاوي كتب في عشرين ومائة جزءاً ^(٣)، وفاق هؤلاء جميعاً عبد السلام القزويني المعتزلي المتوفى (٥٤٨٣ - ١٠٩٠م) فقد فسر القرآن في ثلثائة مجلد، وفسر الفاتحة وحدها في سبعة مجلدات ^(٤)، وتبين طريقتهم في التفسير مما ذكره السيوطي من أن عبيد الله الأزدي المعتزلي (٥٣٨٧ - ٩٩٧م) ذكر في تفسيره للقرآن مائة وعشرين رأياً في معنى اسم الله (الرحمن الرحيم)، وبكفي المعتزلة غزراً تفسير «الكشاف» للأشعري، وقد ذكره ابن خلدون في موضوعين من مقدمته وأثنى عليه ورغب في مطالعته، هذا على حين كان العلماء يتورعون إذ ذاك عن تفسير القرآن.

وجلة القول أن هذه الفرقة هي أول فرقة عملت على أن يتسع نطاق علوم الدين بعد أن كانت تدور في محيط ضيق، فهبت بذلك لازدهاء الإسلام وازدهار علومه الدينية. وإن المذاهب الأربعة التي تسود العالم الإسلامي، قد نشأت في أيام السيادة العلمية للمعتزلة، فأبو حنيفة (٨٠ - ١٥٠م)، ومالك (٩٥ - ١٧٩م)، والشافعي (١٥٠ - ٢٠٤م)، وابن حنبل (١٦٤ - ٢٤١م)، قد أسسوا مذاهبهم أيام دولة المعتزلة ونهضتها، وهنا نذكر هذه الكلمات التي وصف بها الرحالة المقدسي المعتزلة من بين سائر المذاهب، قال: «وقلما رأيت فقهاء أبي حنيفة - رحمه الله - ينفكون من أربع: الرئاسة، والحفظ، والخشية، والورع؛ والمعتزلة من أربع: اللطافة، والدراية، والنسق، والسخرية؛ والشيعة من أربع: البيضة، والفطنة، واليسار، والصيت؛ وأصحاب الحديث من أربع: القدوة، والهمة، والاتفاق، والغلبة... الخ» ^(٥).

وبعد، فهذه نواح للمعتزلة تدعو للتقدير والاعجاب بهذه الطائفة الممتازة، ولكن لا يجعلنا هذا الاعجاب على أن ننسى كثيراً من مناهيهم، فلانفسى معاملتهم الخشنة لخصومهم

(١) Spitta, el Asari. S. 128 (٢) أرنولد: طبقات المعتزلة للمرتضى ج ٩٥ (٣) السيوطي:

حسن الخاضرة ج ١ ص ٢٣٣ (٤) وقال السبكي: إنه ألهمه في سبعمائة مجلد. طبقات ج ٣ ص ٢٣٠ (٥) أحسن التقاسيم ص ٤١.

أيام قوتهم ، وقد سودت صحيفتهم بحنتهم لأهل الحديث في مسألة خلق القرآن ، كما أن هذه
الفرقة قد انقسمت إلى طوائف متعددة اختلفت بالسفسطة ، وابتعدت كثيراً عن تعاليم
الاسلام ، وكانت لهم سخافات كثيرة بأبهاها العقل السليم ، وهم الذين خرجوا بالاسلام - دين
القطرة - عن السهولة والبساطة إلى التعقيد والتعمق ، يقول الأستاذ (شقير) : « إن
تاريخ الاسلام - كدين سماوي فطري - ينتهي بحجى المعتزلة أولاً ، وأهل السنة الذين تابعوه
آخرًا » (١) ؛ نعم فانه منذ ذلك الحين الذي ثارت فيه هذه العجاجة الكلامية ، وفزعت فيه
الامة إلى اصحاب الفلسفة في أمر دينها ، اختفت وراء ذلك آيات من الجمال والقطرة في
الدين ، وتوعرت سبله المتبسرة ، وبساطته الصافية . وأين الدين من الفلسفة ؟ وأين الشيء
الماخوذ بالوحي النازل من الشيء المأخوذ بالرأى الزائل ؟
أما نشأة هذه الفرقة ونهضتها ، ثم كيف اضمحلت ، وغلب عليها مذهب السنة ، والجماعة
في العالم الاسلامي ؛ فهو ما سنعالجه فيما يأتي إن شاء الله تعالى .

على حسن عبد القادر

Steiner, Mutaziliten, S. 92 (١)

مَحطَّة

الراديو مصر المملوكية

بأول شارع فاروق بالعنبة الخضراء بعمارة الأوقاف حرف « هـ » تليفون ٥٣٢٥٢
إذاعات غنائية ، موسيقى ، محاضرات لنشر الثقافة العامة ، مسابقات
وتسهيلات خاصة لجميع التجار المصريين الذين يعارنون الغرفة التجارية
في مصر والاسكندرية لإذاعة إعلاناتهم . تسهيلات أخرى لشراء
آلات الراديو للمشاركين على اختلاف أنواعها .
والادادة في حاجة الى (بلاسيات) لعمليات الاعلانات بضمان مالي أو
شخصي ، نستمكن من معونة التجار المصريين في اتصالهم بالجمهور المصري .
عاونوا هذا المشروع المصري الصميم ، ليتحقق غرضه الاساسي في
نشر الثقافة العامة ، والمساعدة في النهضة الاقتصادية المصرية .

ابراهيم باشا...!!

معلم المدرسة

بقلم الاستاذ نقولا شكرى

لما أراد (دكتور) سيد الروائيين الانجليز أن يخرج للناس آية الاعجاز في فن القصص ، اختار أن يؤلف من ذكريات صباه تلك القيمة التي أسماها « دافيد كوبر فيلد » ، وزاد على الاعجاز في هذه الآية الفنية التي خلدها ، أنه علم الناس كيف تكون عاقبة القسوة إذا تجاوزت في التربية .

وكان بحث هذه الحقبة من حياته كلمة كبرى أصدرها إلى الاخلاف في الحكم على طرائق التربية القديمة .

والواقع لو أن الانسان صالح بفطرته ، لكان - حسب هذا الصلاح - يعد رأس حكته ؛ ولكن منذ أن وجد رب الأسرة ، وكان راعياً يتوكل على عصا طويلة ، كان المربي - وهو معلم المدرسة - يحمل هراوة يهدد بها تلاميذه ؛ ولما استعان القرن الثامن عشر بطرائق التربية القديمة وضع أساس حضارة جديدة ، وكانت قاعدة تلك التربية : المنزل ، والقدوة . أما الخط الذي حفرته الحضارة في الأذهان ، فهو أن الانسان قد ولد حراً ، وإذا كانت الحرية تكفل الإصلاح ، فلنسا إذاً في حاجة إلى القصص .

رسالتى إلى القراء تلخص في صورة حية تحفظها ذاكرتى منذ عهد الطفولة ، مذ كنت طفلاً ارتع بين ربوع أنطاكية وكرومها ، وسيظل هذا الوطن حياً في نفسى بذكريات الصبا المؤثرة .

صورة معلم المدرسة التي تلقيت فيها مبادئ المعرفة .

كان مثلاً لرجال العهد القديم الذين نميزهم لأول وهلة باختلافهم عن سائر الناس في الرى والنفس ، ونعرفهم عادة سواء أكانوا في الشارع أو في المجالس بلباسهم العتيق والطرز المشوش

الذى نشأوا عليه وألقوه، لا يكاد يصالحهم النظر حتى يحسب الإنسان أنه يتلصص من ادراهم أهداب العصر البائد.

كان «إبراهيم باشا» - وهذا اسمه - رجلاً قد بلغ حدود الستين، أقرب إلى القصر منه إلى الطول، شاب بدا على وجهه الاصفرار، واستحوذت على ملامحه خشونة العصر السالف، وصراوته، غليظ الشفتين؛ وغلظ الشفتين صفة ينسبها الأخبازيون السالكون إلى التبخر في اللغة والبيان.

وما كان صاحبنا من البيانيين، ولكننا عرفناه ملأ بالعريية والتركية، وكان خطاماً لطيف الصنعة؛ وإجادة الخط كانت - لذلك العهد - ميزة شائعة، تكافى عليها الحكومة وتعمد إلى أربابها بالوظائف، من أجل ذلك صار «إبراهيم باشا» رئيس مدرسة أولية في أنطاكية. وأقوى ما تتصف به أنطاكية أنها محافظة شديدة التحسك بصفتها القومية.

والمعلم «إبراهيم باشا» إلى قصر قامته - الذى يستدل به (بسيكولوجياً) على رباطة الجأش والمهذوء، وغلظ شفتيه اللتين تمان عادة عن طيب القلب - عصبي المزاج؛ وقد يستغرب المزاج العصبي، إذ ما بدا من شيخ حطم الستين من عمره، وتهذلت أهداب عجزه وكبره، وكان أولى بالصبر والسكينة، ولكنه كان مع ذلك سريع الاحتياج إلى قوة صوته وامتداده حتى ليحسبه الإنسان من صنف المغنين الأوربيين المعروفين بنغمة (البرانز) لا تصدر عنه صيحة في قاعة الدرس حتى يتردد صداها في الطريق كأن الرجل قد نمود أن يمرن صوته على الصيحات، كما يتفق لرجال العسكرية.

هذه صورته الطبيعية؛ أما هيئته فقد كان «إبراهيم باشا» يرتدى بذلة عتيقة سوداء كأنها آخر أثر احتفظ به موظف من رجال العهد السالف، ولقد يدهى التأني أحياناً فيضيف إلى مجموعة ذلك الثوب العتيق صديراً ملوناً من نوع (الفايتيزى) فيستحوذ لون الصديري العجيب على سائر أجزائه البذلة حتى يضاهى صديري الأب (غوتيه) المشهور، الذى كان آية استغراب أهل عصره من (الروماتيك).

ولم يكن «إبراهيم باشا» مع ذلك صاحب مذهب في التجديد، أو خلق شاذ مستغرب حتى يتهم بتعمد الشذوذ في هيئته، إنما كان معلم المدرسة يعتقد أن ذلك الصديري الملون الذى يقطع به صدره يزيد في مهابته ويضيف إلى مقامه - في نظر التلاميذ وأولياء أمورهم - شيئاً كثيراً من صبغة الرجال الرسميين.

وإلى تلك البذلة العتيقة وذلك الصديري الفايتيزى كان «إبراهيم باشا» يعنى بنوع قديم من رباط الرقبة لا يدق مطلقاً في تهذيب وضعه ولا إصلاحه، كان يجعله دائماً مائلاً (م - ٠)

إلى اليسار أو إلى اليمين حسبما يتفق ، وكان هذا الهندام المشوش لونا خاصاً يعرف به معلم المدرسة في المدينة ، وهو وإن لم يكن من الرجال الرسميين إلا أنه اكتسب هذه الصفة عند أهل المدينة بالنظر إلى احترام رجال العلم في ذلك العهد الذي سادت فيه الفوضى والجهاالة .

قلنا إن « إبراهيم باشا » كان خطاطا بارعا ، والاعتقاد السائد في الشرق أن الخط من مفاتيح الرزق وأن « من علمني حرفا كنت له عبداً » ، كذلك كان معلم المدرسة محترماً ميجلا في كل مكان .

وكان المعلم « إبراهيم باشا » مرتلا في الكنيسة ؛ وإن قداسة هذه الوظيفة لشكفى للإعلان عن صوته من جهة ، ومن جهة أخرى تدل على أن اتصال التعليم بالكنيسة لا يكون أحيانا بلا فائدة !

ونحن إذا شئنا أن فنور « إبراهيم باشا » في قاعة الدراسة ، فانا نحتاج إلى مثل بلاغة (ديكتير) لكي تقرب إلى الأذهان حالة هذا للربي الذي كان لا يشرف على جمهور تلاميذه إلا قابضاً على عصا ملوطة يبلغ بها آخر الصبية، ويستمع في وقت واحد لمن هو أمامه، ويراقب خففت من هو عن يمينه ، ويسلم من كان على يساره ، فلا تغيب عنه حركة تصدر عن صبي ، ولا يدع هذه الحركة دون فصاص ، وكان كدلم المدرسة الذي وصفه (أوجين سو) الروائي الفرنسي في قصة « أسرار باريس » ، بصرف النظر عن الفارق العظيم الذي يرفع « إبراهيم باشا » إلى طبقة المعلمين الذين ينشرون المعرفة مقدار ما يهبط إلى الخفيض بنبقة المعلمين الذين يبنون طرائق الاحتيال والإجرام، فقد كان معلم المدرسة الذي اختلق صورته الروائي الفرنسي الوحشي الطبع مثل (أوجين سو) يث الرذيلة، ويعلم طائفة من المفسردين كيف يكون الاحتيال والسرقة ؛ على أن « إبراهيم باشا » وإن لم يبلغ في مستوى الانحطاط هذا الحد الذي اختلقه الروائي الفرنسي، فقد كان ينشغل حذلة من جلد آدمي بحفف، فير أنه كان بطبيعته ميالا إلى الجشع ، يفرض على تلاميذه ما لا يجوز فرضه من أساليب الربح ولطف الاحتيال على الرزق .

كان لا يقنع بما يؤديه إليه آباء التلاميذ من الهدايا، وما يحبونه به من الهبات ابتغاء أن يعنى بتربية أولادهم . كان إذا جاء الشتاء فرض على كل صبي ألا يأتي إلى المدرسة دون أن يكون متأبطاً لحزمة كبيرة من الوقود ، فلا يزال الصبية كل صباح يكدسون هذه الحزم أمام باب المدرسة، حتى إذا لوحظ أن أحدهم غاليا منها صاح به معلم المدرسة الشيخ بلا رحمة وأرجعه إلى داره حتى لا يعود إلا متأبطاً حزمة الوقود ! وكما اجتمعت هذه الأكاداس أمر أن تحمل إلى داره ويبقى مطمئناً راضياً، كأن الدفء إذا حل داره اشترك فيه أولئك الصبية الصغار.

وكان المعلم « إبراهيم باشا » لا يعتمد في معرفة الوقت على الساعات ، إنما كان يهتدى بنظر الشمس ، ومن أجل ذلك كان عتيقاً في طباعه ، وفي لباسه ، وفي ذهنه .
وقديماً جعل التاريخ معلماً للصبيان موضوع سخرية ؛ ولقد تميز معلم المدرسة بنقص خاص في طبعه أو عندامه لا يكون في أحد سواه ، وقد ظل هذا النقص كأنه عنوان تآني الطبيعة إلا أن تهزأ به منهم وتسخر بهم !

كان « إبراهيم باشا » في بعض الأيام ينظر بلا غداء إلى الظهيرة ، فإذا ما انتشر الصبية في فسحة المدرسة أثناء الفراغ ، ولجئوا لتناول الطعام وقف يبذله السوداء وصديريه الملون ، حاملاً قطعة كبيرة من الخبز بلا آدم ، وينظر يراقب بنظره ما يحمله الصبية من صنوف الطعام ، فلا يحجم عن أن يطلب من كل صبي قطعة من الخبز أو بعضاً من الفاكهة ، ويرى أن غداه على حساب تلاميذه فرض كالحق المكتسب ، وكان كالعلاق الذي ذكرت الأساطير أنه كان يستخرج بيده السمكة حية من البحر ويشويها في الشمس ثم يلتهمها .

قلنا : إنه كان لطيف الحيلة في الحصول على الربح ، ونروى على سبيل المثال قصة اتفق حدونها لمصلحة معلم المدرسة الشيخ ؛ فقد حاول بعض الصبية أن يظعن رفيقه بمدية صغيرة ، فقال « إبراهيم باشا » هذا الحادث ، وأمر الصبية ألا يستعملوا المدي مطلقاً ، ولكنه شاء أن يجعل الحادث نفسه وسيلة لاستغلال الطلبة - كشأنه في سائر المسائل - ففرض على كل صبي أن يدفع مبلغاً معيناً يمكن أن يحصل من مجموعه على ثمن مدية تودع في المدرسة لكي يستعملها الصبية ، وحتى لا تناسخ لأحد منهم أية محاولة للأذى ، وما زال يجمع في ثمن هذه المدية أسابيع طويلة ، دون أن يرى الطلبة - مع ذلك - أثراً لها ، ونارة يدعى أنها مبرقة ، وطوراً يؤكد أن في ثمنه شراها متى اجتمع لديه ثمنها ، ولقد حصل على ذلك الثمن مرة وأخرى ، وهو باق على استمساكه في استعمال الحيلة لا يترارز عقود التلاميذ .

وليت طبيعة معلم المدرسة الشيخ قد انتهت عند هذا الحد ، فإنه كان لا يترك فرصة دون أن يمرض على بعض الصبية - لأسباب وأهية - عقوبات من نوع تسويد المخطوط على ورق ثقيل ، كان كلما تراكم لديه من ٤٠٠ أو ٦٠٠ قرطاس حمله إلى السوق لكي يبيعه إلى التجار ؛ وربما أخلى الصبي من عقوبة ثقيلة ، (كالغلق) مثلاً ، وهو لا يربح من وراثتها شيئاً لكي يفرض عليه كتابة مسودات ، فكان الطلبة يؤدون هذه الواجبات مرغمين .

وكانت مدرسة « إبراهيم باشا » مع ذلك مشهورة بحسن السمعة ورقى التعليم ، وفي الحقيقة أن هيئة الرجل كانت تحمل ناظره في الظاهر على الاحترام .

ومن نوادره أن التلميذ كلما استطاع أن يكمل كتاباً معين عليه أن يؤدي إلى معلم المدرسة

هدية فاخرة مع المرتب ، وكان ذلك فرضاً محتملاً ، فضرب لذلك مثلاً كتاب (الألفبختوس) الذي كان من أجل التأليف الدينية لدى معلم المدرسة ، فقد كنا لا نبلغ ختامه حتى نطالب بأداء مكافأة عظيمة كان ينبغي أن تؤدي إلينا لكي نحضنا على الحفظ ، إنما « إبراهيم باشا » يرى المكافأة من حقه لا من حق التلميذ ، ولا يستثنى - من القصص بالقلق وبالمصا أو أداء المسودات - سوى التلاميذ الذين يجبرونه بالهدايا وأنواع الحيل و (البقشيش) ، هذا إلى أن تعليمه لم يكن يتجاوز حفظ مختارات من ديوان ابن الفارض وجماني الأدب وجمع البحرين !! لا نذكر أن « إبراهيم باشا » كان معلماً منزهاً عن لوم المعلم الذي وصفه (شارل ديكنز) في روايته (دافيد كوبر فيلد) ، وبعبارة كل البعد - أيضاً - عن خبث المعلمين في العصر الحديث ، غير أن هذه الصفات التي لا تزال تذكرها له جعلت منه صورة صادقة لذلك الصنف من المعلمين الذين ذكرهم الجاحظ ، وكانوا موضوع سخرية عصرهم ، وستظل صورة « إبراهيم باشا » بالبدلة السوداء العتيقة والصديري اللون ، وربطة الرقبة المنحرفة الطويلة ، رمزاً لعهد كانت فيه فريضة احترام المعلم إزاء الجهل السائد ، أشبه بغلالة كشيقة تخفى من ورائها أقبح العيوب ، ولكن من كان يستطيع أن يرفع يده تلك الغلالة لكي يكشف نقائص « إبراهيم باشا » ؟

أما أن ينكر الترقى تعليمه الراسخ بسبب ديبته لمن علمه ، فهذا لعمري كفران لم يكن في طاقة العيبة ، فكيف يمكن أن يكون في طاقة الكبار ؟ من أجل ذلك بقي « إبراهيم باشا » معلم مدرسة ، ومرتلاً في الكنيسة ، وخطاطاً ، وصاحب سيادة وسعة ، كععض المعلمين القدماء الذين كان يدين لهم تلاميذهم بالحياة .
قولاً شكري

أيها المشرك !!

إن « المعرفة » تتحرك كل التحرك ، بأنها بحلة المتقنين والعظماء ، وبأن مشتركها من خاصة العلماء والأدباء في جميع أنحاء الشرق العربي . لذلك يهمها أن تحافظ على سمعتهم الأدبية من اتهامهم بعدم تقدير المشاق الصحفية ، وما نبذل في سبيل « المعرفة » من مال وجهد . فهل أدبت واجبك نحوها ؟ وهل سددت اشتراكك ؟ تذكر قليلاً ، وتفضل ، شكوراً بتسديد ما عليك إن لم تكن سددته .

٤ — اليابان ونظمها التعليمية*

بقلم الدكتور سيدراس مسعود نواب مسعود جنك بهادر
وزير معارف حيدر آباد سابقاً ونائب رئيس جامعة عليكرة حالا

تصريب الأستاذ اعصابه سامى مقي

أستاذ الادب العربى بجامعة عليكرة بالهند

[خاصة مجلة المعرفة]

ذكرنا فى العدد الفائت القانون الأساسى لليابانى ، ويلاحظ أنه يمتاز عن غيره أو يختص ببعض الأمور ، التى لا توجد فى غيره من قوانين الحكومات الدستورية الأخرى ، وذلك لأسباب كثيرة تتضح من الاعلان الذى كان قد أذاعه ولى العهد (إيتو) - واضع هذا الدستور - حيث يقول ما أتقنه باختصار :

« أمرنى ولى التهمة بوضع مسودة للدستور اليابانى ، فتلفت أمره ورحلت فى قدس الشهر من اليابان قاصداً أوروبا لدرس قوانينها ، ومكنت هناك متنقلاً من مملكة إلى أخرى نحو سنة ونصف سنة لم أبرح فيها عاكفاً على المطالعة والمحادثة والبحث والفحص بكل إيمان فيما يتعلق بذلك ، حتى وفقت لهذا الدستور الذى أضعه الآن بين يدى الشعب اليابانى النشيط ، ولكن لم أكن - فى أخذى القانون عن الأوربيين - نافلاً مقلداً ، بل إتنى اخترت منه ما يتفق وبلادى وطبائع أهلها وعوائدهم وغير ذلك ، مثل : عقيدة اليابان فى السلطان ، التى كانت لديهم جزءاً لا يتجزأ من المذهب ، ولذلك كان لا بد لنا من مراعاة ذلك ، وعدم تقييد الاختيارات السلطانية بقيود تحد من قوته وسلطانه فى المستقبل ، بحيث يصبح السلطان عبارة عن صنم لا حراك به ، ومع ذلك لم تتغافل عن حفظ حرية الرعية ومالها وحياتها ... الخ » .

كل ما سعى له (إيتو) فى هذا الدستور ، هو أن جعل السلطان - لا الشعب - المرجع الأساسى والحاكم الأعلى فى المملكة ، حيث إنه لم يسمح للمجلس بدرس المعروقات السلطانية إلا إذا كانت هناك ضرورة لزيادتها ، كما أنه جعل الرأى فى عقد الصلح وأمر الحرب للسلطان وحده ، إلى غير ذلك من الأمور التى لا تتفق والدستور .

هذا مختصر جداً من مطول ترجمته من كتاب الدكتور سيدراس مسعود فيما يتعلق بالأمور العامة اليابانية ، وهأنذا أذكر شيئاً عن التعليم فى اليابان .

التعليم في اليابان

كان اليابانيون يقسمون - في عهد الحكومة الطائفية - أربعة أقسام ودرجات :
 (١) طبقة الأمراء ، ومنها السمورائيون أيضاً ، (٢) الزراع ، (٣) أصحاب الحرف ،
 (٤) التجار ؛ وقد كان العلم في تلك الأيام محصوراً في طبقة السمورائيين ، لأنهم كانوا لا يرون
 ميزة للعلم إلا أن يكونوا حكاماً ، وحيث إنه كان لا يحق لفرد من أفراد الطبقات الثلاث
 الأخرى تولية الحكم ، لذلك لم تكن لهم مدارس ؛ ثم بعد مدة طويلة أخذ الأمراء أيضاً
 يعلمون أولادهم بأن أسسوا لهم مدارس خصوصية ؛ وبقيت الحال كذلك زمناً طويلاً ، حتى
 استيقظ اليابانيون أخيراً ، وعرفوا النور من الظلام ، وتساوت طبقاتهم ، وصار العلم متشاعاً
 لكل فرد من الأفراد ، وانكب اليابانيون بعد ذلك على الاجتهاد كما ذكرت آنفاً .

أما نظام المعارف في اليابان فهو :

للمعارف وزير ونائب - كما هي الحال في غير المعارف - من الشعب ، وهذا النائب
 لا يؤثر فيه عزل الوزير أو استغناؤه أو سقوط الوزارة ، بل هو كباقي الموظفين ، والوزير
 هو المسئول عن كل ما يتعلق بأمر المعارف ، ويلحق الوزارة - مباشرة - ست دوائر هي :
 (١) دائرة التعليم العالي ، (٢) دائرة التعليم العام ، (٣) دائرة تعليم الصناعة ، (٤) دائرة
 الكتب المدرسية ، (٥) دائرة الأمور المذهبية ، (٦) لجنة المعارف العليا . وعدا هذه
 الدوائر فإن هناك أيضاً عشرين موظفاً يرتبطون بالوزارة مباشرة ، وتحت كل دائرة من هذه
 الدوائر الست عدة شعب ، هي كما يلي :

دائرة التعليم العالي ، ولها ثلاث شعب :

١ - الشعبة التي تنظر في أمور الجامعات الرسمية ، وتمنح الشهادات ، وتدير نظام
 الكليات ، وتعين وتعزل الأساتذة ، وتبعث الأساتذة وغيرهم إلى الخارج لتعلم والتحقيقات
 العلمية ، وتبني المراصد وغيرها مما يتعلق بالأمور الفلكية .

٢ - الشعبة التي تنظر في أمور الجامعات الأهلية - عدا دور الصناعة - وإليها يعود
 تنظيم أمر المعارض الصناعية .

٣ - الشعبة التي تختص الأطباء وأطباء الأسنان والصيادلة ، وإليها يعود أمر التحقيقات
 العلمية ، ومسح الأراضي ، والزلازل وغير ذلك .

وتحت دائرة التعليم العام أربع شعب :

١ - الشعبة التي تنظر في أمور المدارس الابتدائية ، وكل ما يتعلق بها من أمور معلميها
 وغير ذلك .

٢ - الشعبة المكلفة بأمور المدارس الوسطى للذكور والإناث جميعها .

- ٣ — الشعبة المنوط بها أمر النظر في الأموال التي تدفع من الخزانة السلطانية للتعليم الابتدائي ، ويتعلق بها أيضاً كل الأمور التي لا تعود إلى دائرة من الدوائر .
- ٤ — الشعبة المكلفة بالنظر في أمور المعاشرة المتعلقة بالتعليم ، وكذلك إلقاء المحاضرات أمام عامة الشعب ، وتأسيس دور الكتب ، وتعليم الخرس والعميان والصم .
- وتحت دائرة تعليم الصناعة أربع شعب أيضاً :
- ١ — افتتاح المدارس والكليات لتعليم الصناعة وإدارتها .
 - ٢ — افتتاح المدارس الزراعية والكليات وتعليم أصول الري وإدارته .
 - ٣ — افتتاح المدارس والكليات التجارية والبحرية وإدارة أمورها .
 - ٤ — افتتاح المدارس المتسلسلة (ولم أقمهم ما هي هذه المدارس) .
- وتحت دائرة الكتب المدرسية شعبتان :
- ١ — من واجباتها تأليف الكتب المدرسية ، وتعليم اللغة اليابانية .
 - ٢ — نشر وقد الكتب المدرسية .
- وتحت دائرة الأمور المذهبية شعبتان أيضاً :
- ١ — دائرة حفظ أوقاف البيع والمعابد وغيرها من الأبنية المذهبية ، ومراقبة علماء الأديان والجمعيات الدينية .
 - وتحت دائرة لجنة المعارف العليا خمس شعب :
- ١ — من واجباتها توزيع صور السلطان على المدارس المختلفة ، وتعيين الموظفين ، وتحديد رواتبهم ، وخاتم الوزير يكون في هذه الدائرة .
 - ٢ — من واجباتها استلام التقارير والاجابة عليها ، ووضع جداول الاحصائيات .
 - ٣ — من واجباتها كل ما يتعلق بالأمور المالية ، والميزانية ، ودفع الرواتب ، ووضع الميزانية ، وإدارة كل العقارات التي هي ملك لدائرة المعارف .
 - ٤ — شعبة التعميرات والترميمات .
 - ٥ — من واجباتها اتخاذ الوسائل المناسبة فيما يتعلق بحفظ الصحة في المدارس ، وتعيين الأطباء لها ، وتنظيم الألعاب الرياضية .
- وأما المشرفون موظفون الذين ذكرتهم آنفاً ، فهم يقسمون إلى ثلاثة أقسام :
- ١ — المكلفون بتفتيش الكليات العليا ، والكليات الصناعية ، ودار المعلمين العليا ، وكليات الطب .
 - ٢ — المكلفون بتفتيش مدارس : الصناعة ، والزراعة ، والتجارة ، والمدارس البحرية ، ومدارس الري .

٣ - المكلفون بتفتيش المدارس العامة - ذكوراً وإناثاً - ، والمدارس العليا ، ومدارس المعلمين وغير ذلك .

ومن واجبات هؤلاء المفتشين - عند تفتيشهم المدارس - أن يبحثوا حالة البلدان العلمية التي ذهبوا إليها ، وأن يلاحظوا طرق التعليم ، وهل هي مناسبة أم لا ؟ وأن ينظروا إلى ميزانية المدارس مع ملاحظة أموال المعلمين ، وهل هم تأخرون بواجباتهم أم لا ؟ كما أن من واجباتهم أن يكتبوا في مذكراتهم كل ما يرونه لازماً لترقية التعليم ونشر العلم ، ثم يعرضوه شفاهاً وكتابة على الوزير عند عودتهم ، وكل ما يستحسنه الوزير في هذا الشأن يوعز به إلى حاكم تلك الولاية .

وهناك أيضاً مجلس استشاري للمعارف تعرض عليه كل الآراء التي تتطلب خصاً وإمناً ، فيبدي فيها رأيه ؛ ومع أنه ليس على الوزير أن يلبى كل ما يقرره المجلس ، فإنه لا يماكسهم أيضاً .

تقسم المدارس في اليابان إلى ثلاثة أقسام . الأول مدارس الحكومة المرتبطة بوزارة المعارف ، والثاني مدارس الحكومة التي يديرها مركز حكومة الولاية أو المتصرفية أو القضاء . . . الخ ، وهي تقوم بمصاريفها ؛ وأكثر هذه المدارس ابتدائية أو متوسطة ، والثالث المدارس الخصوصية ، وهي إما أن تكون لشخص بعينه أو أنها تحت إدارة لجنة ؛ على أن جميع هذه المدارس تخضع لوزارة المعارف إما مباشرة ، أو بطريق غير مباشرة ، لأنه لا يمكن إقامة مدرسة قط إلا بإذن من وزارة المعارف ، ويكون ذلك بعد أن تعلم الوزارة غرض المدرسة الذي ترمى إليه ، والعلوم أو الفنون التي يرغب في تدريسها ، ومعرفة دخلها ومصاريفها ، والمكان الذي تقام فيه بناية المدرسة ، وغير ذلك مفصلاً ؛ ولا بد من تقديم شهادة من معمل كيميائي تثبت أن ماء تلك الأرض التي يرغب في إقامة بناية المدرسة فيها صالح للاستعمال ، وذلك لأن الحكومة تعني جد العناية بحفظ الصحة ، ومن ذلك أيضاً أنه يخص جُلوس كل تلميذ في المدارس الثانوية ١٣٠ قدماً مربباً ليكون الهواء نقياً دائماً .

علاوة على ما ذكرته عن المفتشين المرتبطين بالوزارة رأساً ، فإن لكل ولاية خمسة مفتشين يختصون بها ، وهؤلاء مسئولون كل المسئولية ؛ كل واحد منهم عن قسم خاص في ولايته أو متصرفيته أو قضائه أو غير ذلك ؛ وفوق هذا الاعتناء بأمر التعليم ، فإن المديرين لا يدرسون شيئاً ، بل كل ما لهم من الأعمال هو إدارة المدرسة أو الكلية التي هي تحت إدارتهم ، مع السعي لترقيتها دائماً ؛ وكل الأساتذة يكون عزهم وتعيينهم بيد المدير بعد موافقة الوزارة ، وذلك لكي يكون المدير مؤخذاً على كل تقصير يحدث في مدرسته ، إذ

لا يتركون له عذراً يعتذر به ، ولذلك فقد بلغ انتشار العلم في اليابان درجة واسعة جداً ، حتى إنه في قرية لا يزيد سكانها على ٤٢ نسمة أُنشئت الحكومة مدرسة ابتدائية .
ومما يجدر ذكره أن اليابان قد غاقت كثيراً من الدول بأمر واحد : هو أن كل مدارسها أو أكثرها يكون ملكاً لدائرة المعارف .

وأما كل مدرسة بستان تستفيد المدرسة من محصولاته التي يصرف إيرادها دائماً في صيانة وإصلاح وترميم المدرسة ؛ أما الاعتناء بأمر المعلمين ورواتبهم فقد بلغ الحد الأقصى ، ولذلك ترى المعلمين هناك لا شاغل لهم يشغلهم عن دراستهم ، ولا أمر يفكرون فيه حتى ولا في دورهم وبجالسهم ومنتدياتهم إلا أمر مدارسهم والسعي لترقيتها ؛ وأما ما تبذله الحكومة على المعارف فهو أيضاً جدير بالتقدير والالفتان إليه ، ومن ذلك أقل هنا حالة ولاية واحدة يستدل بها على باقي الولايات ، لأنها كلها تحت قانون واحد ، وهذه الولاية هي (كاناكاوا) التي تبلغ مساحتها نحو ٩٧٠ ميلاً مربعاً ، وعدد سكانها نحو ١٣٧٢٣٣٧٢ نسمة ، وتبلغ وارداتها السنوية نحو ٩٧٥٥٥٥٠٠ ينًا ^(١) ، يصرف منها ١٧٦٥٥٨٩٧ ينًا - أي نحو الثمن - على المعارف وحدها ، والباقي على الدوائر جميعها ، بما فيها من كبير وصغير ، وإصلاحات وتعميرات وغير ذلك .

ويوجد في هذه الولاية ٦٦٦ مدرسة ، منها ٢٨ روضة للأطفال ، و ٣٠٤ مدارس ابتدائية ، و ٤ مدارس للعميان ، و ٤٧ مدرسة متفرقة يعلم فيها الطبخ والحياكة والتدبير المنزلي ، ومدرسة واحدة للمعلمين ، ومدرسة واحدة للعمليات ، و ٨ مدارس عالية ، و ٨ مدارس صناعية ، و ٣ مدارس غير معترف بها من قبل الحكومة ، وهي مدرسة تبشيرية ، ومدرسة تجارية ، ومدرسة أهلية ، ومدرستان عاليتان للأنثى ، ومدرستان أهليتان ابتدائيتان ، ومدرسة عالية صناعية .

وترسل وزارة المعارف في كل سنة - مرة واحدة - مفتشها إلى الولايات المختلفة للأمر الآتية :

١ - النظر في حالة التعليم وكيفية ترفيته ، وعلى كل مفتش أن يرسل تقريره إلى الوزير رأساً .

٢ - توزيع وتصحيح الأحكام السلطانية التي يجب اتباعها في الولايات .

٣ - الإيعاز إلى حكام الولايات بما تقتضيه الحال لترقية المعارف .

(١) ابن عباد عن عشرة فروض مصرية .

قوة الحيوية في الشعب المصري

بقلم الاستاذ أحمد محمد فهمي

مدرس بمدرسة الزراعة العليا

مصر بلاد قديمة العهد ، عريقة في الجذ ، متناهية في القدم ، تحوم حول اسمها خيالات الماضي البعيد ، ويذكر معها إذا ما ذكرت أساطير غاية في العجب ، يدور محورها حول عرائس النيل ، وهياكل أمون ، وقصر لايراتنا ، وأبي الهول ، الهازي . بالعالم ، الساكن السكون الأبدي ، الرابض أمام أهرام خوفو ، والآلهة المعبودة ، والملوك المتوجة ، والكهنة الكبار ، والمعابد المشيدة :

فلنكل لبننة حجرة فيها حديث يذكر

وهي لشهرتها القديمة كانت ولا تزال مطمع الفاتحين ، والغزاة من جميع الأمم ، والشعوب ؛ غزاها الرعاة ، والنوب ، والفرس ، واليونان ، والرومان ، والعرب ، والترك ، والفرنسيس ، والانجليز ، وغيرهم ، وملكوها فدانت لحكمهم ، ورضخت لظلمهم ، وصبرت على طغيانهم ، ولكنها لم تكن فيهم ، ولم تفقد يوماً حيويتها رغم رغبة الفاتحين الملحة ، وعملهم المتواصل لهذه الغاية ، خافقت مصر بقوة حيويتها على كيانها رغم هذه المقاليم الصارخة ، والاحن المتتالية ، والمصائب التي كانت تصب عليها من كل هؤلاء الفاتحين الطامعين فيها المتكاملين على امتلاكها .

تأمل المرميات المصرية جيداً ، وقارن بينها وبين ملامح الفلاح المصري نجد سحنة واحدة ، وشبهاً قريباً ؛ حقاً لقد بقي هذا الفلاح القديم بقاء الأهرام ، عرائنه هو عرائنه ، وفأسه هي فأسه لم تتغير ، ولم تتبدل ؛ بقيت على الأيام وداعته ، وكرمه ، ولينه ، وسداجته ، ودهاؤه ، وملقه ، وتلك والله هي الحيوية العظيمة التي صمدت لماول الهدم كل هذا الزمن المتناهي في القدم .

وقف الشعب المصري في جميع أذوار التاريخ وقفة المنفرد أمام خشبة المسرح ، يرى الدول تدول ، والممالك تزول ، والعروش تتفوض ، وهو ثابت كالطود ، أصله ثابت وفرعه في السماء ، مثلت أمامه كل مآسى الحياة ، ومهازلها وهو ثابت لم يتغير .

قوية جداً تلك الحيوية التي أمكنها البقاء آلاف السنين في شعب مغلوب على أمره ، محكوم بغيره ، مسلوب الحرية ، غارق في بحار الجهل ، متسكع في دياجير الظلام .

هذه الحيوية كامنة في جسم الشعب المصرى ككون النار في الصوان ، فهل من زناد تنقدح به هذه النار الخابية ، فتشتعل هذه الحيوية العتيدة المخبوءة بين جوانح هذا الشعب النيل ؟

حقاً إن إذكاء تلك النار المختبئة تحت رماد الجهل وظلمات الظلم ، هو أشرف الأعمال التى يجب علينا الالتفات إليها ، وعدم التفريط فيها ؛ بل يجب إشعالها بشدة حتى تصير بحرارتها كل الشوائب التى علفت بهذا الشعب المسكين فى آلاف الحقب التى مرت به ، وحتى تحرق بلهبها كل الأوهام التى تسلطت عليه ، والخزعبلات التى لحقت به فى حياته الطويلة التى لا يعرف لها التاريخ بدءاً .

هلموا أيها الشباب الناهض ، ويا أيها الرجال المنقفون ، إك مد أيديكم لهذا الشعب المماره حياة ، أرشدوه إلى الصراط السوى ، والطريق المستقيم ، تقوا الآشواك من طريقه ، ومهدوا له السبيل لتدارك ما فات ، ساعدوه على السير وراءكم فى طريق المدنية ، ادفعوه فى مقدمة مواكب الشعوب السائرة إلى الأمام ، اعملوا جهدكم على إزالة الوصمة المخجلة من جبين هذا الشعب المجيد ، وصمة عدم عرفانه بنفسه ، وإجلاله لقدره

فمن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

أليس من الخجل حقاً أن تدخل متحف الآثار المصرية - سيد متاحف الدنيا وغرها - فلا تجد النظارة فيه غير الأجانب القاطنين بين أظهرنا ، وغير السائحين الذين دعاهم سحر مصر القديمة ، فلبوا من كل صوب يهرعون ، هؤلاء الذين يعتقدون أن من شرب من ماء النيل لا بد أن يعود إليه يوماً من الأيام .

أليس مما يخجلنا أن نذهب إلى أهرام الجيزة ، فلا نرى غير من ذكرنا من الأجانب يتأملون صنع أجدادنا خاشعين مسلوبي العقول أمام هذه الجلالة وتلك العظمة ، فإذا أنت تفقدت أشبال هؤلاء العظام ، فلا تجد منهم أحداً ، أحلف صادقاً غير حانت أن تسعة أعشار سكان مدينة القاهرة ، وسكان جيزة القسطنطينية ، لم ير أحد منهم أهرام الجيزة عن كسب ، ولا وقف أمام أبى الهول الأفطس ، المصنى لصوت الطبيعة ، الناظر لمطلع الشمس . علومهم بكل طرائق العلم وضروب المعرفة ، أن لهم ماضياً حافلاً بالعظائم مملوءاً بالجلال والجمال .

بذلك تتنبه فيهم تلك الحيوية الكامنة التى ذكرناها فى أول هذا المقال ، فإذا هى تلبت فيهم ، فانهم لا يد عاملون على إعادة هذا المجد القديم ، الذى نسمع كل يوم فى أوروبا من يشيد بذكور من العلماء والباحثين ؛ فيوما نسمع أن مدققاً إنجليزياً من علماء الآثار أثبت أن مصر قد احتلت بلاد الانجليز فى الزمن القديم ، وتركت فيها آثاراً تدل عليها ، لأنه اكتشف هناك أثرأ من آثار الفن المصرى القديم .

ونسبح يوماً أن عالماً أمريكياً أثبت أن المصريين قد اكتشفوا الدنيا الجديدة (أمريكا) قبل أن تراها عينا (كولومبس) بألاف السنين، وآخر يقول: إن المصريين كانوا يعرفون الكهرباء، ويستعملونها في الصناعات المدنية بأحقق مما هي مستعملة اليوم. قولوا لهم ذلك، وانثروه في جميع الطبقات، قولوه لهم، وقولوا لهم غيره بما تعرفون، حثوهم على مشاهدة آثار أجدادهم، قو الحيوية الكامنة فيهم. قولوا ذلك لأبنائكم وبنائكم، ولقنوه نساءكم، انثروه في مجلاتكم وفي جرائدكم، واعتقدوا له الفصول في كتبكم، اعلنوا عنه بجميع وسائل الاعلان، فنحن أحوج للاعلان عن مصر في مصر نفسها، وليس في أوروبا وأمريكا، فتعرف الأمة الفارقة في بحار الأمية الجاهلة بماضيها وحاضرها، أن لها مفاخر ليست لغيرها من أمم الأرض، فتعز بنفسها، ونشيع فيها فكرة الكبرياء الوطني، والانانية القومية - التي تكلمنا عليها في عدد نوفمبر من «المعرفة» - فتتنبه فيها فضيلة التخر والحساسة، وتقوى حيويتها الكامنة التي لم تفارقها والتي لازمتها رغم ما رأت من الأحوال، وما كابدت من المصائب من فجر التاريخ حتى الآن.

وقل اعملوا فبى الله عملكم

أحمد محمد فهمي

اليابانه ونظمها التعليمية

[بقية المنشور على الصفحة رقم ١٠٩٧]

٤ - مع كل ما خولته الحكومة للفتشين من الحقوق فقد احتفظت بحق عزل المعلمين أو توليتهم، إذ لا يمكن ذلك إلا بإذن الوزير وعلمه.

ويلاحظ أن اليابانيين لم يفتتوا إلى العلم فقط، بل أعطوا القنوز جميعها ما تستحقه من القدر، وفتحوا لها المدارس الكبيرة وأعدوها بكل ما تحتاج إليه من الضروريات، لا بل من الكماليات، وهكذا فإن كل ياباني يرى أن نجاح بلاده يتوقف على ثلاثة أشياء: الأول نشر العلم وتعمينه، والثاني تعزيز القوى البحرية والبرية، والثالث تنمية التجارة والزراعة.

فاليابانيون إذا لم يأخذوا بأمر واحد من الأمور الحيوية، بل علموا سر الحياة وضرورياتها، فأخذوا بناصيتها، وذلكوا بجتهادهم كل صعب في سبيل العز والشرف والحياة السعيدة، وهكذا يكون شأن من يلبق بالحياة وتليق الحياة به.

إحسان سامي حتى

[عليكرة الهند]

٢- ذكريات من إيطاليا*

نقلم الأستاذ ذكى محمد حسن
عضو بعثة الآثار الإسلامية بالسربون بباريس

سيراكيوز - نابلى - برطلة فيزوف - بومبي - روما

ولدينا في مصر مثل هذه الخفريات الأثرية : أهمها ما بدأها المرحوم د على بهجت بك لكشف عن القسطنط (العاصمة العربية الأولى للديار المصرية) ؛ ولا تزال دار الآثار العربية تواصل أعمال الحفر بإشراف مديرها الحالى المسيو (فييت) ؛ ومنها أيضاً ما تقوم به جماعة (The Egyptian Exploration Fund) لكشف قل المائدة عاصمة مصر فى عهد الملك (اختانون).

وأطلال (بومبي) - رغم ما تبعته فى النفوس من رهبة وما تنيره من ذكريات التاريخ ، واحترام لجلال الموت وعظمة الحياة التى طغى عليها البركان فوضع لنهايتها حداً - أقول رغم كل ذلك فإنها تشهد بالمهارة والدقة والمناورة لمن قام من العلماء بهذه الخفريات ؛ فإلى السائح يسير فى شوارع كاملة بين صفوف من المنازل ، كثير منها باقية أكثر معاملته ، حتى النقوش على جدران المنازل باقى أكثرها يشهد بعظمة الرومان وعلو مدنيتهن ، فتسارده فى السائح سوق المدينة وحماماتها ، وأخرى أقواس النصر المختلفة ، وأحياناً منازل لم تعبت بها يد الزمن فكأنها تصلح للسكنى ؛ وكأن القوم يريدون أن تبقى - مما حدث - ذكرى حية ، فتراهم فى حجرة صغيرة أحاطوا جانبيها بالزجاج وقد تركوا بقايا أسرة دهمها البركان لجمعها فى الموت ، وكأن عظامها ترغم السائح أن يرفع الرأس ليرى (فيزوف) ويدهب : هل خمدت نائزته ، أم لا زال يضرر الإنسانية ما يضر ؟

اتمتت زيارتي من (بومبي) ، وقفلت راجعاً فى القطار ، ولكنى تركته فى محطة عند منتصف المسافة إلى (نابولى) ، ومن هذه المحطة يبدأ الترام الذى يصعد على سفوح المرتفعات حتى يصل إلى قمة البركان ، وقد بدا لى ثمن التذكرة باهظاً للذهاب والإياب وقدره نحو سبعين قرشاً ؛ ولكنى وجدت - بعد ذلك - أن المسافة طويلة والرحلة غاية فى الإبداع ، إذ بدأ الترام يصعد بنا سفوح المرتفعات فى منتصف الساعة الثالثة ، وظل يدور بنا حولها مرتفعاً شيئاً فشيئاً ، وعلى جانبيها مسافات ممتدة من الكروم تغطى الجزء الأدنى من سفوح هذه

المرتفعات ، وفي منتصف المسافة تركنا هذا الترام إلى غيره من نوع آخر (Punicolare) ظل يصعد بنا صعوداً أفقياً مباشراً ، حتى وصلنا نهاية الرحلة في منتصف الساعة الرابعة ؛ وكان المنظر جميلاً رائعاً ؛ فتحت أقدامنا (نابولي) وضواحيها تطل على بحر يغيب في الأفق ، ويملؤها طبقات اللافا والرماد ، وقد بقيت حارية في الجزء المباشر للبركان ، وغشيتها الكروم في الجزء الذي يقرب من المساكن والمزارع ؛ وإذا أولينا المديسة والبحر ظهورنا ، ظهرت أمامنا فوهة البركان الحالية ؛ إذ أننا نعلم فوهته القديمة ، وهي أكثر ارتفاعاً من الفوهة الحالية التي تخرج منها سحب من الدخان تتوج البركان وتزيد عظمة على عظمة ؛ والقوم لا يقتفون عند هذا الحد ، بل هناك أدلاء مخصوصون يستلعيون أن يصلحوا من يريد من السواح فيهبطوا به من الناحية الأخرى إلى موضع أقرب إلى الفوهة الحالية ، كل ذلك لقاء نحو خمسة وعشرين قرشاً ، فدفعني حب الاستطلاع إلى الإقدام على ذلك ، ولكني لم أستطع أن أواصل السير إلى النهاية ، لأن رائحة المذفوقات البركانية كادت تخنقني تماماً ، فطلبت الرجوع ، بينما واصل السير مع دليل آخر شاب ألماني ، غير أنه لم يستطع إلا أن يرجع بعد خطوات أخرى .

وكنّا في رحلتنا هذه ثمانية : شابين ألمانيين ، وانجليزي ، وسيدتين انجليزيتين ، وهولندي ، وأنا ؛ وكان الجو دليلاً بارداً ، ولا غرابة في ذلك ، إذ كنا على بعد ١٢٠٠ متر من سطح البحر .

وهكذا انتهت زيارتي لـ (نابولي) وتركتها إلى (روما) ؛ فكان القطار ينهب بنا الأرض بين جبال عالية ، وسهول تكسوها الخضرة والكروم ، وتنفق كثيرة يجتازها بين حين وآخر ليعبر هذه الجبال ؛ وذكرني منظر الريف الإيطالي بقرانا في مصر وما عليه فلاحونا من بؤس وشقاء ، ، ولم يسعني حين ذلك إلا أن أذكر ما عليه القرى في إنجلترا وفرنسا وسويسرا من جبال يحجب إلى المرء ترك المدن وضواحيها .

وأخيراً وصلنا (روما Caput Mundi) أو (عاصمة الدنيا) - كما كان يسميها الرومان - وهي وإن تكن فقدت مركزها هذا من وجوه عدة ، إلا أنها لا تزال - بحق - سيدة عواصم العالم بآثارها القديمة ، بل إنها تجمع عاملين : عامل التليان ، وعامل المسيحية ، غير أننا إذا استثنينا غناها بكنوزها الأثرية ، فإن (روما) لا تساوي عواصم الدول الكبرى جالاً وتسلقاً ، ولذا منذ أن دخلتها جيوش الملك - بعد تمام الوحدة الإيطالية - سنة ١٨٧٠ كان هم أول الأمر فيها القيام بالإصلاحات اللازمة لإبلاغها تلك المرتبة ، ولكن قامت دون ذلك صعوبات ، أهمها : قلة المال ، وازدحام المدينة بالآثار القديمة والأطلال البالية

ازدحاماً يتعارض مع المدينة الحديثة وتنظيم العواصم الكبرى، وخاصة إذا لم يجرؤ القوم على تضحية بعض هذه الأطلال في سبيل تنظيم المدينة وتنسيقها .

وقد لجأ رجال (روما) إلى البارون (هوسمان Hausman) - الذي كان محافظاً لمقاطعة (السين) بفرنسا ، واشتهر بأعماله العظيمة في سبيل تنظيم (باريس) وتحجيمها - في أواخر القرن الماضي ، فأقنع بأن يتركوا (روما) القديمة ، وأن ينشأوا بجانبها مدينة جديدة ، فلم يلق أذناً صاغية ، ولكن القرائن تدل على أنهم يعودون الآن إلى رأيه شيئاً فشيئاً .

أما (موسوليني) فقد اهتم بذلك ، وكون - منذ سنتين - لجنة خضت المسألة ملياً ، ورأت القيام بإصلاحات عدة ، مع المحافظة - قدر المستطاع - على الآثار القديمة ، ووافق الرئيس على ذلك ، وبدأت الإصلاحات حول (الكايتول) ، حيث هدموا بعض الطرق والكنائس والبيوت القديمة ، فنادى كثير من الناس - وأكثرهم من الأجانب - بالويل والنبور ، مدعين أن ذلك سوف يقضى على (روما) ولونها المحلى وخواصها الفنية ؛ فرد عليهم من منصة مجلس الشيوخ مدير سابق للفنون الجميلة ، وندد بأولئك الذين يريدون أن يتخذوا الفن والجمال حجة لإبقاء الأبنية الحفيرة ، والجدران القذرة ، والأحواش الضيقة ، وغير ذلك ؛ وتدخل (موسوليني) نفسه في المناقشة ، فقال : « إن الآثار العظيمة مكفول احترامها ، وإنما المهم أن يفرق بينها وبين الخرائب والأطلال مما يدعى البعض أنه لازم لبقى ل (روما) لونها المحلى ... » ، وقال في ختام خطبته : « كل هذه الأطلال والخرائب القذرة سندفع بها إلى صاحب الجلالة المعول ، فيقوض أركانها باسم جمال العاصمة وشئونها الصحية . ولا ريب أن هذه الخطة المثلى ستوسع المجال لظهور الآثار الباقية ، وستزيل عن (روما) تلك المسحة الشرقية التي يشعر بها السائح في كثير من أحيائها .

وأكبر ما أعجبني من آثار (روما) ميدان القديس بطرس ، فهو عظيم يضاوى الشكل ، تقوم في وسطه مسلة مصرية كبيرة ، وتطل عليه كنيسة القديس بطرس ببهوها الفخم ، وإلى يمينه قصر (الفاتيكان) مقر الباباوات ، وداخل هذه الكنيسة غاية في الإبداع ، وستقفا مدهش في دقة الصنع والنقش ، بناها الاسبراطور قسطنطين ، وهي الآن أنظم معابد العالم .

وفي الفاتيكان متحف يحوى أعظم التحف الأثرية ، وأكثر ما أبدعه رجال الفن منذ العصور القديمة ، وبينها هدايا إلى الباباوات من مشارق الأرض ومغاربها ، وقد لفت نظري منها إناء كبير من المرمر كتب تحته بالإيطالية: (Dono de Mehmet Ali viceré dell'Egitto) ، ومعناها: شديدة من محمد على والى مصر إلى بيوس التاسع؛ ذلك عدا نحو ثلاثين من شواهد القبور الإسلامية عليها نقوش بالكوفية ، وبه قسم للآثار المصرية القديمة ، غنى بكنوزه عظيم في تنسيقته.

و (روما) تنفق العالم كله بكنائسها الجميلة ، وفي وسطها تقوم أمالال الابنية الرومانية القديمة، (كالكولسيوم) و (الفورو رومانو) مركز الحياة الرومانية ومكان الاجتماعات والنفورات والحفلات ؛ ومن مميزاتا أيضاً : أقواس النصر المعديدة التي كانت تقام لأبطال الرومان بعد انتصاراتهم الباهرة ، و (الكايتول) الذي كان يجتمع فيه مجلس (روما) البلدى ، وقد بنى في القرن الرابع عشر ، وسلاله من عمل (ميشلانجلو) ؛ وهناك أيضاً حدائق (بورغيزى) ومتحفها الجليل ، وبحيرتها العظيمة ، وفي ميدان العامة (Piazza del Popolo) مسلة مصرية من الجرانيت ارتفاعها أربعة وعشرون متراً ، قلها (أوغسطس) إلى (روما) بعد معركة (أنزو) .

وهناك أيضاً (البانتيون) ، وقصر (الكورينال) الذي بنى في القرن السادس عشر ليكون مقراً للباباوات ، ثم ميدان العمود - نسبة إلى العمود الذي أقيم فيه ذكرى ل (ماركوس أوريليوس) بعد انتصاره على الجرمان - ، وقصر انقديس (أنجلو) الذي بناه الامبراطور (أدريان) ليكون مدفناً له وخلفائه .

وفي ميدان (فينيسيا) قصر الرئاسة ، حيث يطل (موسوليني) من شرفة غرفته على جيوش (الفاشيست) ، وفيه أيضاً هيكل النصر وقبر الجندي المجهول .

هذا و (روما) تختلف كثيراً عن عواصم أوربا الأخرى ، ولعل أهم ما يلفت النظر خلوها من ترام في باطن الأرض كما هي الحال في : لندن ، وباريس ، وبرلين مثلاً ؛ ومن ثم لاحظت ازدحام (الترام) و (الأوتوبس) دائماً ، فضلاً عن ازدحام الشوارع الرئيسية . ومن الظواهر التي شاهدتها في إيطاليا كلها : قلة النساء في الطرقات ؛ ففى (روما) تسها نسبة النساء إلى مجموع المارة أقل بكثير منه في (لندن) و (باريس) ، ولعل ذلك راجع إلى أن المرأة الإيطالية لا تزال أكثر تحفظاً من زميلاتها : الانجليزية ، أو الفرنسية ، أو الألمانية ؛ ومن ثم كانت أكثرهن لزوماً لبيتهن ، وأقلهن اختلاطاً بالحياة العامة .

مرت الأيام سراعاً ، ولم يكن كل ما أراه ليخفف من حنيني إلى باريس ، فمررت أن حان وقت الرحيل إليها ، وذكرت قول شوقي من قصيدة له فيها :

زعموك دار خلاعة ومجانة ودماره يا إفاك ما زعموك
إن كنت للشهوات رياءاً فالعلا شهواتهن مرويات فيك
والعلم في شرق البلاد وغربها ما حج طالبه سوى ناديك
المصر أنت جلاله وجلاله والركن من بنيانه المسوك

زكي محمد حسن

[باريس]

عضو لجنة وزارة المعارف

٢- نظرية الكوانتم

بقلم الأستاذ محمد محمد السيد

مدرس العلوم بمدرسة طنطا الثانوية الأميرية

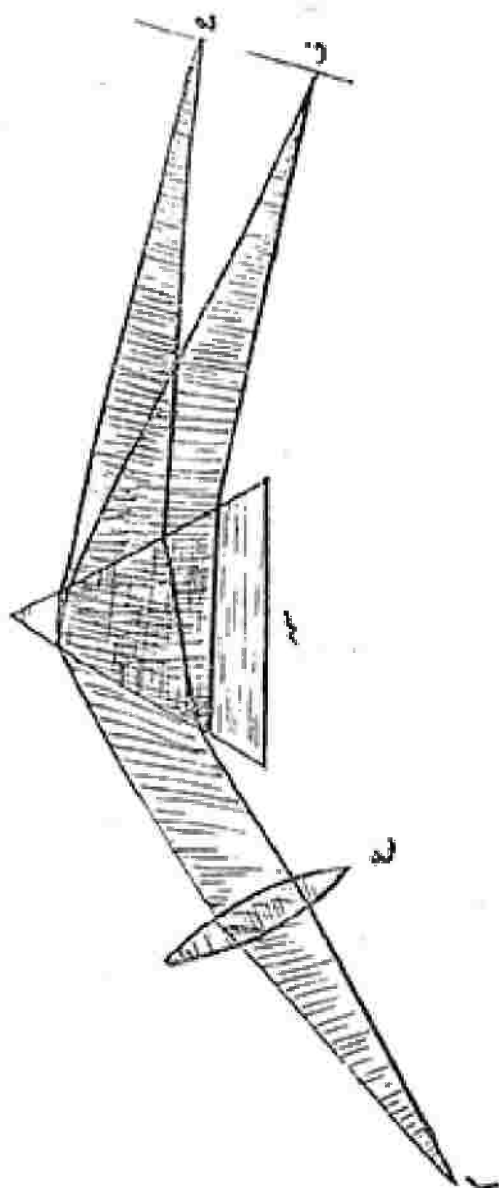
نموذج (مؤلف) - لاذرة - الميكانيكا الموجية - نموذج (شروينجر) - لاذرة - مبدأ المزدوج

يحكون في قصص الاطلاق الخرافية أن قاطع طريق اعترض أحد السحرة فسلبه كل الكثر الذي كان قد استخرجه من مخبأ تحت الأرض ، ولم يبق مع الساحر إلا قارورة إنمد مما يشكحلون به ، فطلب منه الامس أن يكحل له إحدى عينيه ففعل ، وإذا بنصف العالم يتكشف أمامه واضحاً من أثر هذا الكحل الغريب ، ولكنه لم يقنع وأراد رؤية النصف الثاني ، فطلب من الساحر أن يكحل له العين الثانية ففعل ؛ وإذا بالامس يصبح أعمى ، ويفقد كل شيء ، بعد أن كان قد حصل على كل شيء .

هذا هو الطمع في المال الذي يتسبب في فقد المال ، والعلم يعانى ما يقرب من ذلك - مع الفارق طبعاً - فالعلماء ما زال حب الاستطلاع يحفزهم لتحليل المادة : ماهي ؟ ومم تتكون ؟ وفي وقت ما ظنوا أنهم عثروا على سرها عندما علمتهم التجارب والملاحظات ، أن بها إلكترونات وبروتونات . . . الخ ، ولكن حدث ما أزعجهم أن هذه ليست الحقيقة الكاملة . فزادوا التنقيب والبحث ، وإذا بالصورة الواضحة التي كانت في خيالهم للعادة وتركيبها تضطرب ، ويسودها غموض وإبهام ، ويكاد يحتمل ينتهي إلى أن هذه المادة ، لا يمكن لنموذج مادي أن يمثل تركيبها ، والمعادلات الرياضية هي التي تقربها إلى فهمنا ، إن كان هناك أمل في أن تفهمها .

عرضنا في العدد السابق لنظرية الكوانتم ، وأبنا كيف ألفت ظلاما من الشك على النظرية التوجيهية للضوء ، فأسندت له فوق خواص الأمواج التي نعرفها عنه ، خواص الجسيمات المادية كما كان يقول (نيوتن) قديماً ، فالضوء هو شيء يمكن تشبيهه بالتموجات في كونه ينتشر في مدى أوسع فأوسع ، وبذا يمكننا تصير ظاهرة التداخل والانكسار والحيود ، وله أيضا خواص الجسيمات أو الدقائق ، وهذا يفسر لنا الظاهرة الكهربائية الضوئية ، فكان الضوء يجمع بين صفات التوججات والجسيمات المادية ، فهل الأجسام المادية هي الأخرى تجمع إلى خواصها خواص التوججات ؟؟ .

يجيب العالم بنعم ، ويميز قوله بالتجارب ، فالإلكترونات - وهي أصغر ما نعرف من



شكل تبيلي لتوضيح انكسار الضوء

م تقب يمر منه الضوء إلى عدسة تجتمع ، ويمر في حزمة من الأشعة المتوازية إلى منشور من حيث يتصل إلى الألوان المكونة له على ستارة تستقبله ح ف، حيث ح موضع الضوء الأحمر وف موضع البنفسجي، وتوزع الأضواء الأخرى بينها حسب معامل انكسار كل منها.

الأجسام - تنعكس وتنكسر وتحدث هذب تداخل كالأمواج تماماً ؛ وبالأقيسة الدقيقة أمكن استنتاج أن الأمواج التي تصحب الالكترونات يجب أن يكون طول كل منها أصغر مليون مرة من طول موجة الضوء المرئي .

في أوائل القرن الحالى كان النموذج الذى يتصوره العلماء للذرة هو صورة مضفرة للجموعة الشمسية (نواة يدور حولها ألكترون أو أكثر) ، ولكن النموذج كان يحتاج لتعديل جوهرى ، فلو أن الالكترون يدور حقاً حول النواة كما تخيل، لكان من الضرورى (حسب القوانين الكهرطيسية) أن يشع طاقة باستمرار ، ويقترب تدريجياً من النواة حتى يجذبها ، ويندمج بها ويتلاشيان في ومضة من الاشعاع ، وليس هذا ما يحدث في ذرات العناصر المألوفة .

وفوق ذلك ، فقد كانت هناك الخطوط الطيفية ، لكل عنصر قائمة تحتاج لتفسير ؛ صحيح كانت هناك معادلات رياضية تقدم بها كثير من العلماء تمليناً أطوال الموجات خطوط مجاميع معينة ، ولكن هذه المعادلات قصها كانت تحتاج لتدليل يسندها ، وروابط تجمع بينها .

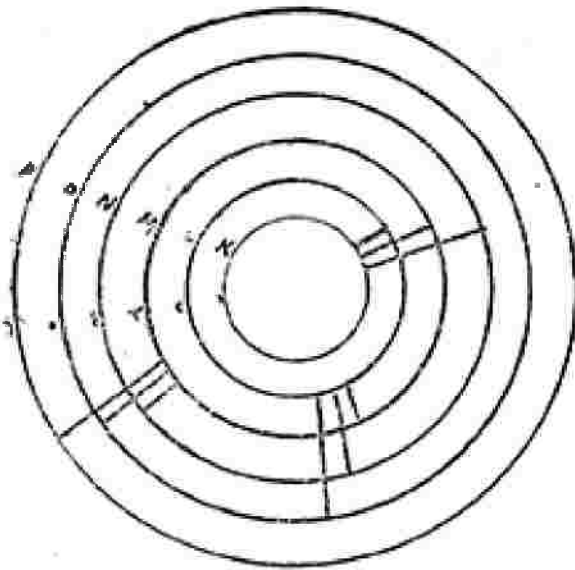
في سنة ١٩١٣ تقدم (بوهر) العالم الطبيعى الدانمركى بنظريته في تركيب الذرة على أساس نظرية الكواكم ، قرر فيها أن الالكترون لا يدور حول نواته إلا في مسارات محدودة معينة ، هي المسارات المسموح له بالدوران فيها، وهو دائماً موجود في إحدى هذه المسارات ولا يوجد في غيرها .

ويتم إشعاع الطاقة بقفز ألكترون من مسار لآخر أو طأ منه في الطاقة وأقرب للنواة، والطاقة التي تشع هي كواكم كامل ، أو مضاعفات صحيحة من الكواكم ، وتختلف كميته حسب المسارين المتنقل الالكترون بينهما، وبذا لا نجد في الطاقة المشعة من الذرة كسراً من الكواكم .

وامتنصص الذرة للطاقة يتم بطريقة مشابهة ، فالالكترون إذا تلقى قدراً كافياً من الطاقة تنتقل من مسار كوكبي إلى آخر أعلى منه وأبعد عن النواة ، أى بعكس الاشعاع ، ولا تمتص الذرة من الطاقة إلا الكمية الكافية لتنقل الالكترون قفزاً بين مسارين من الموجة المسارات المسموح بها .

نجحت نظرية (بوهر) في تفسير مجاميع خطوط طيف عناصر الايدروجين ، وأعطت طول لكل خط منها بدقة .

ولكن رغم النجاح الذى أصابته في تفسير معضلات الطيف ، كان العلماء قلقين من جهة هذا المنحى الجديد ، ففى النظرية ما يخالف المؤلف من النظريات الكلاسيكية ، فهنا مفروض



شكل تمثيلي لنموذج (بوهر) لذرة الهيدروجين، مرسومة فيه الست مسارات الأولى الممكنة يدور الإلكترون في واحدة منها حول النواة ، ويتنقل من مسار لآخر كما ينتقل الماير بين الأغصان، ويكون انتقال الإلكترون أو قفزه عند إشعاع أو امتصاص طاقة ، فإذا قفز من المسار الأول [١ أو ٢] إلى غيره تكونت الخطوط الطيفية لمجموعة (ليمان) ، فإذا قفز من المسار الثاني [٢ أو ٣] إلى غيره من المسارات الأعلى تكونت مجموعة (بالمر) ، وإذا قفز من المسار الثالث [٣ أو ٤] تكونت مجموعة (باشن) في الطيف ، وموضح بالشكل ثلاث خطوط فقط من كل مجموعة .

الكلاسيكية ؛ وأبان أن القوانين المذكورة هي النهاية التي تتقارب إليها قوانين الكوانتم كلما كانت المسارات الكوكبية أعلى وأعلى .

ولقد كانت محاولة التوفيق بين القوانين الكلاسيكية والكوانتم أساس فرع من الميكانيكا جديد عرف باسم الميكانيكا الكوانتية ، وفي سنة ١٩٢٥ تقدم هيزنبرج بنظرية جديدة في ميكانيكية الكوانتم ، يستند فيها على ما نشهده ونلاحظه فقط أى على الطاقة التي نسميها

أن الإلكترون في مساره حول نواته لا يشع طاقة بينما تستعمل القوانين الكلاسيكية نفسها في حساب تردد الموجة في الطاقة المشعة أثناء قفز الإلكترون من مسار إلى آخر . هذا الخلط بين القوانين الكلاسيكية، وبين نظرية الكوانتم وفروض بوهر ، هو الذي دعا السير ويليام براج لآلف يقول منكمها « لكأنه يلوح أننا نؤمن بالنظريات الكلاسيكية أيام الاثنين والأربعاء ونجمع ، وننظرية الكوانتم أيام الثلاثاء ، والجميس ، والسبت » ، فنحن حقاً نستعمل كلا منهما متى راق لنا ، ولتفسير ما نلاحظه رغم ما بينهما من تناقض .

ولكن ذلك لم يمنع أن يتجه نشاط كثير من البحوث إلى تلك الناحية ، وقد نجحوا في تفسير كثير من غوامض الطيف على أساس فروض بوهر . وفي سنة ١٩١٨ تقدم بوهر نفسه بمحاولة للتوفيق بين نظرية الكوانتم والقوانين

الذرة أو تمتصها ، فليس لنا حق في فرض مسارات بوهر الكوكبية ، فهي خارجة عن مدى أبصارنا وملاحظاتنا .

كل ما نعرفه عن الذرة يصل لنا في حال تهيجه عند امتصاص أو إشعاع الطاقة ، ونظرية هيزنبورج الرياضية مؤسمة على الكميات المشاهدة المقاسة فقط ، وقد تطورت النظرية على أيدي بحاث آخرين ، وأمكن الوصول إلى تفسير التأثيرات المشاهدة على طيف الایدرجين في المجالات الكهربائية والمغناطيسية .

حدث كل هذا النجاح بدون تعديل كبير في أفكارنا القديمة عن الذرة ، ولكن محاولة جديدة بدأها (دى بروجي الفرنسي) فتحت مجالاً أوسع أمام علم الطبيعة ، وأقيمت أسس ميكانيكا جديدة تعرف بالميكانيكا الموجية ، وقدمت كثيراً على يد (شرودنجر السويسري) وغيره ، وهي تفسر الظواهر الجديدة التي كشفت عن الخواص الفوجية للأجسام المادية . صورة الذرة كما يتخيلها (شرودنجر) على أساس هذه الخواص ، صورة مبهم غامضة ، فعلينا لتصور الذرة المادية أن تصور أمواجاً تتذبذب في وسط تحت الاثير (يجب أن يخالف الاثير الذي نحتاج له لتفسير انتقال الضوء) ، وتردد هذه الأمواج - أي عدد ذبذباتها في الثانية - أكثر من مليون مرة من تردد الضوء المرئي ، فهي أسرع من أن تكشفها آلاتنا . والتجوجات الفردية خارجة عن نطاق ملاحظتنا ، وما نلاحظه فعلاً هو تأثيرها متجمعة ، فالأمواج بتجمعها تتعاون في خلق مساحة مضطربة هي التي نسميها باسم دقيقة مادية ، أو بصفة أخص (ألكترون) .

في هذه النظرية ليس هناك ما يمنع من وجود أمواج ذات ترددات مختلفة في وقت واحد في (تحت الاثير) ، فإذا وجد مجموعتان من هذه الأمواج ، اختلاف التردد بينهما كبير ، كانت (الضربات) الحادثة سريعة لانحس لها وجوداً ، ولكننا نشعر (بالضربات) الحادثة إذا كان الاختلاف في الترددين صغيراً ، إذ نصير بطيئة بطناً كافياً للتأثير في أجهزتنا ، وتتمثل لنا في صورة ضوء .

وليست (الضربات) نفسها هي الضوء الذي نشهده ، بل هي في وسط (تحت الاثير) تقابل أمواج الضوء في مشاهداتنا الحسية ، فهي المصدر المهتر الذي يرسل بطريقة مبهم الأمواج الضوئية في أثرنا المعتاد .

صورة الجسم المادي إذاً كما يبرزها لنا (شرودنجر) مبهم ، وقد ازدادت إبهاماً في السنوات الخمس الأخيرة بالمبدأ الذي أضافه (هيزنبورج) سنة ١٩٢٧ ، والذي يطلق عليه (أدنجتون) اسم (مبدأ اللاتحديد) ، فنه نرى أن لعلنا بالأجسام الدقيقة حدوداً لا يمكن

تخطيها ، فإذا أردنا تحديد موضع وسرعة جسم صغير في لحظة ما ، يمكننا أن نحدد أحدها بدقة معقولة ، وكما ازدادت دقتنا في تحديده قلت الدقة في تحديد الثاني .

لنفرض أن في إمكاننا بمكروسكوب قوى أن نحدد موضع إلكترون بدقة كبيرة (وهو غير متيسر عملياً) ، فلنرى نراه لابد من إصابته ؛ ولكن الضوء عند صدمه له تأثير من حركته بمقدار لا يمكن نظرياً التنبؤ به ، فكاننا لن نتكهن من رؤية الإلكترون وحساب سرعته في نفس الوقت بدقة .

فإذا تخيرنا ضوءاً أطول موجة ، حتى تكون الطاقة التي تصدم الإلكترون قليلة ، وليكون أثره في تغيير سرعة الإلكترون ضئيلاً ، كان ذلك أدعى لإيهام الصورة التي يمسها الضوء ، فلا يبين الإلكترون بوضوح ، ويصير موضعه أقل تحديداً .

وقد احتل مبدأ اللاتحديد في أدبيات علم الطبيعة في السنوات الخمس الأخيرة مكاناً ممتاز به عن كثير من الاكتشافات ، وليس ذلك بغير ، فلقد كان إيمان العلماء بقدره الطريقة العلمية في كشف كل مجهول إيماناً غير محدود ، ولكن العلم نفسه أبان أن مدى قدرته على تزيق حجب المجهول محدودة ؛ أو هي على الأقل محدودة في مجال الطبيعة الذرية ، فإذا كان في إمكان العلم أن يفخر بقدرته على تحديد المسافة بين الأرض والشمس لدرجة كبيرة من الدقة ، فليست الحال كذلك داخل الذرة ، ثم هو إن قرب من الإصابة مرة ، فلا بد أن يدفع ثمن ذلك في خطأ جديد مرة ثانية .

ويعطى بعض العلماء لمبدأ اللاتحديد والأفكار الأخيرة في الميكانيكا الموجية ، أهمية كبيرة ، فيترجمه السير (جيمس جينز) الفلكي الإنجليزي الشهير بأنه يعبره عن كره الطبيعة للدقة والتحديد أكثر من كرهها لأي شيء آخر ، ويعطى له (أدنجتون) أهمية النظرية النسبية ، ولهذا رأينا الجدل يقوم بين العلماء حول « الحتمية » وهل بقي ما يدعو إلى أن نعتبر العالم المادى يسير تبع قوانين ميكانيكية دقيقة « محتمة » لا ينحرف عنها قيد أنملة ، تتحكم في الإلكترونات والبروتونات كما تتحكم في الكواكب والشموس ؟

نحاول أن نستعرض بسرعة تطور النظريات الطبيعية في تركيب الذرة ، فنرى الصورة القديمة تمثلها لنا مكونة من ذرات كروية الشكل ، ثم تتحول الصورة فتصير الذرات مركبة هي الأخرى من دقائق أصغر فهي الإلكترونات ونوى كروية الشكل يفصل بينها فراغ شاسع ؛ ثم يتبد (بوهر) الإلكترونات حول نوياتها بمسارات محدودة معينة لا تتحرك في غيرها ، وأخيراً يلقي الغموض ظله على هذه الصورة المحدودة ، فما صار يحق لنا أن نتكلم عن الإلكترونات أو البروتونات ككرات ، وكذلك الحدود صارت عديدة المعنى إذا أسندت لهذه المراتب الأهمية الدقيقة .

وأخيراً صارت الحسابات المادية لها خواص التموجات كالضوء ؛ وصارت التموجات الضوئية لها خواص الجسيمات، والفضل في كل ذلك التعميد راجع للعالم الطبيعي ! فقد ظل يبحث وينقب ويجرد هذا الشيء الذي اصطلاحنا على تسميته «مادة» من صفة الاستمرار والتواصل، فأخرجه لنا مهلهلاً كالشبكة لا يزيد ما فيه من المادة الحقيقية على قطرة دقيقة في حوض واسع من الفراغ ، وكذلك هذا الجزء الثافه الضئيل لم يرنح إلى إيقائه ، فما زال وراءه يتبعه بسبكر سكوبه ومعادلاته حتى كشف له عن صفات التموجات ، ولا ندري أبقى فيه بعد ذلك ما يستحق أن يسمى مادة أم لا ؟ .

ورغم ذلك فالعلم ما زال هو هو في روحه وتطلعه للحقيقة ، وإذا كانت أبحاثه في طوره الحالي تحاول إنارة أركان شديدة الظلمة يكتنفها إبهام وغوض ، فإنا على ضوئه نزداد قدرة على تفسير ما نشهد من ثواهر الطبيعة ، وليس ذنب العلم أن المادة تنسلل من بين أصابعنا على سنا ضوئه ، وتختفي رويداً رويداً في عالم لا يمكننا تتبعها فيه ، إذ ربما كنا نتقرب شيئاً فشيئاً من ذلك الحاجز الذي يستحيل على إدراكنا الحدود أن يتخطاه ، أو يكشف ما وراءه .

محمد محمد السيد

المعرض الاول

لفهم التصوير الشمسي

ستقيم جمعية محبي الفنون الجميلة المشمولة بالرعاية العالية الملكية، من ١٥ الى ٣١ يناير سنة ١٩٣٣ معرضاً عاماً لفن التصوير الشمسي يشترك فيه المحترفون والهواة ، وقد تم تحديد يوم ٣١ ديسمبر الحالي آخر ميعاد لقبول المعارضات .

وستقدم الجمعية دبلومات للمعارضين جميعاً ، كما أنها خصصت تسع مداليات لتمجيدها للثلاثة الفائزين الاول من الهواة فقط ، في كل قسم من هذا الفن . ونطلب الاستعدادات المعدة لذلك من مركز الجمعية بشارع نوبار باشا رقم ٤ يومياً من الساعة ٨ صباحاً الى الظهر ومن الساعة ٣ الى ٦ مساءً ما عدا أيام الآحاد .

عشائر البدو الرحل

للدكتور خالد بك الخطيب [عمان]

وطنية البدوي !

من التأثيرات السيئة التي تركها إهمال ولاية الأمور لثرية البدوي - وهو المعروف بتفانيه في الذود عن حياض وطنه في الماضي - أن ذهنيته اليوم أصبحت خلواً من التفكير في أمر وطنه ، وإذا وجد بين الألوف المؤلفة من البدو من يخطر على باله مثل هذا الأمر ، فهو نادر من النادر ، وإذا حدث أحدهم مرة عن قضية وطنية يحسب تكلمه بلغة غير لغته ، وتجد أن اهتمامه يكون أشد بكثير لأن يسمع منك حديثاً عن غزوات الموالي والحديديين مثلاً ، وخصوصاً إذا كان ينسب لأحدى هاتين القبيلتين المتخاصمتين ؛ وأما كفاح أمة عربية مع أمة أجنبية وفي سبيل استقلال بلاد برمتها ؛ فهذا أمر يظنون بل يعتقدون أنه لا يعينهم كثيراً ولا قليلاً .

الغزو عمر العرب !

وعلى ذكر كلمة « غزو » أقول : إنه آفة الآفات ، وأعظم الداهيات ، وهادم البيوتات ، ومذهب اللذات ، وقاطع الصلات ، وهو من أعظم البلايا التي نزلت بالأمة العربية منذ نشأتها إلى يومنا هذا ، بل هو من أشد أسباب تهقرها خطورة ؛ فكم من سلب ناله لا قيمة له ، سبب سفك الدماء البريئة بين قبيلتين عربيتين زمناً طويلاً ؛ ولا أعجب من شيء عجب من أن البدوي يعتقد أن الفوز أمر مشروع يحق له التفاخر به ، مع أنه لو رجع إلى الصواب لتأكد بأن الغزو ما خرج عن كونه لصووية ، ولكنها لصووية علنية ؛ ويسرني هنا أن أعلن شكر الأمة العربية لسمو الأمير « عبد الله المعظم » على جهود متوه التي بذلها وبذلها في سبيل مكافحة هذا الداء القاتل ، ولا يفوتني أن أشكر - أيضاً - كل ملك ، أو أمير ، أو زعيم عربي بذل أو يبذل في هذا السبيل أي جهد محمود .

وبما يزيد في ويلات الغزو على الأمة العربية شراً أن المستعمرين الذين يعرفون جيداً من أين تؤكل الكتف ، يستمرون إضعاف العشائر بواسطة ، ويخذونه سلاحاً لضرب العربي بالعربي ، والنتيجة هي القبض على خناق الجميع ؛ فهل نحن متعطلون ! ! أقسم أن قضية الموالي والحديديين التي سفكت في سبيلها كل هذه الدماء البريئة كان سهلاً على العرب التغاضي عنها

• هذا هو القسم الثاني من المحاضرة من ألغائها الدكتور خالد بك الخطيب في مدرسة التجهيز بمدينة عمان (شرق الأردن) في العام الماضي . وقد نشرنا القسم الأول منها في عدد يناير سنة ١٩٣١ من السنة الأولى ص ١١٠ .

وقمها دون أن تأخذ هذا الطور الخطر ، لولا أن بدأ أنيمة أجنبية لعبت دورها في توسيع الخرق فيها ؛ ولو أردنا أن نعدد جميع الحوادث التي تؤيد هذا القول لضاق بنا الوقت ، وما كفى ذلك عدة محاضرات !!!

علم البدوى ودينه !

يكفى لتقدير مرتبة البدو العلمية أن نعلم أن الاحصاء النهائي لعدد المسلمين عندهم ، هو أن لكل قبيلة « خطيباً » ، ومعنى الخطيب في عرفهم هو الذى من الله عليه بنعمة القراءة والكتابة ، أو القراءة على الأقل .

ويكتفى البدوى أن يعلم عن دينه أنه مسلم مثلاً ، وأن الله واحد ، وأن محمداً - صلى الله عليه وسلم - نبيه . ويندر أن توفق إلى إيجاد بدوى يخبرك عن عدد الركعات بالضبط لآى وقت من أوقات الصلاة ؛ ومن القصة التالية تقدرون درجة معرفتهم لآى الذكر الحكيم :

ذهبت في سنة ١٩٢٦ ومعالى الدكتور شهنذر ، من الأزرق إلى محل قريب منه لرؤية بعض رجال من عرب الشراوات الذين كانوا فازلين ما بين قرى « الملح والأزرق » بقيادة شيخهم « بشير الشراوى » ، فسكننا عندهم قليلاً ، وتحدثنا إلى بعضهم للمؤانسة ، فسأل الدكتور شهنذر أحدهم : هل تعرف القراءة والكتابة ؟ قال : لا ، فقال له : هل تعرف شيئاً من القرآن ؟ قال : لا ، ولكن فلان - ثم أشار إلى أحد الجالسين يعرف القرآن جيداً ، فسأله الدكتور شهنذر : ما ذا تعرف من القرآن ؟ قال : أعرف سورة الناس ، فطلبنا إليه أن يسمنا منها شيئاً ، فقال - وهو أعرفهم بالقرآن - : أعوذ برب الناس الخشناس وعن الوسواس وعن الذى قرأ بقلوب الناس !!

وما كاد يصل إلى هنا ، حتى كادت تميد بنا الأرض من فرط الضحك ، ثم قلنا له : بالله ألا تعرف غير هذه السورة ؟ فقال : أعرف « الصمدية » فرجوناها أن يقرأها ، فقال لا فض فوه !! : الله أحد لا من يولد ولا يلد ولا هو بكفو أحد !!

قلت : ومن عليك هذا القرآن ؟ قال : الخطيب ، قلت : أنعم وأكرم !!

مبارة البدوى المنزلية !

إن حياة البدوى المنزلية لا تعرف معنى للنظافة ، بالرغم من أن الله من عليه بالدين الاسلامى الحنيف وهو أشد الأديان حرصاً على النظافة ، إذ جعلها من الأيمان ؛ ومع أن الأواني المنزلية التي اعتاد البدوى استعمالها في بيته - ثلاثة عددها - لا تتطلب في تنظيفها العناية الذي يصرفه الحضرى في بيته لتنظيف أوانيها العديدة ، فإنك تجد أواني البدوى في غاية القذارة . وأما لباسه فليس

في مقدور أحد - ولا حضرات رؤساء العشائر الحاضرين بيننا الآن - أن ينكر على قولي إن البدوى كثيراً ما يحول عليه الحول وأكثر من الحول دون أن يغير ثوبه ، فتصوروا حال الثوب الذي يستعمله صاحبه سنة فأكثر ، دون أن يغيره ، أو على الأقل يفكر في غسله . ومن الظلم أن يتوهم أحد أن إهمال البدوى لنظافة بيته ولباسه ناشئ عن خسة في طبيعته ، كما هي الحال في بعض الشعوب ، فإن من الخطأ القادح إلصاق خسة الطبع بنفسية البدوى ؛ والحوادث التي تروى عن إفراطه في الكرم الفرزي كثيرة لا يكاد يحصرها العد ، حتى إنك لا تكاد تصدق البعض منها ؛ وتظن أنها أسطورة من الأساطير ، أو خرافة كوتها الأوهام لكثرة المبالغة فيها ، مع أنها حقيقة واقعة ؛ وكثيراً ما شاهدت بعيني رأسي بدوياً يرتدى هو وأهله أفقر الألبسة وأبلاعا ، ويقرى منيوته بما لو أراد أن يبتلع بقيته ألبسة لبس أغفر اللباس وأتمنه لا يمكنه ؛ فيتضح لك من هذا أن إهماله لنظافة لباسه وممكنه ليس مفشاه خسة في طبيعته ، ولكنه جهله معرفة طرق النظافة وعدم تمويده على ممارستها . وبما أذكره هنا بمزيد الأسف والشفقة : أن هذه القذارة في حياتهم تسبب وفاة الكثير من رجالهم ونسائهم وأطفالهم في كل سنة بداء (السل) ؛ فإن الإحصائيات التقريبية تدل على أن خمسين في المائة منهم مصابون بالسل . إما لدرني المعفوى ، أو الرئوى أو العنقى ؛ وهذا بالرغم من أنهم يعيشون في الهواء الطلق وتحت أشعة الشمس المحرقة ، وفي ذلك الجو الذي لا يعيش فيه بأسيل السل بالسهولة .

هذه صورة مصغرة عن حالة البدوى ، وعن أخلاقه ، وعلمه ، ودينه ، ووطنيته ، وبالأجمال عن جميع نواحي حياته ، وأتم تروى أنها صورة يتألم لمراكها كل عربي يغار على عرويته ، وعلى حرية باهتمام الأمة اهتماماً يتناسب مع كرامة مجدها وغاير مجدها ، نعم ! يجب أن نلنث لتحصين شئون هذا البدوى الذي بفضل وأدبه قام للعرب أدب تفاخر به جميع الآداب .

وفي شعره :

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقات بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فتمذرا

قرأنا آية الإباء والاعتصام بالصبر لاستمادة المالك النائع ، وهذه أسمى آيات الوطنية الصحيحة .

وفي قوله :

تعبيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها : إن الكرام قليل

زما خبرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها : إن الكرام قليل

قرأنا أنفودة الوفاء . ومن صبره وعدله وحسنه ودهائه ما سمعنا عن صبر أبي بكر الصديق وعدل عمر بن الخطاب وحسنه ابن العاص ودهاء ابن أبي سفيان . ومن شجاعته وبريق سيفه عرفنا وقائع ابن الوليد وابن الجراح . ومن منامراته في الخيل في سبيل البذلقة قرأنا صفحة فتوحات ابن زياد . وفي قاعات (اكسفورد) ردد التاريخ فضله العظيم ، وعدد مآثره الجليلة في سبيل الإنسانية يوم ذكر « ابن سينا » و « أبو بكر الرازي » وغيرهما من غول علماء العرب المتقدمين . إن هذا البدوي ، هو منا ونحن منه ، ومن الظلم بل من العار وسبب الأدب أن نتركه تنقاد له أمواج الجهل فيتخطط في ظلماتها على غير هدى لا يعرف أين المصير .

الرواء الناجع !

وإذا أطلقت عليكم الكلام في وصف الداء ، فأتى لا أرى داعياً للإطالة في وصف الدواء ، لأنه ينحصر في كيتين مختصرتين يعرفهما كل واحد منهما : العلم والتحضير . وهنا استحوالى أن أذكر لمحة صغيرة عن الجهود التي بذلت في تعميم نشر العلم بين العشائر وتحضيرها ، وعند أي حد انتهت تلك الجهود :

في سنة ١٣٢٩ للهجرة أصدرت وزارة الداخلية للدولة العثمانية قراراً يقضى بتعميم تشكيل مدارس ابتدائية بين العشائر ، ثم ترقية هذه المدارس السيارة تدريجياً ، ثم أنشئت في الآستانة مدرسة عسكرية خاصة لتعليم أبناء العشائر البدوية ، وقد أنشئت هذه المدرسة بعض الفائدة ، فقد تخرج فيها عدد غير يسير من المتعلمين ، ومن هؤلاء - كما ذكرت سابقاً - المرحوم « عبد الله السمعدون » وكثيرون غيره ، والذي أعلمه أن جميع الذين تخرجوا في تلك المدرسة تحضروا هم وأقاربهم ، غير أن أمد هذه المدرسة لم يبال ، فقد جاءت غفيرة الاتحاديين من الترك وقضت عليها . أما القرار بتعميم المدارس الابتدائية ، فقد أهمل إثر صدوره ، فكأنه لم يكن شيئاً مذكوراً .

وبعد الحكومة العثمانية لم تهتم بهذا الأمر أية حكومة من الحكومات التي حلت محلها في البلاد العربية ، وإن كان هناك بعض المقترحات التي يقررون حصولها ، فإنها لا تتعدى حد التقرير والتسجيل ، فكأنه من الوجهة العملية لم يحدث شيء ، وهذا من جهة الحكومات ، وأما من جهة الأمة فإنه لم يبدل حتى اليوم أي مسمى يذكر ، ولا فكرت أية هيئة من الهيئات العلمية العاملة بهذا الأمر ، مع أن فضل البدو الرحل في التاريخ لا يحد ، بل هو مستمر إلى يومنا هذا ، بل هو مستمر إلى الأبد .

منظمة توجدها الأمة، ونشد أزرها الحكومات، ويساعدها على مهمتها زعماء القبائل وشيوخها.

اقتراح عملي !

ولى هنا اقتراح أود أن أختتم به محاضرتي ، راجياً أن يلتفت قلوباً :

إن لكل أمة مستقلة جندية يقوم بأدائها شباب تلك الأمة ، وفريضة الجندية نعم كل فرد من أفرادها بلا استثناء ، فمن الممكن إذاً أن يحسب الشاب العربي المتعلم أن هذه الجندية فرض إجباري عليه نحو أمته ، فيتطوع لأدائها في مدة سنة كاملة بين أبناء أية عشيرة يختارها له جمعية منظمة تقوم لهذا الغرض ، فيعلم أبناءها ويكون جندياً مخلصاً لا للكفاح في الخنادق ، ولكن لمحاربة الجهل ، ويكون سلاحه القرمطاس والقلم لا البندقية والمدافع .

هذا اقتراح عملي أبست به من قلب مكوم إلى آذان شباب العرب الناضجين ، فإن الشباب أولى الجميع بأن يكونوا الجبهة الامامية للقيام بأداء هذا الواجب ، والله من وراء القصد ، وهو يهدي السبيل .

خالد الخطيب

[عمان]



واجبك ! .. هل أدته ؟

انك متؤدبه بلا ريب

أيها الشباب المثقف :

إن مجلة « المعرفة » سبيلكم إلى الثقافة الصحيحة ، وهي المجلة المصرية التي يضطلع بأعبائها الشاقة أحد مواطنيكم ، فليكن تعضيدكم إياد مشجعاً له ولنهره . . على إحياء القومية المصرية

هذا واجبكم فأدوه

في كتاب ابن الرومي

استاذ عباس محمود العقاد

بقلم الأستاذ مصطفى جواد [بغداد]

سمعنا عن هذا الكتاب كثيراً في الصحف والمجلات والمدح وقدح وانتقاد ، مما شوقنا إلى تصفحه والمروء بما فيه ، ولقد ألفناه كتاباً جيداً شاملاً متعوباً به منصوباً لأجله ، معلناً فضل صاحبه ، وهو بمد تأليف من التأليف البشرية والجهود الانسانية ، فيه المليح والقيح ، والصحيح وغير الصحيح ؛ ومن ثم كان لنا فيه آراء وتقييم : من استدراك فائت : وإتمام ناقص ، وترجيح شيء على مرجوحه ، وتقض رأي برأي ، وإصلاح وهم لغوي ، وتصحيح غلط نحوي ؛ ولا شك أن مؤلفه الأستاذ أرحب صدرأ من أن يضيق بالحقائق ، وأهدأ من أن يتنازع من الإصلاح ، وأسرع من غيره إلى وقف القراء على ما لم يتفقوا عليه من مقاصده . وأول ما نبدأ به كلمة على « ابن الرومي » مما لم ينظر به المؤلف من المصادر : قال محمد باقر - مؤلف كتاب روضات الجنات - عنه : « الشاعر الباهر الماهر المشهور أبو الحسن علي بن العباس بن جريج البغدادي المشتهر بابن الرومي كان - كما ذكره الصنفدي - في ذيل تاريخ ابن خلكان شاعر وقته ببغداد ، المذكوراً في مقابلة ابن البختری الأستاذ ! وكان أصلياً أسمع ، شديد التفسير ، منهوماً في الأكل جعلياً ، فكان يفلق أبوابه ! ولا يخرج إلى أحد خوفاً من التفسير ، فأراد بعض أصحابه أن يحضر إليهم في يوم أنس ، فسيروا إليه غلاماً فظليفاً اسمه « إقبال » ، فقال : « إقبال مقلوب لا بقاء » ، ودخل وأغلق الباب ؛ وكان كثير الهجاء للأخفش الصغير علي بن سليمان - المتقدم ذكره - في ذيل ترجمة أول الأخافشة . . . وذلك أنه لما كان كثير الطيرة ، وكان الأخفش كثير المزاح ، فكان يباكره قبل كل أحد ، ويترك الباب عليه فيقول : من الباب ؟ فيقول : الأخفش حرب بن مقاتل ، وما أشبه ذلك ، فقال له : اختر علي أي قافية تريد أن أهجوك ؟ فقال : علي روي قصيدة دعبل الشيبية ، فقال :

ألا قل لنحويك الأخفش	أنست فقصر ولا توحش
وما كنت عن نية مقصراً	وأشلاء أمك لم تنبش
أما والقريض وقصاده	ونجشك فيه مع النجش
ودعواك عرفان قتاده	بفضل النقي على الأنجش

لئن جئت ذا بشر حالك لقد جئت ذا نشأ أبرش
وما واحد جاء من أمة بأعجب من ناقد أخفش
كأن سنا الشتم في عرضه سنا الفجر في البحر الأغفش
أقول وقد جاءني إنه ينوش هجائي مع النوش
إذا أغفل الدهر أحكامه سطا أضعف القوم بالأبطش
وما كل من أغشت أمة تمرض للفسدع الألفش

وهي طويلة ، فلما سار هجاؤه جمع أصحابه ، وكان له جماعة أصحاب من الرؤساء ودخلوا على « ابن الرومي » فكف عن هجائه ، وسألوه أن يمدحه ، فقال :

ذكر الأخفش القديم فقلنا : إن للأخفش الحديث لفضلا
وإذا ما حكمت والروم قومي في كلام معرب كان عدلا

إلى آخر القصيدة ، وقال أيضاً - بعد إيراد فقرات بليغة في بيان تملكه لازمة المعاني ، وتسليطه على إيراد المطلب الواحد في أنواب من الألفاظ والمباني : ولقد بالغ ابن سناء الملك حيث أجاب القاضي الفاضل ، وقد أمره باختيار شعر « ابن الرومي » ، فقال : « وأما ما أمر به في شعر ابن الرومي ، فإنا الملوك أهل لاختياره ، ولا من الفواصين الذين يستخرجون الدر من بحاره ، لأن بحاره زخارة ، وأسوده زآرة ، ومعدن تهره مردوم بالحجارة ، وعلى كل عقيلة منه ألف قباب ، بل ألف ستارة ، يلمع ، ويؤيس ، ويوحش ، ويؤنس ، وينير ، ويظلم ، ويضحي ، ويعيم ، وشذرة ، وبصرة ، ودرة ، وأجرة ، وقبلة يجانبها السبة اوحرة بجوارها قحبة ، ووردة قد حف بها الشوك ، وبراعة قد غطى عليها النوك ، لا يصل الاختيار إلى الرطبة حتى ينجرح بالسلا ، ولا يقول عاشقها : هذه الملح قد أقبلت حتى يرى الحسن قد تولى ، فإنا الملوك من جهابذته ، وكيف وقد تنلس فيه الوزير ؟ ولا من صيارفته وقاده ، ولو اختاره جرير لأعياء تميز الخيش من الوشي ، والوبر من الحرير » . حكى عن ابن رشيقي وغيره أن لأنما لام ابن الرومي ، فقال له : « لم لا تشبه كتشبيها ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ » ، قال له : « أنشدني شيئا من قوله الذي استعجزتني في مثله ، فأنشده قوله في الهلال :

وانظر إليه كزورق من فضة قد أثقلت حمله من عنبر
فقال : زدني ، فأنشده :

كأن أذربونهم — والشمس فيها كإليه
مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه

فصاح : « واغوثاه الا يكلف الله قصا إلا وسعها ، ذاك إنما يصف ما عون بيته ، لأنه

ابن خليفة ، وأنا أي شيء أصف ؟ ولكن انظر إذا أنا وصفت فما أعرف أين يقع قول من الناس ؟ هل لأحد قط مثل قول في الغمام ؟

وساق صبيح للصبح دعوته
يلطوف بكاسات العقار كأنجم
وقد نثرت أيدي الجنوب مطارقاً
يلطرزها قوس السحاب بأخضر
على أحمر في أصفر فوق مبيض
مصبغة والبعض أقصر من بعض^(١)

وقول في صانع الرقاق :

لا أنس لا أنس خبازاً مررت به
ما بين رؤيتها في كفه كرة
لا بمقدار ما تتداح دائرة
في صفحة الماء يلقي فيه بالحجر

انتهى . وتوفي ابن الرومي في حدود « التسعين والمائتين » ، وقيل في سبب موته ، أن الوزير أبا الحسن القاسم بن عبيد الله خاف هجوم وقتلات لسانه بالتحش ، فدس عليه ابن فراس فأطعمه خشكناجحة مسمومة وهو في مجلسه ، فلما أكلها أحس بالسم فقام ، فقال له الوزير : « إلى أين تذهب ؟ » ، فقال : إلى الموضع الذي بعثتني إليه . . . وأتى منزله وأقام به أياماً ومات ، وقيل الفاضل الصمدى أيضاً في كتابه الوافي عن علي بن عبد الله بن وصيف المشتهر بأبي الحسين الحلاء الناشيء الأكبر^(٢) (وكان من متكلمي الشيعة الإمامية الفضلاء ، وله شعر مدون ، وروى عن ابن المعتز والمبرد ، وروى عنه ابن فارس اللغوي وعبد الله بن أحمد ابن محمد بن روضة الحمذاني وغيرهما) ، أنه قال : « كان ابن الرومي يجلس في دكان أبي وهو عطار ، ويلبس الدراعة ، وثيابه وسخة ، وأنا لا أعرفه ، فأقطع مدة ، فسألت أبي عنه : ما فعل ذلك الشيخ ؟ فقال : بولك ! ذاك ابن الرومي وقد مات ، فندمت إذ لم أكن أخذت عنه شيئاً^(٣) .

وقال أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد : « علي بن العباس بن جريح أبو الحسن مولى عبيد الله بن عيسى بن جعفر ، يعرف بابن الرومي أحد الشعراء المكثرين المجودين في النزل والمدح والمجاء والأوصاف ، روى عنه غير واحد من أهل الأدب ، أخبرني أبو عبد الله الحسين ابن محمد بن جعفر الخالعي ، أخبرني أبو الحسين علي بن جعفر الحمذاني ، قال : « كنت

(١) قال ابن خلكان في ترجمة سيف الدولة على الحمذاني ونسب الأبيات إليه ما صورته « وقيل إن هذه الأبيات لابي العسر الغنيمي والأول ذكره النعماني في كتاب بقيمة الدهر . . . وهذا من التثنيات الملوكة التي لا يكاد يحضر مثلها لسوقة » الوفيات ١ : ١٠٠ وهو قول لا يتوجه لوجه مقبول لأن كاسات العقار والخرد الرود كانت سهلة الظفر على الشعراء أما تملكا ولما وإيمة (٢) كذا ما في الأصل وهو الأصغر كما علمنا من الوفيات ١ : ٢٨٩ (٣) وروايات الجذات ص ١٧٣ .

في غلمان دار القاسم بن عبيد الله الوزير (١)، فدخل القاسم يوماً داره راجعاً من دكوبه ، وكان في جملة حاشيته حينئذ رجل أراه يدخل الدار كثيراً وينادم ، وكان متدرباً متمعماً ، فالتفت القاسم إلى الرجل ، فقال له : يا أبا الحسن ! امل الآيات على كاتب يكتبها بخط وهاتها ، فأمل على كاتب كتب عنده ثلاث آيات وهي :

ما أنس لا أنس خبازاً مررت به يدحو الرفقة وشك اللعج بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه ككرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بتقدار ما تنداح دائحة في حومة الماء يرى فيه بالحجر
وقال للكاتب : « اكتب : تنداح دائحة وتندار دائرة » ، فسألت عنه لأعرفه ، فقبل

لي : هذا ابن الرومي .

أخبرنا أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد الوكيل . . . حدثنا الحسين ابن القاسم الكوكبي ، قال : أنشدني علي بن العباس الرومي لنفسه ، وكتب بها إلى بعض إخوانه ، وقد قدم من سفره فتأخر عن السلام عليه :

يا من أومل دون كل كريم	وتحب تقى دون كل حليم
أخرت تسليمي عليك كرامة	لرحام من يلقاك قاتل سليم
وذكرت قسمتك التحفي بينهم	عند اللقاء كفعل كل كريم
فنفست ذاك عليهم وأردته	من دونهم وحدي بنير قسم
فصبرت عنك إلى انحصار غماري	والقلب تحرك دائم التحريم
صبر امرئ يعطى المودة حقها	لا صبر مذموم الحفاظ لئيم
والسعي تحرك بعد ذاك فريضة	عن طيب خيمك فهو أطيب خيم
ومنى استربت بخلة معوجة	فتتبع العوجاء بالتقويم

أخبرنا هلال بن محمد بن جعفر الحفار ، حدثنا أبو القاسم اسماعيل بن علي الخزازي (وهو ابن أخي دعلج بن علي) ، قال : أنشدنا علي بن العباس بن جريح الرومي لنفسه :

ومنهف نمت محاسنه	حتى تجاوز منية النفس
ترنو الكؤوس إليه راشقة	وتجول بين أنامل خس
فكأنه والكأس في يده	قمر يقبل عارض الشمس

مصطفى جواد

(لها بقية)

(١) هو وزير أبي العباس أحمد المتعبد بالله بن طاحنة الموفق وزير ابنه المسكني توفى سنة ٢٩١ هـ وقيل هو الذي سمى ابن الرومي بخنكناجحة (مروج الذهب ٢: ٤٩١ - ٥) من الطبعة المصرية . قال المسودي : « وكان عالم الجببة شديد الانتباه لما كثر الدماء . وكان الكبير والعتير على رعبه لا يعرف أحد منهم نفسه نعمة به . . . وكان ممن قتل القاسم بن عبيد الله (عبد الواحد بن الموفق) وكان مستقلاً عند مؤنس الخادم . فبعث إليه حتى أخذ برأسه وذلك في أيام المسكني » وذكره المسودي أيضاً في ص ٤٨٦ و ٤٩٠ - ١ و ٥٠٦ وابن خالكان في « ١ : ٣٨٧ » من الوفيات وأبوت الروي في معجم الأدباء « ١ : ١٨٠ و ٨٣ و ١٣٦ » والفخرى ص ١٩٠ - ١ والسيوطي و تاريخ الخلفاء ص ٣٨٧ وابن الأثير .

مارستانات مصر

في العصر الإسلامي

بقلم الدكتور أحمد عيسى بك

١ - مارستانه زقاق القناديل بالفسطاط

قيل^(١) : إنه كان في الدولة الأموية مارستان في زقاق القناديل - دار أبي زيد - ، وزقاق القناديل هذا - ويقال له زقاق القنديل - من أزقة الفسطاط ؛ قال القاضي القضاي^(٢) : إنما وسم زقاق القناديل ، وقيل : إنما قيل له زقاق القنديل ؛ لأنه كان برسم قنديل يوجد على باب عمرو ابن العاص ؛ وقال أبو عبد الله بن المتوج الزيري : وكان به دار عمرو بن العاص ، وفيه ولد الإمام الحافظ ابن سيد الناس صاحب كتاب « عيون الأثر » ، في فنون المغازي والتماثيل والسير ، المتوفى سنة ٧٣٤ هـ .

٢ - بيمارستانه المعافر

هذا المارستان^(٣) كان في خطة المعافر^(٤) ، التي موضعها ما بين العاصم من مدينة مصر (الفسطاط) ، وبين مصلى خولان^(٥) التي بالقرافة ؛ بناء القنح بن خاقان^(٦) في أيام الخليفة المتوكل على الله ، وقد باد أثره .

٣ - البيمارستانه العنبري بمصر ويمرف بالاعلى

(بيمارستان أحمد بن طولون)

هذا المارستان^(٧) يعرف بالاعلى ، أنشأه أحمد بن طولون في سنة ٢٥٩ هـ - ٨٧٢ م ،

« نشرنا في السنة الأولى «المرقة» سبع مقالات من هذا البحث الجليل بعنوان «تاريخ البيمارستانات» كان آخرها ما نشر في عدد مارس سنة ١٩٣٢ وهذا هو المقال الثاني الذي تقدمه «المرقة» لحفريات القراء مقدرة جهود الاستاذ الباحث تفرده .

(١) « الانتصار لواسطة عقد الامصار » لابن دقماق المتوفى سنة ٨٠٩ هـ ص ٩٩ ج ٤ .
(٢) الانتصار ص ١٣ ج ٤ . (٣) المقريري ص ٤٠٦ ج ٢ . (٤) هم بنو المعافر بن بختنر بن مرة ابن أدد . (٥) هم بنو خولان بن عمر بن مالك بن زيد بن عريب . (٦) هو القنح بن خاقان وزير المتوكل على الله العباسي وهو أحمد بن طولون ، قتل مع الخليفة المتوكل في ليلة واحدة وفي مجلس واحد سنة ٢١٧ هـ ٨٦١ م . (٧) « الانتصار » لابن دقماق ص ٩٩ ج ٤ .

وقيل سنة ٥٢٦١ هـ؛ وذكر أن مبلغ ما أُنفق عليه وعلى مسئلة ستون ألف دينار، وحبس عليه سوق الرقيق وغيره، ولم يكن قبل ذلك في مصر مارستان، وشرط ألا يعالج فيه جندي، ولا مملوك؛ وكان يشارفه بنفسه، ويركب إليه يوماً في كل أسبوع؛ وقال أبو العباس أحمد القلقشندي^(١) : أول من اتخذ البيمارستان بمصر أحمد بن طولون، بناه بالقسطاط، وهو موجود إلى الآن (أي إلى عصره)، وتوفي القلقشندي سنة ٨٢١ هـ ١٤١٨ م)، وبلغت أجرة مقعد يكرى عند البيمارستان الطولوني بالقسطاط في كل يوم اثني عشر درهماً؛ وهذا المارستان^(٢) كان موضعه في أرض العسكر^(٣)، وهي الكيان والصحراء التي تقع بين جامع ابن طولون وكوم الجراح^(٤)، وفيها بين قنطرة المد التي على الخليج ظاهر مدينة مصر، وبين السور الذي يفصل بين القرافة وبين مصر، وقد اندثر هذا المارستان في جملة ما اندثر ولم يبق له أثر؛ وقال أبو صر الكندي في كتاب الأمراء: وأمر أحمد بن طولون أيضاً ببناء المارستان للمرضى، فبنى لهم في سنة ٥٢٥٩ هـ ٨٧٢ م؛ وقال جامع السيرة الطولونية: وفي سنة ٥٢٦١ هـ ٨٧٤ م بنى أحمد بن طولون المارستان، ولم يكن قبل ذلك في مصر مارستان، ولما فرغ منه حبس عليه دار الديوان، ودوره من الأساكفة والقيصرية وسوق الرقيق، وشرط في المارستان ألا يعالج فيه جندي ولا مملوك، وعمل حمامين للمارستان: أحدهما للرجال، والآخر للنساء، حبسهما على المارستان وغيره؛ وشرط: أنه إذا جنى بعليل تزرع عنه ثيابه وتفقته وتحفظ عند أمين المارستان، ثم يلبس ثياباً، ويغسل له، ويغدى، ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ، فإذا أكل قرصاً وجأ ورغيفاً أمر بالانصراف، وأعطى له ماله وثيابه؛ وفي سنة (٥٢٦٢ هـ ٨٧٥ م) كان ما حبسه على المارستان والعين والمسجد في الجبل الذي يسمى بـ (تنور فرعون)؛ وكان مبلغ ما أُنفق على المارستان ومستغله ستين ألف دينار؛ فكان يركب بنفسه في كل يوم جمعة، ويتفقد خزائن

(١) صبيح الاعشى ص ٣٣٧ ج ٣ . (٢) القزويني ص ١٠٥ ج ٢ . (٣) في سنة ١٣٢ تولى أبو عوف عبد الملك بن يزيد ولاية مصر باستخلاف صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الشافعي الباسي، وهو أول من دلى مصر من قبل خلفاء بني العباس .
في أيام أبي عوف هذا سكنت أمراء مصر العسكر، وسببه: أنه لما قدم صالح بن علي العباسي وأبو عوف بموضعهم إلى مصر في طلب مروان الحار، ترك عساكرها الصحراء حيث جيل بشكر، الذي هو الآن جامع أحمد بن طولون وكان قضاء، فلما رأى أبو عوف ذلك أسر أسجابه بالبناء فيه فبنوا، وبني هو أيضاً دار الأمارة ومسجداً عرف بجامع العسكر، وعملت الشرطة أيضاً في العسكر وقيدت لها الشرطة العليا وإلى جانبها بني الأمير أحمد بن طولون جامع الموجود الآن، وسمى من يومئذ ذلك القضاء (العسكر)، وصار منزلاً لأمراء مصر من بعد أبي عوف، وصار العسكر مدينة ذات أسواق ودور عظيمة، وفيه أيضاً بني الأمير أحمد بن طولون بيمارستانه، وكان البيمارستان المذكور بالقرب من بركة قرون - التي صارت الآن كياناً - وبهذه بركة على يسار من مشي من - منارة بين قنطرة السعد (النجوم الزاهرة) ص ٣٦٢ طبع ليدن سنة ١٨٥٢ م .

(٤) هو الكوم النصل بركة الطحانيين، وكان هذا الخط من أعمر الخطط بالقسطاط .

المارستان وما فيها والأطباء ، وينظر إلى المرضى وسائر المعالولين والمحجوسين من المجانين ؛ فدخل مرة حتى وقف عند المجانين ، فناداه واحد منهم مغلول : أيها الأمير اجمع كلأى إما أنا بمجنون ، وإنما عملت على حيلة ، وفي نفس شهوة رمانة عريشية أكبر ما يكون ؛ فأمر له بها من ساعته ، ففرح بها وهزها في يده ورازها ، ثم غافل أحمد بن طولون ورمى بها في صدره ، فنضحت على ثيابه ، ولو تمكنت منه لآلت على صدره ، فأمرهم أن يحتفظوا به ، ثم لم يعاود بعد ذلك النشر في المارستان .

وقد دخل مصر في سنة ٥٧٨ هـ ١١٨٢ م ابن جبير^(١) الرحالة المغربي العظيم ، وشاهد المارستان الذي بالقاهرة ، وقال : إنه مفخرة من مفاخر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ؛ وأطلب في وصفه بما سيأتي ذكره بعد في موضعه ، قال : وفي مصر (القسطنط) مارستان آخر على مثل ذلك الرسم بعينه ؛ وقال السخاوي^(٢) : إن أحمد بن طولون بنى إلى جانب جامع المارستان ، وكان بناء القنطرة والجامع وقصره الذي نزل فيه في سنة ٢٥٩ هـ ٨٦٩ م ؛ وقال ابن أبياس^(٣) : فلما بنى الأمير أحمد بن طولون هذا الجامع ، أنشأ به مارستاناً برسم الضعفاء ، ولم يكن قبل ذلك بمصر مارستان ، وكان في أحد محال المارستان العتيق - أي مارستان أحمد بن طولون - خزانة كتب ، كان فيها ما يزيد على مائة ألف مجلد في سائر العلوم يطول الأمر في عدتها^(٤) .

قال أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي في كتاب « تاريخ مصر وولاتها » ص ٢١٦ ، طبع بيروت :

وقدم أحمد بن طولون إلى (القسطنط) يوم الخميس لثان خلون من شوال سنة ٢٥٩ هـ ، وأمر ببناء المسجد على الجبل في صفر سنة ٢٥٩ هـ ، وأمر أيضاً ببناء المارستان للمرضى ، فبنى لهم في سنة ٢٥٩ هـ ؛ وقال محمد بن داود :

ألا أيها الأغفال إيهياً تأملوا وهل يوقف الأذهان غير التأمل ؟
ألم تعلموا أن ابن طولون قنمة تسير من سفلى إليكم ومن عل ؟
ولولا جنائيات الذنوب لما علت عليكم يد العاج السخيف الجهمل
يعالج مرضاكم ويرى حريمكم حبيش^(٥) القلب أدهم أعزل

(١) الرحلة ص ٥٢ : ولد ابن جبير ببلنسية سنة ٥٥٤٠ - ١١٤٥ م ، وتوفي بالإسكندرية سنة ٦١٤ هـ - ١٢١٧ م . (٢) تحفة الاحباب ص ٤ م : حامش تنج الطيب . (٣) بدائع الزهور ص ٣٨ م ٦ ، ولد ابن أبياس سنة ٨٤٢ هـ - ١١٤٨ م ، وتوفي سنة ٩٣٠ هـ - ١٥٢٣ م . (٤) النجوم الزاهرة ص ٤٨٢ ، (٥) هنا نفس .

فيا ليت مارستانه نبط بإسته وما فيه من علاج عتل مقل
فكم ضجة للناس من خلف ستره فضع إلى قلب عن الله مغفل
ولما آلت الدولة الطولونية إلى الزوال بخروج شيبان بن أحمد بن طولون آخر ملوكها من
مصر في ليلة الخميس ليلة خلت من ربيع الأول سنة ٥٢٩٢هـ، دخلها محمد بن سليمان الكاتب من
قبل المكتفى بالله يوم الخميس لمسهل ربيع الأول سنة ٢٩٢هـ : فأمر بإحراق القطائع، فأحرقت
ونهب أصحابه الفسطاط يومئذ : فركب محمد بن سليمان ، فطافها وأطلق من في السجون، وسكن
الناس : ودعا من الغد على المنبر لأمير المؤمنين المكتفى بالله وحده ، وصرف رجال الدولة
الطولونية من قضاة وقوادع عن الحكم ، وأخرج ولد أحمد بن طولون - وهم عنرون إنساناً -
فلم يبق في مصر منهم أحد يذكر : غفلت منهم الديار : وغفت منهم الآثار ، وتمطت منهم
المنازل ، وحل بهم الذل بعد العز ، والتطريد والتشريد بعد اجتماع الشمل ونصرة الملك
ومساعدة الأيام .

* فأخذ الشعراء في رثائهم والتعمر عليهم ، فنظموا القصائد الطوال في ذلك : ومن
هؤلاء الشعراء سعيد القاضي ، قال يرثي الدولة الطولونية وما شيدته من جلائل الآثار في
قصيدة مطلعها :

جرى دمه ما بين سحر إلى نحر ولم يجر حتى أسلته يد الصبر
إلى أن قال يرثي الجارستان (١) :

ولا نفس مارستانه واتساعه وتوسعة الأرزاق للحوال والشهر
وما فيه من قوامه وكفاته ورفقهم بالمعتفين ذوى النحر
فللميت المقبور حسن جهازه وللهي رفيق في علاج وفي جبر

إلى أن قال :

مآثر لا تبلى وإن باد ربهما ومجد يؤدي واريثه إلى الفخر

الح . . .

أحمد عيسى

الروح وماهيتها

للسيد محمد الحريري

في السنة الأولى من حياة « المعرفة » القراء ، ثلاث مقالات عن « الروح وماهيتها » ولم تنبأ الظروف . والآن وقد أتيت لنا الفرصة . نقدم هذه الكلمة وهي الختام .
الحريري

ما يمكن أن يرى من الروح

بهذا الاسهاب الذي قد مرنا ذكره ^(١) لا يمكن لروح مقيدة بجسمها رؤية روح مجردة ، وفقط يمكن لروح مكتسبة بجسمها الروحاني البسيط أن ترى روحاً أخرى بجسمها الروحاني أيضاً ، وذلك في حالات الانفلاق الروحي بأية صفة كانت ، أو التنويم المغناطيسي ، أو ما شابه ذلك ؛ بل إن كثيراً من المتعبدين والمأخوذين والصوفيين يرون أشباحاً نورانية من جملة العوالم ، كالجن ، والملائكة وسائر الأرواح المكتسبة بأجسامها الروحانية ، وقد نبه على ذلك كثير من الصوفية عند تحذير مريديهم عند دخولهم الخلوة ، ذا كرين الضار منها وغير الضار في إتمام هذه الرياضة .

ثبت لأحد النائمين مغناطيسياً ، أنه أثناء نومه قتل أحد الحاضرين صرصاراً على الأرض بأن سحقه بنعله ، فصاح النائم : إني أرى روح صرصار تصعد إلى العلو ، فسأل النائم هذا النائم عن شكل هذه الروح ، فقال : هي على شاة الصرصار بالضبط ، إلا أنها من نور ؛ كما أنه حصل - أيضاً - لأحد النائمين مغناطيسياً أن رأى بجوار أحد الحاضرين كلباً وصفه بشكل من نوع غصوص ، وهو من نور - أيضاً - ، ولما سئل الشخص الذي كان بجواره ذلك الكلب ، قال : إنه صفة كلب له ، غرق ومات من يومين .

هذا الجسم النوراني الذي رآه النائم مغناطيسياً ليس هو الروح المجرد أبداً ، بل هو الروح لابسة جسمها الروحاني - السابق التعريف عنه - وهذا الجسم هو الذي يمكن رؤيته لأصحاب التنويم المغنط ، أو أصحاب الرياضات بجميع أنواعها ، وهو عبارة عن طيف وأشباه بعض الصالحين والقدسين ، ولكن تلك الأجسام الروحانية تختلف في الرؤيا في الصفاء وعدمه بحسب تقاء وفطرة الرائي ، فقد يرى شخص طيفاً نورياً شمسياً مثلاً ، بينما يرى آخر

طيناً قسرياً ، أو ظلالياً إلى آخر التنوعات ؛ وهذا المشهد هو المسمى عند الصوفية بمالم « الظلال » .

هذه الأجسام الروحية هي على شاكلة الجسم ذرة ذرة ، ويمكنها أن تظهر في الرداء الذي كانت ترتديه غالباً ، وذلك بمجرد الإرادة ، كما بينا ذلك في تأثير الروح في الأثير ، بل يبلغ من قوة تأثير الروح في الأثير ما يمكن أن تتخذ هذه الروح الشكل الذي تريده بمجرد الإرادة ، وإن سهولة تشكّل الأثير لإرادة الروح كتناثر سلك الكهرباء من الضغط على (البطارية) المتصل بها، فينتج صورة ما ضغط بالضغط ؛ فعالم الروح يمكنه أن يتشكّل بما يمكن لعالم الجسمانية أن يتخيله في غيخته، فقد جاء في الأخبار الصحيحة : أن سيدنا جبريل كثيراً ما كان يظهر على صورة سيدنا دحية الكلبي الصحابي الجليل ... كما أن عالم الجن معلوم عنه أنه يتشكّل بما يشاء في أي صورة إنسانية كانت ، أو حيوانية ، وقد ذكر الأستاذ الدباغ الذي نقل عنه الحافظ أحمد بن المبارك - رضى الله عنهما - في كتاب « الأبريز » في باب ديوان الصالحين، كثيراً من مثل هذا عند شرح كيفية تصرف الأولياء ، وأنه لا يمكن الاشراف على كنه الروح ما لم يعلم الإنسان جميع العوالم المادية وأهلها طبقه طبقه .

أما حقيقة كنه الروح فلا يمكن أن ترى تمام الرؤية الاحاطية إلا بنفس ذات الروح عند مفارقتها جميع أنوارها والرجوع إلى طالعها ؛ وإن غاية ما يمكن أن يعلم أن ماهية الروح جوهر نوراني غير قابل للتقدير ، أو الوزن ، أو المحصر الخاص بالمادة، منافية لجميع ما هو معلوم، عاقلة حاملة بذاتها وبربها عامساً ذاتياً بكليتها ، لا تطباع جميع محيطاتها من عالمها فيها اندماجاً تقابلياً بالذات ، فينطوى فيها كل ما حولها انطواء الصور بالمرآة على أقرب تشبيه ، فتعلم بمقدار قوة إمدادها من أصل منزعها من النور الأول وأسبقيتها في الرتبة والصفاء ، إذ أن لكل روح قوة علمية ، وهذا سبب نبوغ فرد عن فرد، ولو تساوى في التعلم والوسط ، إلا أن أحدها له من قوة روحه ما يزيد على قوة روح الآخر، وإلا تساوت أرواح الأنبياء بسائر الأرواح، وهذا ما لم يقل به أي عاقل، وقد أخبر الامام مالك - رضى الله عنه - أن الروح هي صورة نورانية على شاكلة الجسم . ومن خصوصية الروح عند صفاتها من جسمانياتها بأي عامل من العوامل التي سبق تبيانها ، أن يفاض عليها بعلوم كثيرة كامنة فيها تستمدّها من عالمها الأول الكامنة فيه جملة ما تفرع منه من سائر المعلومات التي حدثت في العوالم المتفرعة منه ، فقط يختلف الناس في الافصاح عن هذه المعلومات ، وعدم الافصاح عنها باختلاف إمكان تصوير المعنى في اللفظ .

ومن خصوصية الروح - أيضاً - الافاضة بعلومها على روح أخرى مقاربة لها في الحالة

الانطلاقية . أما في حالة النوم الطبيعي ، وهذا مشهور ومعروف ، وقد أخبر الفيلسوف (سقراط) أن سائر علومه أخذها من هذا الوجه ، أو من التنويم المغناطيسي الحديث ، وهي المعبر عنه بالطريقة الاستدلالية ، فإن المستولى عليه يتكلم بعلوم ولغات غريبة عنه إذا حصل له الصحو ، وهذه الحالة كثيرة الشبوع والذبوع عند الصوفية المتقدمين ، فقد ذكر الامام الشعرائي في كتاب «الطبقات الكبرى» عند ترجمة سيدي عبد الرحيم القنائي ، أنه كان ينظر نظرة روحية لأحد العوام ، فيتكلم بعلوم غريبة ، فإذا ما تحول عنه عاد كما كان لا يدري مما قال شيئاً .

ومن خصوصية الروح المد والجزر والسرمان ، وقد تكون سبجات الروح للتأني هي سبجات - أيضاً - لبعض المستيقظين ، فطرة فيهم واستعداداً طبيعياً ، وهم المعبر عنهم عند المتصوفة بأهل الكشف والشهود ، وعند علماء الروحانية الحديثة بأصحاب الانطلاق الروحي الطبيعي بلا أي علاج .

ومن نتائج التوجيهات الروحية - من الأرواح القوية للأضعف منها - شفاؤها من جملة أمراض عصبية جسمية ، وقد شاع ذلك - قديماً وحديثاً - عند المتصوفة والروحانيين - وارت بذكره الركبان ، وتعليل ذلك سرمان السبال الروحي من القوى إلى الضعيف فيمدد بما يقوى سياله الروحي على تقوية الأعصاب ومنها إلى سائر البدن .

ومن خصائص الروح التشكل بأي صورة شئت ، وذلك عند كبار المرتاضين ، فقد ذكر في «الطبقات الكبرى» للشعرائي : أن «سيدي محمد شمس الدين الحنفي» دخل عليه شخص في خلوته بنته فوجدته سبعة أظفاراً ، وذكر عن آخرين : أنهم كانوا يتشكلون فيلا أو غيره ، وحالة التطور هذه مشهورة عند من غلبت أهل الرياضات ، وقد ذكرت حكايات مثل هذه عن الأبطال التوائم ، فقد قيل : إن بعضهم يتشكل بصفة (قط) ويسرح في الدروب والحارات ، وكذلك ذكر عن بعض متوحشي (إفريقيا) و(الهند) : أن بعضهم يتصور بصفة (ضبع) أو (ذئب) ، ويفعل ما يفعله هذا الحيوان بالذات ، وفي التنويم المغناطيسي صورة من هذا بالصفة لا بالفعل ، فإن قال المنوم للتأيم : أنت طفل ، وهو رجل اتخذ صفة الأبطال في الأقوال والحركات ، أو لو قال له : أنت بيناء أو كلب لا تتخذ صفة هذا الحيوان في حركاته وسكناته ، وهذه حالة أولية للتشكل ، فإن قويت أتمكن اتخاذ الشكل ذاته تماماً كما بيناه ، كما أنه يتمكن في مخاطبة هذه الأرواح أن يفهمها أن السكر هو حنظل والعكس بالعكس ، فإذا ذاقه التأيم تأثر بخاصية العنصر الذي أفهم به وتألم ، أو تلذذ حسب مذاقها ، بل إذا أفهم روحه أن قطعة حجر هي نار ، ولمستها لا احترقت يدها ، وهذا هو المسمى

في الروحانية بالإيجاء الاستثنائي.
ومن خواص الأرواح إمكان التنويم الطويل ، كما يحدث عند روحاني الهنود ، فقد ينامون ويمكنون بضعة شهور ، ثم يستيقظون ، وفي هذا من الدليل ما فيه على صحة نوم أهل الكهف .

هذا ما عن لي تبياناه في ماهية الروح بحسب ما جاء على لسان السلف والخلف من الصوفية وعلماء الروحانية ، رابطاً بينهما بالعلوم المعاصرة الحديثة والمكتشفات الغربية بما هو معلوم في المادة ، مضيفاً إليها بعض مشاهداتي التي جرت في كيفية إظهار بعضها لولا الأسباب العلمية التي تطورت أخيراً ، وكانت سبباً في هذا الإظهار ، إذ أتي وإن كنت من المتصوفة ، إلا أنه يمكنني التعصب لأقوال الصوفية جملة دون هذا التطبيق العلمي ، وقد أردت في هذا البيان أن تكون الأفادة أهم لمن ذاق من منهل الطريقتين : التصوف والفلسفة الصحيحة .
محمد محمد الحريري

عن الناشئ الأكبر أيضاً

قرأت ما كتبه الأستاذ محمود الحظيري في ص ٧٨٠ من هذه المجلة ، من الاستدراك في أخبار الناشئ الأكبر ، وقد خرج عما اختلفنا فيه بذكره ما ليس بضروري من كون الناشئ ، قد أُلِفَ في الملل والنحل ، لأنني قد قلت في ص ٧٥٣ من ٢ من « المعرفة » عن ابن خلكان : « ولم يذكر أنه قض كتب المنطق ... ولكن إغفال ابن خلكان هذه الخصيصة لا يستلزم زوالها منه ، غير أنه يجب ذكر المصدر الأصلي » ، فذكر لنا الأستاذ الحظيري عن مروج الذهب ٧ : ٨٨ - طبعة باريس « أنه ذكر في قصيدته أهل الآراء ، والنحل ، والمذاهب ، والملل ، وله قدم في العلوم » ، وهذا لا يدل على أنه قض كتب المنطق ؛ ثم إن الأستاذ الحظيري ، لم يحسن النقل ، فالذي كنا قد قرأناه في المروج المطبوع بالمطبعة البهية بمصر ، كما في « ٢ : ٣٤٠ - ١ » منه ، عن هذا الرجل « أنه هو الذي خرج عن تقليد العرب إلى باب التعسف ، والنظر ، ونسب الملل على أوضاع الجدل » لا الخليل بن أحمد ؛ ولهذا السبب قال فيه المسعودي « كان ذلك [أي الجدل] له لازماً ، ولما أوردته كاسراً » ، فانتقده نقداً دقيقاً ؛ وجدال الناشئ بالحجج المنطقية ، لا يفيد أنه قض كتب المنطق ، فالمنطق شيء ، واتخاذ آلة للجدل شيء آخر ، ونحن كنا ندرى بما قاله الأستاذ عن طبعة المروج المتهرسة ، ويزيده ثقة بقولنا : إن الفرغنجي المتهرسل في ذكر الناشئ مرة ثالثة كما في ص ٥٠٠ من الطبعة المصرية الأخيرة ، فإن ابن داود الأصمباني ألف « الانتصار على محمد بن جرير ، وعبد الله بن شريش ، وعيسى بن إبراهيم الضرير »

بين الحقيقة والخيال

المزارعون العارفون بالصناعات كلها!!

من مقال للكاتب الانجليزي المشهور

ويانفرد روبرتسن

عاش المشر ويانفرد روبرتسن الكاتب الانجليزي الشهير حوالي العشرين عاماً في إقليم
لاروماجندي من روديسيا ، واشتغل هناك كزراوع يعني بالأذرة والتبغ والقطن ، كما
اشتغل بالقنس وصيد الوحوش الافريقية . وفي سنة ١٩٢٩ م عاد الى إنجلترا دائماً وابجاً من
مجاورته مبلغاً كبيراً . وبدأ الاشتغال بصناعة أخرى هي الكتابة الصحفية .
وفي هذا المقال الوصفى البديع يصور لنا الكاتب حياة المزارعين في تلك الاقاليم النائية
التي لا نعرف عنها شيئاً ، وهو منقول عن مجلة من المجلات الانكليزية . ٩ المهر

في التقارير الرسمية للأوروبيين النازلين في روديسيا ، أن كل من يشتغل بتربية المواشي
يسمونه مزارعاً ، ولو أنه - في الحقيقة - عارف بكل شيء ، وليس بالزراعة فقط !
تراه يعيش في فضاء من الأرض ، يمتد آلافاً من الأميال ، تتخللها أميال من صفوف
الأشجار ، التي تنضج بادئة من دائرة « المقر الأبيض » الذي يظن فيه رب الطبيعة ، ثم
تنساب خلال الفضاء مكونة حدوداً طبيعية ناضرة ، تدق في اتساقها عن كثير من الحدود
الصناعية والأسوار .

في هذا الفضاء المترامي يعيش المزارع في هذا الإقليم ، وقد أقتله الطبيعة بجدة من
المسؤوليات ، لم تنقل به أي مزارع في أي إقليم من الأقاليم الزراعية الأخرى التي وصل إليها
التمدن ، فحتمت عليه أن يكون : طبيب أسنان ، وحداداً ، وضرباً ، ورجل بوليس ، وقاضياً
يقضي ما بين الناس وبعضها من خصومات بالتي هي أحسن ، وقصاباً يذبح رقاب الحيوانات -
المستأنس منها والمستوحش - ، وطبيباً وصيفاً وجراحاً !!! وبالاختصار فإن الطبيعة حتمت
عليه أن يكون عارفاً بشئ الحرف والصناعات والمهن .

ولو أمكن لأحد سكان المدن أن يعرف شئ هذه الحرف والمهن والصناعات ، فلا شك
أنه يجتني منها أوفر الربح وأكثره ، على أن كلا من أولئك المزارعين في روديسيا
العارفين بشئ هذه المهن والصناعات يجتني أيضاً أوفر الربح وأكثره ، لكنه ربح غير مادي ، بل هو

كسب روحى أو قسائى أكثر من أى شىء آخر ؛ ذلك لأن المزارع يجد فى تنوع المهام ، واختلاف نوع العمل ، البهجة التى يجدها رجل الحضر فى اتصاله بمتعدد الحافل والجامع مع أن فى تنقله كل ليلة بين شتى المجالس متعبة له وعناء .

ويوم المزارع الرويدى النازح يبدأ بظهور خيوط الفجر فى الأفق الشرقى ، وهواه الصباح يحمل إلى غرف البيت المختلفة من نوافذها شذى الغابة المحيطة ، ودخان نار المطبخ الملحق بالبيت من الناحية الخلفية ، وهو فى بدء دواره ؛ وهنا يدخل صبي المطبخ يحمل شاي الصباح - الذى لا غنى للأوربى عنه حتى فى غير بلاده - ، فأرنب يراه المزارع حتى يكشف عنه غطاءه الشبكي ليشرّب السائل الساخن ، ويقفز من فراشه إلى حيث سرواله القصير وقميصه (السكاكى) فيرتديهما ، وهنا يكوز ضوء النهار قد بدأ يسطع منتشراً فى الوادى كله ؛ فيدق الصبي ناقوسه الذى لا يعدو حد عرائل بال يدق عليه بقلعة من الحديد الصدى ، والحد معلن إلى حائط فى الشرفة (الثيراندا) الخلفية . وليس الصوت الداوى الرائد الذى يصدر من هذا الناقوس البدأى إلا نداء للعامل الوطنيين الذين يشتغلون فى المزرعة ؛ ليسرعوا ناضلين - من أنفسهم - صفوفاً تقف منتبهة فى انتظار تعليمات اليوم ، ولكن ليس الصف لزاماً على كل المشتغلين فى المزرعة ؛ فأولئك الذين يقتنون على الماشية ، وأولئك الذين لهم أعمال معروفة دائمة ، والحوزية والبقلة ، لا داعى لأن يصطفوا مع المصطفين ، بل عليهم أن يذهبوا مباشرة إلى أعمالهم . أما الثراخم التى تنتظر مقدم « السيد » ، فهى تشكيلة بدوية تشبه بحارة السفن التجارية ؛ وفى الفناء الأمامى يقف الرئيسان الوطنيان فى بزة متناسقة أنيقة تستلزمها تقاليد الرئاسة ، ولا يمارض فيها أجراها العالى بالنسبة للآخرين ؛ وقد تجهرت خلفهما صفوف العمال فى أبسط أردية الطبيعة ، أو فى جلابيب قصيرة ، إذا رأيتا « سبتها » شبكات مما يصطاد بها السمك ، أو فى أردية لا تزيد على جوال تثبت فيه عدة ثقوب للأرغافين والرأس ، وفتح من أسفل ...

ثم يحضر « السيد » ويوجه الرئيسين الوطنيين ، وهذان بدورهما يوجهان الصفوف .

المزارع الطيب

وفى بعض الأحيان يتضح من « تابور » الصباح أن أحد العمال متغيب ، وتثبت التحريات أنه مريض ؛ وهنا يكون على أحد الرئيسين أن يبحث عنه ويأتى به ليحضر أمام الطيب ، ويخرج « السيد » ، فيخف العمال ورؤسائهم مراعاةً إلى أعمالهم المختلفة ومهامهم المتعددة . ويغيب الرئيس المكلف باحضار الغائب المريض ، ثم يعود به ملقوفاً فى ملاعة قدرة ؛ حيث يطرحه على الأرض أمام « السيد » أو الطيب على حد سواء ، فينظر المريض إليه هزبلاً ميثوساً فاقد الرجاء والأمل .

ويبدأ المزارع باستجوابه بلغته الوطنية على النحو الآتي :

المزارع — حسنًا يا صاح ! ماذا أصابك ؟

المريض — إتنى مريض جداً يا سيدي .

المزارع — آه ... فهمت ، ولكن أين تشكو ؟ الرأس ، أم الصدر ، أم الظهر ؟

المريض — (عند ما يسمع لفظة الصدر) نعم يا سيدي .

فيكون على الطبيب أن يقوم بالفحص ثم وصف الدواء .

ولكنه في بادئ الأمر يفشل وتشكل الأمور عليه ، ولو أن كثرة التجربة والمزاولة

تكون قد علمته كثيراً ، بحيث يستطيع — بعد عدة دقائق — أن يكون فكرة عامة عن نوع

المرض ، وفي الأقلب الأعم أن سواد المرضى لا تكون إصابتهم إلا بالملاريا ، نظراً لانتشار البعوض

في تلك الأقاليم ؛ ومن ثم يصرع المزارع المستطب إلى بيته ، باحثاً عن زجاجة (الكينين) ،

ثم يعود بها حيث يعطى منها جزءاً للمريض مع الارشادات اللازمة ، كأن يقول له :

« يجب أن تأخذ حبتين من (الموديه) — اسم الكينين باللغة الوطنية — الآن » .

وقليل من الوطنيين يعرفون كيف يتناولون الأدوية على الوجه الصحيح ، وخاصة

(البرشام) ، فانك ترى المريض يحبو نحو كوبه الماء التي يكون أحد زملائه قادمًا بها ، فيضع

فيها حبتين من النعناع ، ثم يعطى أسنانه خمس (برشامات) من الكينين يجرشها جرشاً ،

ويقول في نفس لهجته المستعفة إلى الرئيس الوطني : « دواء السيد هو دواء جيد ... فقط هو

شديد على التوق » .

ولقد مكثت هناك عشرين عاماً طبيباً متطوعاً ، أراج العيال الوطنيين الذين يشتغلون في

مزرعتي ، أو يعيشون في القرى البعيدة ، أو من يجيئون إلى في معسكرات الصيد وخيامه ...

كنت طبيباً متطوعاً أعالج كل مرض أو حادث يمكن أن يصاب به الرجل الأفريقي ؛ وفي بعض

الآحيان كنت أزاوّل مهنتي في سأم وملل ، وفي بعض الأحيان كنت أجد فيها لذة وممتعة وفرصة

أخدم بها الإنسانية في طائفة من أبنائها ، ويحضرني الآن عديد من النماذج التي كنت

أصادفها — كطبيب — في هذه الصحاري الخضراء ، أكتفي منها بذكر الثلاثة الآتية :

جاءت إلى في عيادتي بمزرعتي ذات مرة امرأة من إحدى القرى القاصّة إلى جوارى ،

ومعها غلام يشارف العاشرة سنًا ... وصحى ! أنهل أعطيها جزءاً من دواء الرجل الأبيض

تستعمله لأنها الأسود ؟ وقدمت إلى هذا الطفل ، وقد دفنته إلى الإمام ، ثم كشفت لي عن

ذراعه المتقيح كله . وحيث وقف الغلام تساقطت قطط صفراء بكثرة من ذراعه على الأرض

التي أظلمتها حرارة الشمس ؛ فلم يسعني بادئ ذي بدء — وقد أحزنتني حال الغلام — إلا أن

أسأله : لماذا تركته حتى ساء هكذا ، ثم فكرت في أن تعرضه علي ؟ وماذا سبب له هذا المرح

المتقيح ؟ فأجابني بما يستفاد منه : أنه في ليلة من ليالي الأسبوع الماضي انزلني من فراشه إلى حيث كانت النيران وسط الكوخ للتدفئة؛ فقلت لها حاتقاً : ولماذا لم تأتي إلي منذ حذوتها ؟ وما كان أشد دهمتي عند ما سمعتها تقول لي في مزيج من صراحة وضراعة : لنا أدويتنا الخاصة وعلاجاتنا، نستعملها أولاً، فإذا فشلت قدمنا إلى السيد الطبيب الطيب القلب؛ ووفق طلبهم الخاص وعلاجهم فانها لم تعمل لفلامها أكثر من أن تضع كمية من الأوحال على ذراعه في مكان الجرح المتقيح. وهذا ما كنت ألاحظه دائماً، فانهم ينتظرون على المريض حتى اللحظة الأخيرة، ثم يجيئون في طلب المساعدة والاقاذه؛ وعلى الرغم من تأكدكم أنني أنصرف الدواء مجاناً مع كافة الاشارات والتعليمات اللازمة لأهل القرى المجاورة، سواء أ كانوا ممن يشتغلون بمزرعتي، أم ممن لا تربطني بهم صلة العمل؛ وفي إهمالهم الشائن هذا ما يجعل العلاج أصعب خمسين مرة مما إذا كانوا جاءوا إلى مباشرة بعد الإصابة، كما أنف الدواء يكلفني كثيراً، نظراً لأنه يكون متعدياً بالبداهة.

وهكذا كانوا يجيئون إلى، فأفعل من أجلهم ما أستطيع، ووأبذل كل ما هو في مقدري، وأصرخ فيهم عابساً أن يكرروا الحضور في صباح اليوم التالي، وهكذا حتى يتم لهم الشفاء. ومثلاً آخر : هو أن رجلين جاءا إلى من قرية واحدة من الجوار، بأحدهما جرح حديث بجانب رأسه، وقد ربطه بحرقه من قماش وطني (هاردي) ربطاً ساذجاً، ولكنه نفع على كل حال؛ أما الآخر ففي يده جرح من قدر مكسورة؛ جاءا إلى مما في وقت واحد، فوقفت في حيرة، ترى من أعوده أولاً؟ المنطق يحتم على البدء بذى الشج في الرأس، ولكن نظام (العيادات) يقتضي أن يكون ترتيب الكشف بالتسلسل، إلا من يطلب مقابلة خاصة مستعجلة، والأخير قد فعل هذا، ولم يفعله المصاب الواقع في الخطر؛ ولكنني في النهاية عملت بما أوحى إلى المنطق، فوضعت لذي الشج جرحه وأنصرف؛ ثم عرج إلى جرح يده، فإذا بالجرح - على خلاف ما يبدو - ضحل غير عميق، وسألته عن سبب الإصابة، فبعد كثير من الاعياء فهمت أنه كسر - عن غير قصد - قدر ماء لكبير في قبيلة مما أحاج صاحبها، ومما جعل صاحبنا يمتدح ويخرج من جيبه ما قيمته (شلتاً) من العملة الوطنية، وقدمه إلى صاحب القدر على سبيل التعويض، فرفض الأول وطلب (شلتاً) آخر فوق الأول، فأبدي صاحبنا عجزه، فاعتناظ صاحب القدر وضربه في ظاهر كتفه بقطعة منها حادة، فأصيب بهذا الجرح الواسع على ضحله، والذي لم يعتده الوطنيون من قبل، فأسرع إلى يطلب البرء والشفاء؛ وهكذا باع الرجل ذراعه بشلتين، وهكذا المال هو المعبود الأوحده حتى بين الزنوج.

ومثلاً آخر : ذلك أن رجلاً جاء إلى وضرسه يؤلمه ويريد أن يخلعه؛ ولكنه جاء إلى بعد أن سرق إحدى (الزراديات) الخاصة بالدراجات، وأعطاهما لأحد مواطنيه على أن يشده له ما ضرره فتخرجه؛ وحاول المواطن ذلك ولكنه لم يفلح، وأصببت الفتنة بتقيح أني على أثره إلى مسرعاً، لأن مرض الأسنان عند الوطنيين نادر الحدوث، والتقيح لم يعرفوه في اللثة. أما كيف يلعب المزارع الروديسي دوره كصياد وشرطي وبناء ومهندس وحداد، فذلك ما سنحدثك عنه في العدد القادم.

حول مقال الدكتور طه حسين

عنه حافظ وشوقي

بقلم الاستاذ محمد خورشيد
استاذ الادب العربي

ألقيت الآن من يدى هلال ديسمبر بعد ما قرأت فيه مقال الدكتور طه حسين عن الشعاعين الكبيرين حافظ وشوقي ، ذلك المقال الذى رأيت فيه من الاضطراب الادبى ما حدا بى إلى كتابة هذه المقالة خدمة للأدب والحقيقة .

قبل كل شيء لابد ان من القول بأن الكتابة عن شوقي وحافظ معاً ، ليست من الانصاف والعلم ، والتاريخ فى شيء ، لأنها يتباينان جداً من حيث متانة اللغة ، والمبقرية ، والإنتاج ، والنشأة ، ولا أنكر أن فى وسع المؤرخ الادبى المقارنة بين هذين الشعاعين ، ولكنه ينتهى من مقاله دون توفية الموضوع حقاً ، لأن المقارنة شيء ، ودراسة الشاعر والبحث العلمى عنه شيء آخر .

يعترف الدكتور طه حسين فى مقاله بأنه كان يؤثر حافظاً على شوقي عندما كانا برفلان بنوب الحياة ، ويريد - وهو على مقاله - أن ينسب إثارة حافظاً بالمودة والحب الخالص ، ثم يعترف بأن مؤرخ الآداب بنوع خاص يصعب عليه جداً التجرد من عواطفه ، وشهوته ، وميوله ، وأهوائه فى الأدب ، والتمن ، ويقول : « واعلم بعد ذلك أنى إنما ذكرت عواطفى التى كانت تعطفنى على حافظ بالحب ، والمودة ، وتصرفنى عن شوقي بعض الشيء لئتم أنت ما قد أعجز عنه أنا من الانصاف ، ولتجوز أنت ما قد أتورط فيه أنا من الغلو والاغراق » .

فى هذه العبارات اعتراف صريح باملاء عاطفته عليه مقاله فى حافظ وشوقي ، وهل من الممكن أن يتجرد الانسان من ميوله وعواطفه ويكتبها ما بين طرفة عين والتفاتتها ؟ كان يجب على الدكتور المحترم أن يستبدل الفعلين المضارعين بعد حرفى التثنية فى جملة الأخيرة بمضارعين ماضيين ليؤكد لنا عجزه عن الانصاف وتورطه فى الغلو والاغراق .

وبما حيرنى فى مقال الدكتور قوله « تجديد شوقي يستحيل شيئاً فشيئاً إلى تقليد حتى إذا كانت أعوامه الأخيرة كانت قصائده كلها تقليداً ظاهراً للقديما من الشعراء ، لا يستر فيه ولا يحتاط ؛ ينشئ القصيدة ، فلا تحتاج إلى تمب أو مشقة ، لتجد القصيدة القديمة التى يحاكبها . سم هذا معارضة ، أو محاكاة أو تقليداً ، فذلك عندى سواء ، لأنه ينتهى إلى نتيجة

واحدة وهي أن الشاعر ، قد رجع إلى القدماء يلتبس عندهم مثله الأعلى ، تلك لعمري كلمات لا يقرها المنطق ؛ وهل للكاتب الأديب أن يدلني على مفكر ينكر معه أن شوقي بنى مجده وارتقى إلى سماء العبقرية والخلود في غير أعوامه الأخيرة بعد عودته من المنفى في أسبانيا ؟ ومن من القدماء يأنرى قلده شوقي في نظم الأغاني الغالدة التي كان لها الفضل الأكبر في تهذيب أذواق الناطقين بالضاد في القرن العشرين ؟ ومن ذا الذي يقول : إن روايات شوقي التمثيلية الثمان التي لم يسبقه إلى مثلها شاعر عربي آخر ، والتي نظمها بعد عودته من الأندلس ، هي تقليد ظاهر للقدماء ؟ .

أما قول حضرة الدكتور : إن كل قصائده في أعوامه الأخيرة تقليد ظاهر للقدماء فهو حري أن يقسب إلى مؤلفي الأفايصع والمخراقات ، لا إلى مؤرخي الأدب العربي ؛ لأن كلمة « كل » دقيقة الاستعمال جداً في التاريخ وفلانجدها في كتب المؤرخين المدققين ، ولا أنظن الدكتور طه حسين يجهل هذه الحقيقة البسيطة ، وهو الذي كان أستاذاً للتاريخ القديم في الجامعة المصرية قبل أن يصبح أستاذاً للأدب العربي فيها .

ألف شوقي بعد عودته من منفاه ، أي في مدة إثنين عشر عاماً ونيف خمسة عشر مؤلفاً ، أربعة أختاسها مؤلفات شعرية^(١) كما روى أمين سره السيد أحمد عبد الوهاب ؛ فهل لحضرة الدكتور أن يدلنا على الكتاب الذي قلده شوقي القدماء ؟ اللهم إلا كتابه أسواق الذهب الذي قلده القدماء في سجعهم ، وبذم من حيث سهولة اللغة ، وسمو الفكر والخيال لحبذا لو أتبع الدكتور طه حسين الجدد طرق الجدد في الأدب ، ودعم كل حقيقة ذكرها بما يؤيدها من البراهين ، والحجج الدامغة لأن الجدد لا يلبق بهم إرسال الكلام على عواهنه .

ثم نرى الدكتور طه حسين ينسئ في مقاله على شوقي عدم مقارنته خصومه ، وعدم نهوضه لخاصة ناقد من قاده ، وأنا أرى في سكوت شوقي عن مناوئيه ، وإهماله أمرهم

(١) مؤلفاته المطبوعة : هي الشوقيات : جزءان ، وروايات مصرع كليوباترا ، ومجنون ليل ، وقبيل ، وعلى بك الكبير ، وعنترة ، وكلها شعرية . ورواية : أميرة الأندلس النثرية ، وكتاب أسواق الذهب النثرى . أما مؤلفاته التي سيباشر طبعا فهي كتاب عظماء الاسلام (نثر) ، والشوقيات الجزء الثالث والجزء الرابع ، وروايتا : السيدة هدى ، والبخيلة ، وكشكول جامع لقصائد لم تنشر ، وقصائد سهلة للأطفال ، والأغاني الخ ، وربما استوعب الكشكول وحده ثلاثة مجلدات .

أنجع وسيلة للرد على هؤلاء، لأن شوقي إذا انحدر من عليائه إلى مستوى خصومه ، وقارعههم بمقارعة الند للند ، يفبه من شأنهم ، الأمر الذي كانوا يرجونه من وراء تلك المناوأة ؛ ولم لم يعترف إليهم الناس إلا عند ما بدأوا التعرض لشوقي وحاجوه من كل جانب مسرفين في النقد والذم ؛ ورغم سكوت شوقي ، فيه ذكرهم ، وظل شوقي فوق عرش إمارته السامي الذي لم يهن ، ولم يزعزع ، وها هو ذا شاعرنا النابه ، قد قضى قتهافت الأدباء على رثائه والإشادة بذكوره وفصائله لأن الشعراء النابغين تبدأ حياتهم يوم يتغمدنهم الله برحمته ، وكما مرت الشهور والأعوام على وفاتهم ارتفع قدرهم ، وظلوا للباحثين المتصفين نواح جديدة من عبقريتهم ونبوغهم ، ولنضرب لك مثلا : المتنبي الذي لم يعلم من خصوم الأدباء حياء وميتا ، ولم يعترف له بالامتياز على من سبقه ، وعاصره من الشعراء إلا بعد إذ قضى معاصروه ومناصوه ، ووكل أمر الكتابة عنه إلى أناس يعلى عليهم عقلمهم لا عاطفتهم ، أناس يكتبون للتاريخ لا للترلف إلى زيد أو عمرو ، إكتسابا لرضى ، أو توصلا إلى مغنم ، وربما نال شوقي في حياته إعجابا ، لم ينله سواه من شعراء الضاد الذين سبقوه ، وسرى الآيات الحكيمية التي يتداولها الناس الآن من نظم شوقي يضطرد ازدياد عددها باضطراد البحث في شعره ، والأعوام المقبلة كنفيلة بتحقيق ذلك ، وأظن حضرة الدكتور الأديب يترنى على هذا الرأى .

ويختتم الدكتور طه حسين مقاله عن حافظ وشوقي بقوله : «ها أشعر أهل الشرق العربي منذ مات المتنبي ، وأبو العلاء من غير شك » ، فهذه الجملة أملاها حضرة الأديب دون تحفظ ، إذ ما هي الصلة والظروف التي تجمع شاعري القرن العشرين بالمتنبي وأبى العلاء ؟ وما هو المقياس الأدبي الدقيق الذي نستطيع أن نقيس به شاعرية شاعر بآخر دون أن نضل سبيل العدل والإنصاف ؟ فالظروف التي عاش فيها شاعرنا غير الظروف التي عاش فيها المتنبي وأبو العلاء ، وعصر الآخرين غير عصر الأولين ، وهم يختلفون جداً من حيث الإنتاج الأدبي قدراً ونوعاً ، هذا فضلا عن أن كلا من هؤلاء الشعراء الأربعة ، لا يمكن أن يقارن بالآخر لكثرة التباين بينهم ، وربما نغصط بعض الشعراء الذين جاءوا بعد أبى العلاء حقهم إذا فضلنا عليهم وحافظ إبراهيم ، وربما نغصط شوقي قدراً إذا فضلنا عليه أى شاعر عربى آخر ، ولو اتسع لنا المجال في هذه المجالة لكنا أبدينا رأينا الصريح في هذين الشاعرين مؤيداً بالبراهين والأدلة ، ولكننا ترك البحث عن حافظ إلى الأعداد القادمة من مجلة المعرفة الغراء ، وترك شوقي إلى المقال المفصل الذى سنكتبه عنه فى الكتاب الذى سيجمع فيه معظم ما قبل فى أمير الشعراء فى جميع الأقطار العربية ، والذى سنبشر طبعه قريباً .

ولا بد لي قبل اختتام المقال من إبداه رأى أظننى مصيباً فيه ، وهو : أن يترك إخواننا

المصريون الآن البحث في شعر شوقي ، والكتابة عنه إلى أقطاب الأدب العربي في الأفطار العربية الأخرى ؛ لأن العاطفة تملئ على أنصاره وخصومه من المصريين ، بحيث يساء إلى تاريخ الأدب العربي الذي يجب أن يكون منزهاً عن المحاباة والانتقام . وأعترف أنني أسأت بقولي هذا إلى عدد من الأدباء المصريين المنصفين الكرام ، ولكنهم في نظري أقلية ، والقليل لا يقاس عليه ، والأدباء غير المصريين ، الذين تربطهم والتقييد أواصر الصداقة ، ولم يتأكل الحسد أفئدتهم ، هم - في اعتقادي - أئزهم في إصدار أحكامهم على شوقي من سواهم ، وها هو ذا الدكتور طه حسين الذي يعتبر زعيماً من زعماء الأدب يعترف بأن العاطفة أملت عليه ما كتب ، أما القصة التي أتوسم فيها إنصاف الشاعر الراحل من كل نواحي أدبه ، فهي فئة الأدباء الذين ضربوا بسهم وافر في الشعر والنثر معاً ، لأن الشاعر أدري بفن القريض : حسناته ، وسيئاته من النائر .

هذا ما عن لي كتابته من الملاحظات البريئة على مقال حضرة الدكتور طه حسين وجل من لا يخطئ .

محمد خورشيد

استدراك

سيدى الأستاذ المفضل

أشكركم على ما تقومون للعلم والأدب والثقافة الإسلامية والصحافة المصرية من خدمات جليلة ، وبعد فاني ألفت نظر حضرتكم إلى ما وقع في كتابتنا التي تنضمت بنشرها في عدد ديسمبر من « المعرفة » من الاختلاط بين آيتين من القرآن الكريم ؛ وبدفعنا وبدفعكم الحرص على كتاب الله تعالى إلى وجوب تصحيحها : فقد جاءت الآيتان بالصيغة رقم ١٠٠٧ على هذه الصورة : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » . والصواب ما يلي :

« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » ؛ وإن منهم فريقاً يلوث ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » .

فخرجوا من حضرتكم أن تسكروا باستدراك هذا الخطأ ، الذي نعتذر عن حصوله بأننا كنا نكتبه على عجل .

سيد أحمد فهدى

الثقافة بين الشرق والغرب

للاستاذ أمين فهمي أحمد

ألقى جناب (سير ا. ديفسون روس Sir E. Denison Ross) مدير الدراسات الشرقية بجامعة لندن محاضرة في « الثقافة بين الشرق والغرب » باللغة الانجليزية في قاعة (بورث التذكارية) بالجامعة الامريكية مساء يوم الأربعاء ١٤ ديسمبر سنة ١٩٣٢ ، وألقى حضرة الاستاذ الدكتور « منصور فهمي » أستاذ الفلسفة بالجامعة المصرية في نفس القاعة عند الساعة السادسة من مساء الثلاثاء ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٣٢ محاضرة في « التراث الفكري للثقافة الشرقية » باللغة العربية، وقد رأيت أن الخصمها تلخيصاً شعرياً موجزاً في الآيات التالية :

بين أهل العلم خلف وقاش ونضال
في ثقافات نراها ، هل هي السحر الخلال ؟
قد سرى للشرق ندما أم إلى الشرق الماكل
والهدى في الغرب أصل لا ابتكار ما يزال
كل يوم في صعود بعده ليس محال
أن نرى الغيب شهوداً أم على الرأي الضلال ؟

« ديفسون » قام وحلى رأيه ، ما حل حلا ١١
قال يا حيرة قسى أى هذين الملقى ؟
حينما يبدأ شرق ذلك الغرب تدلى
حينما يبدأ غرب ذلك الشرق تحلى
ليس بين العلم شرق لا ولا غرب تنولى
إنما هم قسوه قسمة التارخ أصلا

قال « منصور » تعالوا نبحث الرأي المبيتا
فليقولوا الشرق مصر أو يقولوا الصين حينما
أو يقولوا الهند شرق ليس هذا ما عنينا

حسبكم حيرة « رس » حين أبدى ماروينا
إنما الشرق قديماً كان مهدياً ومعيها
للديانات جيه ——— أ والهدى منه يقينه

وانظروا الآن « لغاندى » فى محبات بيانه
قبلما الحرب وبعد ال حرب فى فيض جنانه
قال : إن الغرب مهما نصره ، فى هوانه !!
خل بالديتان ——— قد نسي روح أماته
ثم من « تاغور » قول مثله فى ترجمه ——— اته
قال « جبران خليل » عزفنا غير (بيانه)

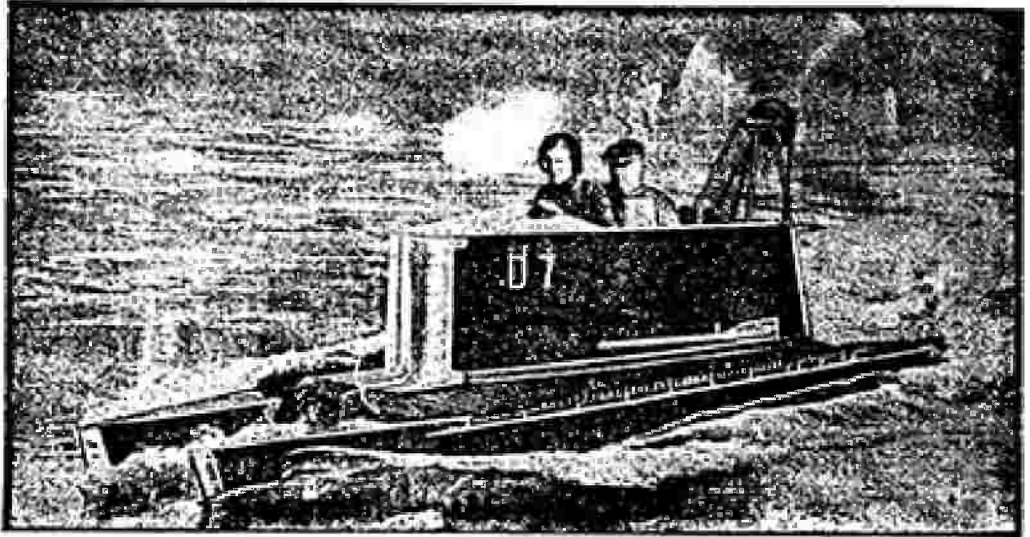
هكذا « منصور » أدلى ببيان قد سمع: ———
قال : للشرق فقد فيه للأديان معنى
وهو كالروح لغرب لا يلقاه ——— المعنى
ذلك القسم جلياً كان فى الناس وكنا
فرقة الإلهام قوت فى مجالها ، وجلنا
فرقة أخرى تبدت فى كفاح لم يسنا

قسموها نزعة ——— بين واهتدوا للفرقتين
نزعة الباطن تغنى عن دقائم دون مين
نزعة الأسباب تغنى بافتان الأصفرين
بالبانى والم ——— انى فى حدود المقتلين
بيننا الباطن يوحى دون تحديد وأين
من فيوض وتجمل مابه فرقة عين

أمين فهمى أحمد



العلوم والفنون



قارب بخاري للمياه العذبة

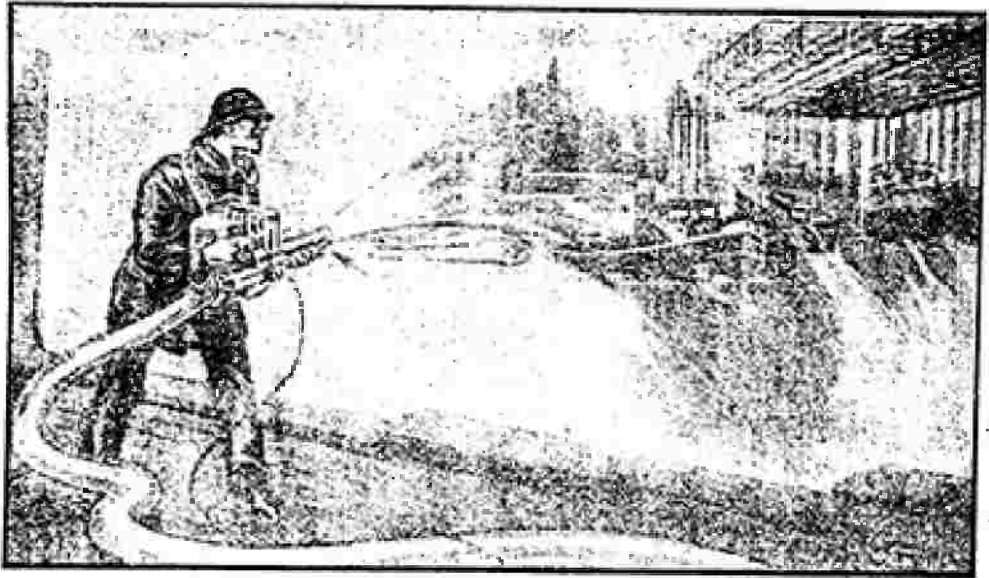
على الرغم من تلك المساحات الواسعة من الأرض التي اكتشفت حديثاً فما يزال هناك الكثير من الأرض لم يعرفه الإنسان بعد ، ذلك فظراً لأنه محوط بمياه ضحلة تنعقد على القوارب البخارية العادية المرو بها ، وهذا ما أجدا يبعث المهندسين إلى اختراع القارب البخاري الذي نرى صورته فوق هذا الكلام ، وهو يسير بمحرك طائرة وبنا كينة قوة ٧ أحصنة ، وميزته أنه يستطيع أن يسير في الماء الضحل بسرعة هائلة ، ولو كان عمق تيار الماء ثلاث بوصات فقط !!



فلم للسباحة



تمثل هذه الصورة فلماً حديثاً يذبت رغب السباحة إلى وسطه ثم يسبح ما شاء على شرط وجود الهواء .



جاءت قريحة أحد المصورين بهذه الصورة التي لا يستبعد العلم تحقيقها ، وهي تمثل جهازاً خاصاً يلقى بأشواء صناعية على الموائى ، فينيرها ، مذهباً عنها ما يكون اختورها من ضباب .



مكتبة متنقلة في المستشفيات

يمكن للمرضى في مستشفى جامعة (جورج واشنطن) في مدينة واشنطن ، أن يتخذوا ما يريدون من الكتب من مثل هذه المكتبة المتنقلة التي تراها في هذه الصورة ... وما من شك في أن الكتاب خير جليس للمريض ، كما قالوا قديماً .



نظرة من الورق



تمثل الصورة نوعاً مائتاً من المظلات ،
مصنوعاً من بعض أوراق النباتات التي تنمو في
أحد الأقاليم الاستوائية . وقد غمر الأسواق
السكوتية لبساطته ورخص ثمنه .

أشعة إكس

جهاز جديد للتداوي



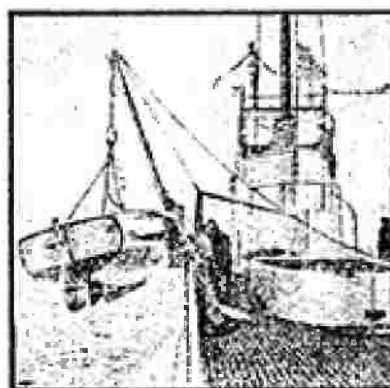
تمثل الصورة جهازاً جديداً يلبس بالرأس ، ثم
تسلط عليه أشعة إكس فيسهل التداوي بها .

سيارة دوتروسي تمشيق

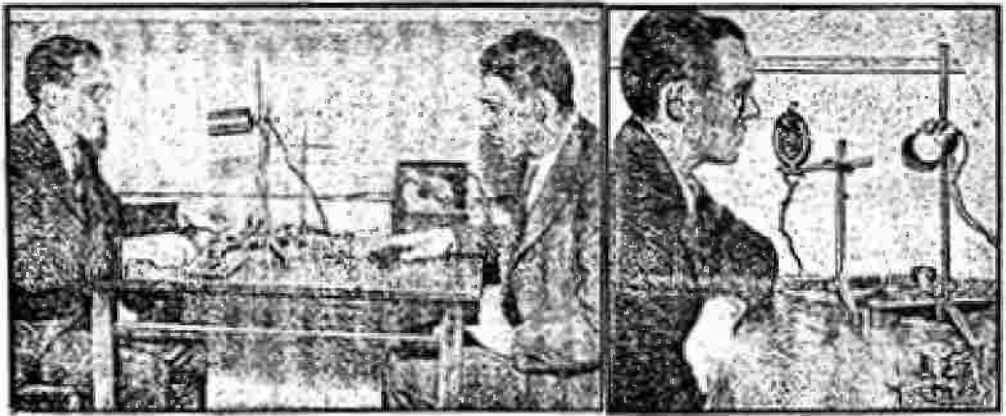


السيارة التي ترى صورتها في أعلى الصفحة ،
تمشى بغير (تروس تمشيق) ، والسرعة تنظم فقط
(بفرملة) الرجل ، وطبعاً فإن قيادة هذه السيارة
تكون آمنة من قيادة ذات التروس ، فقلراً لأن اليدين
تخصصان فقط لإدارة (الديركيون) .

أكبر غرصة أمريكية



هذه صورة (الدالين) أكبر غرصة في
الولايات المتحدة وهي عبارة « بقارب سيارة »
له (جراج) خاص يوضع فيه على ظهره في حالة
عدم استعماله ، وفي حالة الغطس فإن المياه
لا تغمره ، نظراً لأنه « ذو مناعة ضد الماء » .



انتقل علم النفس في الايام الاخيرة من دائرة البحوث الفلسفية النظرية إلى دائرة التجارب العلمية التي تستخدم لاجرائها شتى الأجهزة والأدوات الحديثة . وتريك الصورة جهازاً جديداً لقياس الذكاء وتفاوت درجات التفكير .

تأثير تحت الماء !!

طغاة البحر من !!



يرى القارئ في هذه الصورة جهازاً جديداً يلفظ الصور من البشوك كثيراً !! ذلك لأن ضربات القلب الاندافية (وهي هنا ضربات قلب اللص) تجعل جرساً في هذا الجهاز يذق . وذلك عند ما يقترب اللص من قفص البشوك . !!



أنموذج مكبر من نوع من الكاميرات السينمائية نوغرافية البحرية . والكاميرا موضوعة داخل خزانة من المعدن الثقيل وتستعمل مباشرة بأن يوضع تحتها الحامل ذو الثلاث قوائم على قاع المحيط .

مملكة المرأة والبيت

الزواج السعيد

أحدث قراء « المعرفة » هذا الشهر عن الزواج وكيف يمكن أن يؤدي بالزوجين إلى السعادة ، التي هي إربة الجنتين من هذه الحياة الدنيا .

والمرأة إذا تحدثت عن الزواج ، كان معنى ذلك أنها تتحدث حديثاً صادقاً ، لا تتوره الرب ، ولا تخامره الشكوك ، ذلك لأن البيت وتكوينه هو مهمتها الأولى والأخيرة من الحياة ، وكاذبة دعوية جاهلة تلك التي تقول : إن المرأة خلقت لتغير المنزل وحياة المنزل ، والقاري ، إذا سلم معي بأن الطبيعة بقانونها الاجتماعي الأعلى قضت بالزواج ، كان لا بد له أيضاً أن يسلم معي بأن في الزواج معنى التقسيم . . . وليس التقسيم إلا تقسيم « الجهود » التي تبذل في سبيل تكوين البيت والأسرة ، أو نظام الأزواج ، سمه كما تشاء . . . وللهيزات الجثمانية والعقلية التي خص بها الرجل دون المرأة ، فقد أرادت الطبيعة له أن يقوم بالجزء الأشق والأثقل من خصائص هذه الشركة ، وتزكت للمرأة مهمة أخرى من هذه الخصائص ، هي مهمة إدارة مركز هذه الشركة . . . هكذا أرادت الطبيعة في نظام الزواج ؛ وعلى هذا الأساس يجب أن يسير الزوجان ، لكي يمشيا سعيدين ، ومعنى آخر لكي يستمتعا بكل ما في الزواج من متعة مشروعة .

وطبعاً فليس بي من حاجة لأن أذكر لقارئتي وقرائي الكرام ، أن نظام « التكافؤ الاجتماعي » يجب أن يراعى في مسألة الزواج ، فلي أساس مراعاته ، أو عدمها ، توجد السعادة المنزلية ، أو تنعدم .

ومن مقتضيات « قانون التكافؤ الاجتماعي » في الزواج ، ألا يفترن الفتي إلا بفتاة ، والرجل إلا بامرأة ، والأمراة إلا بأرمل ، والفتي إلا بفتية ، والفقر إلا بفقر ، ذلك لأن كلا من الحالات السابقة تستلزم لصاحبها درجة خاصة من « المستوى الاجتماعي » ، يضايقه كثيراً أن يتحول عنها إلى أقل منها ، وهو إذا ارتفع إلى مستوى أعلى غير عارف بتقاليد وأوضاعه ، فأنما يسير فيه أعمى فاقد الإدراك ، ومن اجتماع العمى وفقدان الإدراك ، فلي السعادة السلام .

والآن عندنا شاب وشابة ، عندهما تكافؤ اجتماعي ، وربط بينهما رابط الحب ، أو رابط الخطوبة الوالدية . . . وكل منهما ينتظر أن تواتيه سعادة الدنيا كلها عندما يكون مع الآخر جنباً إلى جنب . . . وقد يكون أحدهما تعرف إلى الآخر نفساً وخلقاً ، وقد لا يكون هذا ، ذلك ما لا يهم الآن . . . وما هي إلا أيام حتى يكون الزفاف ، وتبدأ الشركة بدأها العملي ،

وعلى التدرج نزاح أستار التحفظ ، وينكشف كل من الطرفين للآخر ، بما فيه من محامد ومنغرات ، لا تلبث على توالى الأيام ، حتى تفلط وتزداد ، وهنا يدخل كل من الطرفين « رتوشاً » على الصورة التي كان يرسمها في مخيلته عن الطرف الآخر ، وهنا أيضاً يكون من واجب كل من الطرفين أن يأخذ بما في الآخر من محاسن ، ويحاول أن يسدل ستراً كثيفاً على ما فيه من نقائص ... ويبدأ بوضع نظام يسير عليه في حياته مع الطرف الآخر ، على مقتضاه يمكن أن توجد السعادة ، حتى مع دمامة الخلق ، أو حدة الطبع ، أو ضعف الكسب ، أو القوة الجسدية ، أو العقلية .

وفي كل من الجلسين ، قلما يوجد اثنان يتفقان في محاسنهما ، أو في عيوبهما ، ومن هنا يكون من المستحيل وضع نصائح مجدية .

إلا أنه لوحظ أن الزوج يحب من زوجته في الغالب :

- ١ — أن تحترمه — ولو احتراماً ظاهرياً فقط — خاصة أمام الناس .
 - ٢ — أن تخلص له العاطفة من كل قلبها .
 - ٣ — أن تظهر له اهتمامها به عن أى إنسان عداها من الرجال ، حتى إخوتها .
 - ٤ — أن تعمل : وتقدم له كل ما تنبت التجربة ميله إليه .
 - ٥ — ألا تظهر أمامه إلا فظيفة جميلة على قدر الامكان .
 - ٦ — ألا تستقبله إلا هاشة باشة ، مرحبة مؤهلة .
 - ٧ — ألا تخصص يوم راحته الأسبوعية لنفسه ، أو عجن ، أو تنظيف المنزل .
 - ٨ — أن تحافظ على مواعيد عمله وخروجه ، فتوقظه في الوقت المناسب وبالأسلوب المناسب .
 - ١٠ — أن تخصص نفسها لبيتها وأولادها ، ولا تخصص نفسها لزيارة جاراتها وصديقاتها .
- كما لوحظ أن الزوجة تحب من زوجها :

- ١ — أن يظهر حبه لها في كل الفرص والمناسبات .
 - ٢ — ألا يسيئها بكلمة واحدة أمام الضيوف .
 - ٣ — أن يظهر اهتمامه بها عن أى مخلوقة عداها من النساء ، ولا يسم لأخته .
 - ٤ — أن يسرع بإحضار كل ما تطلبه منه : من ملابس ، وحلى ، وزينة .
 - ٥ — ألا يقطب وجهه في حضرتها .
 - ٦ — ألا يتأخر عن موعد غدائه أو عشائه .
 - ٧ — ألا يتأخر خارج البيت إلى ما بعد التاسعة .
 - ٨ — ألا يتره دون مصاحبتها إياه .
 - ٩ — أن يلازمها داخل الدار وخارجها ، كما تلازمه عصاته .
 - ١٠ — أن يكون قتي القلب ، ولو شاخت سنه .
- وأغلب ظننا أن زوجين راضين ما تقدم يمكن بسهولة أن يعيشا سعيدين . (س)

مكتبة المعرفة

نهج الانشاء

أهدانا الأستاذان الفاضلان : محمد على أبو شنب ناظر مدرسة المعلمين الأولية الأميرية في بنى سويف ، ومصطفى محمد ابراهيم المدرس بالمدرسة الحمديدية الابتدائية الأميرية بالقاهرة ، الطبعة الثانية - لاريدة والمنقحة - من كتابهما « نهج الانشاء » ، وقد قرأناه فوجدناه محاولة لا بأس بها ، تساعد الطلبة كثيراً على تفهم مبادئ الانشاء والكتابة ، مما نشكر لأجله الأستاذين الفاضلين .

ولكن لنا بعض ملاحظات في تدريس الانشاء العربى بالمدارس ، كنا نود لو انتفت إليها المؤلفان ... إذاً لوصل منهجها حد الكمال .

فنحن نلاحظ - مثلاً - أن الأساتذة ما يزالون يجرون في تدريس الانشاء على الطريقة القديمة (غير المباشرة Indirect) ، وهى طريقة ثبت فسادها وعدم ملائمتها للطلبة في هذه الأيام ، بخلاف الطريقة الحديثة المباشرة (Methode Direct) التى نجحت نجاحاً كبيراً في الوصول بالطلبة إلى استنتاج كثير من المعلومات والحقائق ، التى كان المعلم يجد صعوبات كثيرة في تفهيمها لهم عن طرق الكتب والأسفار الصماء العقيمة .

ونلاحظ أيضاً أن مدرسي الانشاء العربى جروا على أن يطلبوا إلى تلاميذهم الكتابة في موضوعات تنبئ عنها أفهامهم ومداركهم ، ولا تفسيفها بحال ما ؛ كأن يطلب إليهم الكتابة عن حكم من الحكم ، أو مثل من الأمثال ، أو بيت من الشعر لزيد أو عمرو من الشعراء ، مما يكون مدعاة لاضطراب الطالب في كتابته ، فينشأ وهو لا يعرف كيف يعبر عن مكنونات نفسه ، وينشأ ، وهو لا يعرف كيف يكتب خطاباً ارتبطت جملة بعضها ببعض ؛ ، وما لهذا الغرض كان تدريس الانشاء .

ونلاحظ أيضاً أنه حتى أولئك الذين يستعملون الطريقة المباشرة - وهم أقلية ضئيلة - يعمدون في بعض الأحيان إلى تكليف الطلبة بالكتابة في موضوعات لا تحتاج تفوسهم إليها ، وقد يعجز الأديب المختص عن وصفها أو الكلام عنها ؛ كأن يطلبوا منهم وصف نخلة ! ماذا يعرف الطالب الصغير في علم النبات أو في الخيال العالى حتى يستطيع أن يصور لنا النخلة تصويراً يلذ من يقرأه أو يظرب لسماعه ؟

وهناك ملاحظات أخرى قد نفرد لها مقالا خاصاً ، كما نرجو لو أتيحت الفرصة للمؤلفين الفاضلين ، ليخرجوا لنا نهجاً جديداً على الطريقة المباشرة الجديدة .

محاضرات محفل فرعون

أهدى إلينا محفل فرعون كتاباً بهذا العنوان ، يقع في ٩٦ صفحة من القطع المتوسط ، ويحتوي على المختار من المحاضرات التي أُلقيت من كبار الأدباء بالدار الماسونية المصرية ، من طبع المطبعة الأهلية بالإسكندرية ونمته ٢٥ ملابماً .

والكتاب - على صفه - له قيمته ، فقد حوى كلمة من رئيس الجميع فرج جودة ، يشرح فيها فكرة الماسونية ، ثم محاضرة في المناعة الاجتماعية للأستاذ محمود عوض البحراوى منبه أول المحفل ، ثم أخرى في الأخلاق للزميل الفاضل الأستاذ زكريا أحمد رشدى صاحب جريدة « الرشديات » الغراء ، تكلم فيها ضمن ما تكلم عن وجود النفس وقواها المختلفة ، وتكلم أيضاً عن أخلاق النبوة باعتبارها المثل الأعلى في الأخلاق ، ثم محاضرة عن واجب الأحرار في الشرق للأستاذ فيليكس فارس رئيس قلم الترجمة ببلدية إسكندرية ، وختمها بشئء عن الماسونية في بلاد الغرب ، وعن الفكرة الخالدة والمدنيات المنقرضة ، ثم محاضرة في علم النفس للأستاذ محمد مظهر سعيد ، من حيث تاريخه وتطورات وأبحاثه ، وأن الفلاسفة والحكماء ظلوا زمناً طويلاً يخلطون بين المنطق والنفس والأخلاق ، وكيف أن علم النفس صار في عداد العلوم التجريبية ، بعد أن كان جزءاً من الفلسفة ، ثم محاضرة في علم الاجتماع لمصطفى فهمى ، بدأها بفكاهة لذيذة عن علم الاجتماع ومحاولة العلماء نسبته إلى أفلاطون أو أرسطو ، وأشفق على هذين الفيلسوفين أن ينسب إليهما كل ما هب ودب من العلوم .

وتؤيد « المعرفة » فكرة طبع المحاضرات التي تاتي في مصر في المحافل العامة ، ليمكن أن ينفع بها من لم تساعد ظروفهم الخاصة على حضورها .

المناصب ومكائد الرابطة

رسالتان خطيرتان من جاوة

طبعهما ونشرها السيد حسن بن جديد الحبشي : لابوان حاجي

حمل إلينا البريد الشرقى الأخير كتيباً بالعنوان المتقدم ، يقع في ثمان عشرة صفحة من الحجم الكبير ، ومطبوع في مطبعة الوحدة في حضرموت .
يحتوي هذا الكتيب على مقدمة ورسالتين :

أما المقدمة ففيها شرح لموقف حزب الارشاد ورجاله من السادة الباعلوين ، والنهضة العربية في المهجر ، ومنها يفهم أن حزب الارشاد - الذي أعلن في برنامج الرسمى أنه لم يفتأ لأغراض سياسية - قد لعب به رؤساؤه ، وأداروا دفته إلى الأهمال السياسية ، التي تنحصر في معاكسة الهيئات الحاكمة ، وذوى المناصب الرفيعة من الباعلوين ، مع أن للباعلوين على

زعماء هذا الحزب خيراً كثيراً ؛ وتحوى المقدمة أيضاً طلعاً في زميلتنا جريدة « حضرموت » الغراء .

وأما الرسالتان : فأولها رسالة من عيسى وسالم الحبشى إلى أخيهما السيد حسن الحبشى ، والأخرى رده على الأولى ؛ وفيهما يجد القارىء « كثيراً من الحقائق ، وصورة مصفرة للحياة في حضرموت ، ويجرى الخلاف الواقع في جأوة ، وعلى من تلقى المسئولية » .

للصوص

للفيلسوف الشاعر الألماني فردريخ شلر

تعمير الأستاذ عبده حسن الزيات

أهدى إلينا الأديب عبده حسن الزيات نسخة من رواية القصص ، تأليف شاعر الألمان وفيلسوفهم فردريخ شلر ، قام هو بتعريبها عن نسخة انكليزية ، وكتب مقدمتها الأستاذ الدكتور منصور فهمي — طبعت في مطبعة وادي الملوك ، وتقع في ثمانين ومائتين من الصفحات ؛ وقد زينت غلافها بصورة المؤلف ، وبذلك الكلمة الخالدة التي قرط بها (توماس كارليل) رواية القصص : « إن القصص مأساة ستظل طويلة ولها قراء تدهشهم ، بل تهزج ، رغم كل ما يرد عليها من مآخذ » .

والقصة تمثيلية رائعة ، كتبها (شلر) وهو ما يزال ضابطاً طبيياً ، وانتهى من كتابتها في عام ١٧٨٠ م ، وطبعت للمرة الأولى ، فكان لها في نفوس آلاف قرائها أثر بالغ ، شعر به (دوق وانغبورج) مؤسس المدرسة الحربية بها ، فاستدعاه وطلب إليه أن يكف عن كتابة مثل هذه القصص ، وأن يقتصر في كتاباته على البحوث الطبية ، إذا كان لابد له من مواصلة الكتابة .

ولقد ترجمت هذه القصة الخالدة إلى سائر اللغات الحية ، وجاء الأديب عبده حسن الزيات فنقلها لنا إلى اللغة العربية عن طريق إحدى الطباعات باللغة الانجليزية ، والترجمة حرفية خالية من كحل التأليف الخيالية .

أما من حيث فكرتها المسرحية ، فقد مثلت في ألمانيا وفي إنجلترا أيضاً ، ولكن بعد أن هذبت وحذفت منها الشيء الكثير ... ولعل التلويل هو المأخذ الوحيد على هذه القصة الرائعة ، التي أهابت الرأي العام الألماني ردحاً من الزمان غير قصير ، والتي من أجلها ومن أجل روايتين أخريين منحت فرنسا مؤلفها وسام الشرف .

وبعد ، فلعل من خير اللغة العربية أن ترجمت هذه القصة إليها ، ولعل من غر « عبده الزيات » أن يكون ناقلاًها إلى العربية .

الطاغية أو الكونت فيسكو

دراما تاريخية في خمسة فصول

تأليف الشاعر الألماني العظيم فردريخ شلر ، وتعريب الاستاذ فائق رياض
أهدى إلينا الأديب فائق رياض نسخة من رواية الطاغية تأليف (فردريخ شلر)، وتعريب
الأديب المذكور تقع في ثمان وتسعين ومائة صفحة من القطع المتوسط ، طبعت في مطبعة
المجلة الجديدة . وهي دراما تاريخية في خمسة فصول لشلر ، وضعها بعد إذ صدرت قصته
المسرحية الأولى «العصوس» . و (شلر) شاعر وفيلسوف يحب من صميمنا أن نقتصر بيننا كتاباته
لأنها تدور في الأول والاخير حول الحرية ، وحرية الفكر خاصة ، ولا نها تنطبق على حياتنا
في هذه الأيام انطلاقاً كبيراً ، فقط : تسبديل بالاسماء الافرنجية والبلدان الافرنجية أسماء مصرية .
والطاغية ثمانية الفصول المسرحية التي تترجم للعربية . من غار قريحة هذا الفحل الألماني العظيم .
حبذا لو أقبل عليها عشاق الادب والفن .

إمعان في أقسام القرآن

في ٦٦ صفحة من القطع المتوسط — تأليف « المعلم عبد الحميد القراهي » —
طبع عن دار المصنفين بمدينة أعظم كره (بالهند)

هذا الكتاب هو فريد في نوعه ، قيم في موضوعه ، إذ أنه تفرد للبحث في الشبهات التي
أوردها بعض الناس على أقسام القرآن ، وقد تصدى لذلك كثير من أئمة الاسلام ، أمثال : الفخر
الرازي وابن القيم وغيرهم ، إلا أن هذا الكتاب هداه إلى فتح جديد في هذا الباب ، فقام
بتأليف هذه الرسالة القيمة وحصرها في الرد على إزالة الظن الباطل الذي صار حجاباً على فهم
أقسام القرآن ، حتى يتبين أن أصل القسم ليس في شيء من التعاطف ، إنما هو ينهم من بعض
أقسامه ، ثم يبين أقسام القرآن بالخرافات ليست إلا آيات دالة ، ثم الفرق بين مواضع القسم
المحمودة وغير المحمودة .

هذه هي أغراض الكتاب الأساسية ، فقد صدر بردي العلامتين : الفخر الرازي وابن القيم
على النقط ، ثم ناقشا المؤلف مناقشة منطقية ، أظهرت ضعفها في كثير من المواطن ، ثم تولى
الرد عليها في بيان قوى وحجج دامغة ، بما يوقنا على أن المؤلف كان على جانب عظيم من
العلم ، ثم استتبع ذلك الكلام باثنين وعشرين بحثاً تتعلق بالموضوع ، كلها بحث ، وكلها علم
وافر ، وبيان فياض ، ثم ترجمة حياة المؤلف وأعماله ومؤلفاته .

ومؤلف هذا الكتاب هو مؤلف لمدة كتب قيمة مثل : أساليب القرآن ، وأسباب
النزول ، وتاريخ القرآن ، وأوصاف القرآن ، والتناسخ والمنسوخ ، ومفردات القرآن ، وأصول
التأويل ، وغيرها مما يشهدنا على أن المؤلف خير بعلوم القرآن ، وهو مطبوع طبعاً متقناً
على بون ممتاز ، فتوجه إليه أنظار العلم .

هذا الكتاب من الطبعة الأولى ، وهو مطبوع طبعاً متقناً .

بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ وَخَر_افَةِ

تناسخ الأرواح

(النجف الأشرف . العراق) عبد الطيف سعاد - ما هو رأيكم في تناسخ الأرواح ؟
هل هو حقيقة أم خرافة ؟ ومتى عرف ؟

(المعرفة) نعتقد أن القول بتناسخ الأرواح خرافة من غير شك ، إذ لم تؤيده العلوم
الوضعية ، كما لم تؤيده الكتب السماوية ؛ وإن كان البراهمة يدعون أنه ثابت في كتابهم المقدس
(فيداس) ؛ ولهذا تراهم يمتقدون به ، زاعمين أن روح الإنسان تمثّل في إنسان آخر إن كان
سعيداً ، أو في حيوان إن كان شقيّاً ، وهذه الأرواح جميعاً على تعدد مظاهرها تندمج في
النهاية في الإله الأكبر (برهما) .

وقد وقفنا - في بعض كتب تاريخ الفلسفة - على رأي ينسب هذه العقيدة إلى قدماء
المصريين ، وقد يكون هذا الرأي صحيحاً ، خصوصاً بعد أن أبدته الاكتشافات
الأثرية الحديثة .

هل تعرف جنسية الجنين ؟

(ريوجي . أرجنتين) شكر الله مسعود - هل يمكن معرفة الجنين وهو في بطن أمه ،
وتحديد ما إذا كان ذكراً أم أنثى ؟ لقد رأيت إحدى الطبيبات تحكم بذلك في منتصف شهر
الحمل ، فما رأيكم ؟

(المعرفة) رأينا أن هذه دسالة وليست طبية ؛ لأن العلم الحديث لم يستطع - حتى الآن -
معرفة ذلك ؛ فأتى لهذه المدعية بمعرفة ما تدعيه ؟

من هو هوميروس ؟

(القدس . فلسطين) علي حسن الطيب - في المحاضرة الأخيرة التي ألقاها الدكتور طه
حسين ، ونشرت بمجريدة « السياسة » ، وردت عبارة عن الشعر اليوناني وهوميروس ،
شعر القاريء بوجود هوميروس هذا ؛ فهل كان موجوداً حقيقة ؟ ومتى ؟

(المعرفة) كما تصدى الدكتور طه حسين لانكار وجوده « مجنون ليل » وأكثّر شعراء المقلات -
وهم قبل مجنون ليل كما نعلم - ؛ كذلك تصدى كثيرون من كتاب النقد الأدبي الانجليزي
لانكار وجود هوميروس ، فزعموا أنه شخص خيالي لا أثر لوجوده مطلقاً ، وأن كل
ما ذكر عنه يدخل في باب الأساطير .

والرأى القديم يرى أنه وجد في المدة التي تقع بين عام ١٢٠٠ وطام ٨٥٠ قبل الميلاد ؛ وكما اختلفوا في تحديد المدة التي وجد فيها ، اختلفوا أيضاً في القرية التي نشأ منها أو ولد بها ؛ وكل ما نعرفه عنه أنه كان شاعراً كفيف البصر ، وأتى من آثاره (الإلياذة) وقد عرّبها البستاني ، و (الأودسا) ولم تقف لها على ترجمة .

هل ترجع اللغات إلى أصل واحد ؟

(صالحجر . غربية) على محمود الدريني — هل ترجع اللغات إلى أصل واحد ؟ هذا رأي بعض علماء الترجمة فهل هو صحيح ؟ وإذا كان صحيحاً فما هو الأصل الذي ترجع إليه ؟ (المعرفة) لعلماء اللغات وفقها آراء في ذلك الموضوع غاية في التناقض ؛ والرأى الشائع هو إرجاعها إلى أصل واحد ؛ ذلك لأنهم قسموها إلى أقسام عدة ، كل قسم منها يرجع إلى قسم آخر ، لما بينهما من علاقات ومشابهات وقرابة في أشياء كثيرة أخصها المفردات ، ثم يجمعون هذه الأقسام إلى طوائف ، كطائفة السامية متلافانها تضم : العربية ، والعبرانية ، والسرّانية ، والكلدانية . وطائفة الآرية وهذه تضم : السنسكريتية ، والأوردية ، ولغات الهند جميعاً ، وبعض اللغات الأوربية .

أما الأصل الذي اشتقت منه أو ترجع إليه ، فذلك ما نحيل الجواب عنه على شيخ العروبة أحمد زكي باشا ؛ فقد يكون لديه من المعلومات ما يتيح لك تحقيق سؤالك هذا .

انتظروا قريباً كتاب

الفكر والعالم

مجموعة أبحاث في الأدب والاجتماع ، مزينة بقصة تمثيلية « نحو النور »

يصدر في منتصف يناير

تأليف

الاستاذ ابراهيم المصري

فهرس

الجزء التاسع من السنة الثانية

صفحة	
١٠٢٩	آراء عامة في الشعر والشعراء
١٠٣١	» » » » »
١٠٣٣	» » » » »
١٠٣٤	» » » » »
١٠٣٨	» » » » »
١٠٤٤	شباب الشيطنة أو شيطنة الشباب
١٠٥٢	أدب الاسكافي وأسلوبه اللاذع
١٠٥٧	التربية في الأمرة
١٠٦٢	التصوف في الشرق والغرب
١٠٦٩	مصر في فطر عالم ألماني
١٠٧٣	ملكة الحيرة في أيامها الأخيرة
١٠٧٩	هررد الألماني
١٠٨٣	أهمية المعزلة في التاريخ
١٠٨٨	إبراهيم باشا معلم المدرسة
١٠٩٣	اليابان ونظمها التعليمية
١٠٩٨	قوة الحيوية في الشعب المعمرى
١١٠١	ذكريات من إيطاليا
١١٠٥	فكرة الكوائيم
١١١٢	عشائر البدو الرحل
١١١٧	في كتاب ابن الرومي
١١٢١	مارستانات مصر
١١٢٥	الروح وماهيتها
١١٢٩	المزارعون العارفون بالصناعات كلها
١١٣٣	حول مقال الدكتور طه حسين
١١٣٧	الثقافة بين الشرق والغرب (قصيدة)
١١٣٩	أبواب الجنة
	للأستاذ إبراهيم المازني
	للأستاذ محمد المراوي
	للأستاذ أنطوان بك الجليل
	للدكتور محمد حسين هيكل بك
	للأستاذ علي الجارم
	للأستاذ أحمد زكي باشا
	للدكتور أحمد فريد رفاعي
	للأستاذ أحمد العمروسي بك
	لسيد محمد الغنيمي التفتازاني
	للأستاذ هرمان جرابو
	للأستاذ يوسف بك شنيعة
	للدكتور علي مظهر
	للأستاذ علي حمن عبد القادر
	للأستاذ نقولا شكرى
	للدكتور سيدراس مسعود
	للأستاذ أحمد محمد فهمى
	للأستاذ زكي محمد حسن
	للأستاذ محمد محمد السيد
	للدكتور خالد بك الخطيب
	للأستاذ مصطفى جواد
	للدكتور أحمد بك عيسى
	لسيد محمد الحريرى
	مكتاب الانجليزى روبرتسن
	للأستاذ محمد خورشيد
	للأستاذ أمين فهمى أحمد



الأميرة الإنجليزية السيدة خير الفساء
أقرأ موضوعها المنشور في هذا الجزء
«من رومة إلى مكة»

آراء في السحر والسحراء



الأستاذ الدكتور طه حسين



الأستاذ أحمد الأكندري

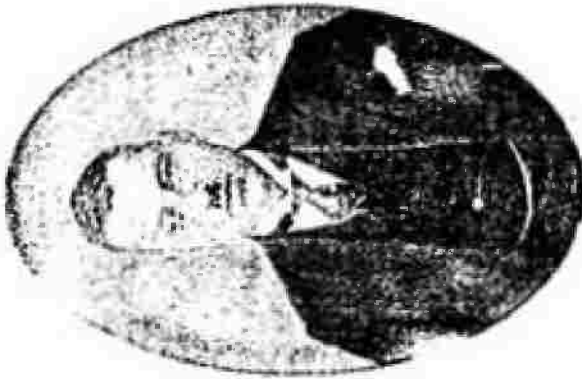
[مناسبة آرائهم المنشورة في هذا الجزء]



الأستاذ خليل بك مطران



«ماذا ينبغي أن يقرأ طفلك؟»
الآنسة زيلب الحكيم
لمناسبة موضوعها



«البول الكري»
الدكتور محمود فريد
لمناسبة موضوعه عن



«اتحاد شعراء جونتجين»
الدكتور علي مطهر
لمناسبة موضوعه عن

ملحق المعرفة

محاضرات العمروسي بك

أو

دائرة معارف التربية والتعليم

لكبير المربين

الدكتور احمد فرهمي العمروسي بك

يسر « المعرفة » أن تعلن حضرات قرائها أنها وفقت إلى جمع محاضرات العالم الكبير ، والمربي المعروف : الأستاذ أحمد فهمي العمروسي بك : الذي خدم التربية والتعليم قرابة ٤٠ عاماً ، كان فيها المثل الأعلى للمربي ، الذي يطبق العلم على العمل ، ويكرس حياته في خدمة التربية والتعليم .
وتعجب « العمروسي بك » ظراً ، أن يكون من تلاميذه كثير من أولئك الاعلام البارزين في وزارات المعارف والحقانية والخارجية والمالية والمواصلات .

وقد رجونا الأستاذ الكبير أن يسمح لنا بطبع محاضراته ، فنفضل بتحقيق ربائنا ، وقدم لنا جميع بحوثه وكل ما ينقصنا من هذه المحاضرات القيمة ، التي أخذنا في طبعها ، لنقدمها إلى حضرات المشتركين الكرام ، (الذين سددوا قيمة الاشتراك) ملحقةً بالمعرفة عوضاً عن شهرى مارس وأبريل سنة ١٩٣٣ .

وسيبهر هذا الملحق في ١٠٠ صفحة تقريباً من مجلد « المعرفة »

ومن موضوعاته :

التربية والتعليم عند العرب والافرنج
التربية في انجلترا
التربية في فرنسا
التربية في أمريكا
التربية في الأسرة والمدرسة
التربية الخلقية والبدنية
العقل وكيف يتكون ؟
علاقة العلم بالأخلاق
هربارت الفيلسوف الألماني
فن الاعمال اليدوية وعلاقته بالتربية
عرض التربية والتعليم في القرن العشرين
الجمال وأثره في التربية والتعليم
الرسم والتصوير — الموسيقى — الطرق العملية لتربية الذوق — الفنون
الجميلة عند العرب .
المعاهد والجمعيات العلمية الحرة
أهم حادث أثر في مجرى حياتي
تاريخ ادريس الأكبر وابنه ادريس مؤسس مدينة فاس
رحلة في بلاد المغرب . رحلة في فلسطين . رحلة في سوريا . رحلة في
جزيرة رودس .

والكتاب فوق ما احتوى من موضوعات قيمة، فإن به صوراً فنية مطبوعة
بالألوان على ورق مصقول . ونشجعاً لاقتنائه : قررنا تجليده تجليداً حسناً .
فبادر بتسديد اشتراكك لتصلك هذه الهدية الثمينة ، التي انقردت بها « المعرفة »

من الكتاب لغبر المشتركين

٤٠ قرناً مصرياً

[بخلاف أجرة البريد]